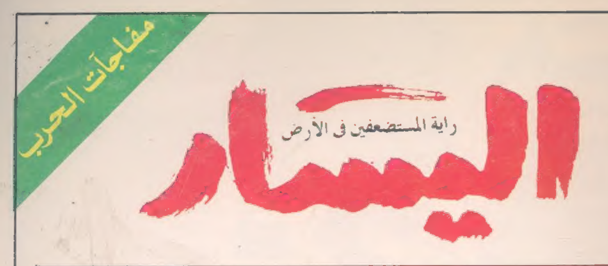

العدد الثالث عشر / مارس ١٩٩١ م / شعبان ١٤١١ هـ / الثمن جنيه مصرى

رجل الشارع المصرى يناقش حرب الخليج

سر «المشير» عبد الحليم أبو غزالة

إنهاء الدولة البوليسية وشمولية الحكم .. ليست دعوة للتشدد

نساء السعودية ضد الوجود الأمريكى

جوع «كافر» يهدد فقراء مصر..

اليسار
هــل انحطت اخلاق المصريين ؟
عادل إمام يدعو للعنف!
القصة الحقيقية لبيع
شركات الريان

اليسار

ديمقراطية / عقلانية / اشتراكية

في هذا العدد

اليسار : منبر ديمقراطى يصدر عن حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر .

AL YASSAR 3 MIDAN
EL MALEKA ZOBAIDA
IMBABA GIZA A.R.E

الاشتراكات : لمدة سنة واحدة
مصر :
١٢ جنيها للأفراد ٣٠ جنيها للهيئات .
الوطن العربى : ٥٠ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها .
العالم : ١٠٠ دولار أمريكى أو ما يعادلها .
ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حواله بريدية إلى إدارة المجلة .
الإدارة والتحرير : ٣ ميدان الملكة زبيدة شقة ٣ - مدينة الطلبة - رقم بريدى ١٢٤١١ - إمبابة جيزة .
ت : ٣٤٤٧٩٤٠ فاكس ٣٤٤٢٠١٣

موقفنا

تحرير الاقتصاد.. أم تخريبه؟

حسين عبد الرازق

انتهزت «الحكومة» استغراق الرأى العام والقوى السياسية، فى متابعة تطورات حرب الخليج، وبدأ العدوان الأمريكى (بمشاركة الحلفاء والأتباع) على العراق، لتعلن أمام مجلس الشعب يوم ٢٨ يناير ١٩٩١ (بعد ١٢ يوما من العدوان) سياسة وبرنامج الحكومة خلال هذا العام.. متصورة أنها فرصتها الذهبية لتمرير هذه السياسات فى غفلة من المواطنين والقوى السياسية والاجتماعية.

وأقول فى غفلة ،لإن ماتطرحه الحكومة، كفيل إذا ما فهمه الناس واستوعبوه، بتفجير مراحل الغضب والثورة ، والإطاحة بهذه الحكومة وهذه السياسات، إذا ماتوفرت السبل الديمقراطية الصحيحة.

فى هدوء غريب، وتحت شعارات جذابة، يعلن رئيس الوزراء أن حكومته تسعى منذ تشكيلها فى نوفمبر ١٩٨٦ لتنفيذ تكليفات السيد رئيس الجمهورية (محمد حسنى مبارك) لإعادة التوازن للاقتصاد المصرى، وتحقيق تنمية إجتماعية تنعكس آثارها فى «زيادة قوة العمل المنتجة، وزيادة إنتاجية العامل المصرى»و«زيادة قدرة المجتمع على الإنتاج كماً وجودة، وزيادة فرص العمل، ورفع مستوى معيشة الأفراد»

ثم يمضى فى عرض سياسة الحكومة وبرامجها فى مجال البناء الاقتصادى، وهو جوهر «البيان» ملخصا هذا البرنامج فى «التحرير الاقتصادى» والذى يحدد أهدافه فى هدفين متكاملين..

-توفير المناخ الملائم لانطلاق الإنتاج بإضافة الطاقات الإنتاجية الجديدة.

- تمشى تكاليف المعيشة مع الأجور والدخول الإنتاجية، وتوازن واستقرار الأسعار.

وللأسف، فرغم بريق كلمة «التحرير» وجمال الأهداف التى تطرح تحتها ، فالحقيقة التى تكشفها بسفور تفاصيل البرنامج، تؤكد «قبح» المعنى الذى تعنيه الحكومة بكلمة «التحرير» وأن النتيجة- إن لم يكن الهدف- لهذه السياسات هو تخريب الاقتصاد المصرى أو على الأصح مزيدا من التخريب، وتدمير الاستقرار الاجتماعى.

لقد أعلنت الحكومة مجموعة من السياسات لـ «التحرير الاقتصادى» تتعلق، بإصلاح الجهاز المصرفى وهياكل أسعار الفائدة ، ونظام صرف النقد الأجنبى، وسوق رأس المال ، وتحرير التجارة الخارجية، وتحرير سياسات الأسعار، والسيطرة على عجز الموازنة العامة للدولة، وتوسيع قاعدة ملكية القطاع الخاص وتحرير القطاع العام ، وتحرير قطاع الزراعة وإصلاح الإدارة الحكومية.. وتؤدى جميعها إلى مزيد من التدهور والانهيار للقدرة الإنتاجية للاقتصاد المصرى، وانفلات جديد مروع للأسعار، واستكمال فقدان سيادة العملة الوطنية أمام الدولار، ومزيد من الاختلال فى توزيع الدخل القومى ضد صالح المنتجين، عمالا وفلاحين وموظفين ورأسمالية وطنية منتجة غير تابعة.

وسأكتفى بعرض بعض النماذج الدالة على هذه السياسات، والتى تقطع بأن «الحكم» يخدعنا عندما يتحدث فى البيانات الرسمية ، عن «الاعتماد على الذات»، و«العدالة الاجتماعية» و«التنمية الشاملة»...

مثلا السياسات النقدية والإئتمانية التى يطرحها بيان الحكومة وخاصة «تحرير» سعر الفائدة، بهدف تشجيع الادخار وإنقاص الفجوة بينه وبين الاستثمار، وتخفيض الاستهلاك،وكبح جماح التضخم ومراجهة الاتجاهات الانكماشية فى المجتمع... ستؤدى عمليا إلى فقدان الدولة سيطرتها على أدوات السياسة النقدية وبالتالى العجز عن تحقيق هذه الأهداف المدعاة. وستؤدى أيضا إلى توجيه النشاط الاقتصادى إلى قطاعات المال والتجارة على حساب قطاعات الإنتاج، وارتفاع تكلفة المنتجات، وإزدياد خطورة ظاهرة التعامل والإدخار بالدولار، وزيادة تكاليف الاقتراض، وعند حدود معينة، ستتجه أجزاء هامة من المدخرات إلى الإنفاق.

كذلك بإنشاء السوق الحرة للنقد الأجنبى سيترتب عليها ارتفاعا كبيرا فى أسعار الدولار والعملات الأجنبية الأخرى، نتيجة لوجود العجز المزمن فى ميزان التعامل الجارى مع العالم الخارجى، وعجز الحكومة المزمن عن تسديد الالتزامات المستحقة من فوائد وأقساط الدين الخارجى، والنقص الجديد الخطير فى حصيلة النقد الأجنبى نتيجة لحرب الخليج. وتقوم الحكومة بهذا الإجراء الغريب، فى ظل مانسميه تحرير الاستيراد، مما يزيد الطين بلة.

والنتيجة المتوقعة- والوحيدة- ارتفاع متوال فى سعر الدولار، يبدأ من ٤ جنيهات هذا العام، وقد يصل فى سنوات قادمة إلى عشرة جنيهات للدولار أو ١٥ أو ٢٠ فلايوجد أى عائق أمام الارتفاع الجنونى للدولارات وبالتالى انهيار عملتنا الوطنية سيقودنا هذا الارتفاع فى سعر الدولار، إلى ارتفاع متوال فى أسعار الواردات، ومن ثم ارتفاع كبير فى المستوى العام للأسعار، والتقدم بسرعة إلى مرحلة التضخم الجامح أو التضخم المنفلت، وستنخفض الدخول الحقيقية لمعظم فئات الشعب من عمال وفلاحين وموظفين وأصحاب المعاشات، وبالمقابل تتضخم ثروات حرام لقلة من التجار والمستوردين والطفيليين بشكل عام، ومن ثم زعزعة الاستقرار السياسى والاجتماعى.

لقد تدهورت القدرة الشرائية (ومستوى معيشة) المواطنين فى السنوات الماضية نتيجة للتضخم- بصورة مفزعة وطبقا للبيانات الرسمية (وزارة التخطيط والجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء) ارتفعت متوسطات الأجور النقدية عام ١٩٨٩/٨٨ عن عام ١٩٨٧/٨٦ بنسبة ٢٧٪ ، بينما ارتفع الرقم القياسى لأسعار المستهلكين فى الحضر عن نفس المدة بنسبة ٤٣٪ أى أن القدرة الشرائية للدخول النقدية لذوى الدخول المحدودة، انخفضت فى الحضر بنسبة ١٦٪ خلال العامين المذكورين فقط. وفى الريف ارتفعت الأجور النقدية فى نفس الفترة بنسبة ١٢٪ بينما ارتفع الرقم القياسى لأسعار المستهلكين بنسبة ٥٠٪، أى أن انخفاض القدرة الشرائية لدخول الفلاحين كان بمقدار ٣٨٪. وستكون الكارثة فى ظل السياسات الجديدة أبشع بمراحل عديدة.

وسيعانى الاقتصاد أيضا من مزيد من الأزمات نتيجة تعثر الصادرات لضعف مركزها التنافسى فى الخارج أمام ارتفاع أسعارها ، نتيجة ارتفاع تكاليف الإنتاج المحلى.

وإذا انتقلنا من السياسات العامة، إلى سياسات محددة بطبقات أو فئات اجتماعية محددة، فستبدو الصورة بالغة الوضوح والقتامة.

ففى الوقت الذى تطلق فيه الحكومة العنان لرؤوس الأموال، وتخضع كافة جوانب النشاط الاقتصادى لقوى العرض والطلب، وماسيصاحب ذلك بالضرورة من انفلات فى الأسعار وتدهور فى مستويات معيشة العمال والموظفين مثلا. تكتفى الحكومة بكلام عام عن توفير السلع والخدمات للفئات غير القادرة بأسعار تناسب دخولهم دون وجود أى آلية لتحقيق هذا الوعد (الكاذب) .ويصل الانحياز ضد العاملين بأجر قمته، عندما تعلن الحكومة أنها قد «إنتهت من إعداد مشروع قانون جديد للعاملين ، يهدف إلى تحسين أوضاعهم الوظيفية والمالية بصفة عامة، إلا أن عجز الموارد المالية هو الذى منع تقديمه لحضراتكم حتى الآن». أى أن الحكومة تطلق العنان للأسعار ، وتقيد الأجور. وتطلق العنان لرأس المال، وتمنع العاملين من حقوقهم الديمقراطية لمواجهة تحكم وسيطرة رأس المال، والتى يعرفها العالم كله، كحق الإضراب والاعتصام والتظاهر.

ونفس الصورة وأكثر بالنسبة للفلاحين والسياسة الزراعية فتحت عنوان تحرير القطاع الزراعى، تعلن الحكومة إخضاع الزراعة لقوانين العرض والطلب وتصفية القطاع التعاونى نهائيا. وتتجاهل الجرائم التى ارتكبت وأدت إلى كوارث فى محاصيل الطماطم والقصب، والقطن الذى هبط إنتاج الفدان منه من ٥ر٨ قنطار الى ٥ قناطير فى المتوسط هذا العام، وانخفض إنتاجه الكلى من ٥ر١٠ مليون قنطار فى بداية الثمانينيات ليصل الآن إلى حوالى ٥مليون قنطار ، وكذلك كارثة الإنتاج الحيوانى وتدهور مشروع البتلو وصناعة الدواجن نتيجة لسياسة الحكومة بالنسبة لعلف الحيوان والدواجن. وتستكمل خطتها لخنق الفلاح المصرى المنتج بإعلانها العزم على التقدم بقانون جديد لتنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر، بما يهدد الاستقرار النسبى فى العلاقة بينهما ويمس مصالح وحقوق سبعة ملايين مواطن (٩٨٠ر٢٩٧ر١ مستأجر).

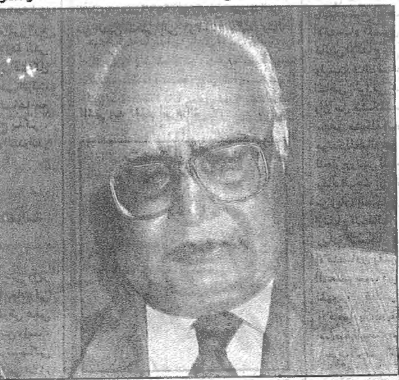

عاطف صدقى

***

وكان منطقيا فى ظل هذه السياسة أن يتجاهل بيان الحكومة بصورة شبه تامة التطور السياسى والديمقراطى. وأن تتمسك الحكومة عمليا بالبناء القانونى والسياسى القائم، وهو فى جوهره بناء غير ديمقراطى، يستحيل فى ظله عمليا تداول السلطة عبر صندوق الانتخابات، وينتهك الحريات والحقوق الأساسية للإنسان.

وصمت بيان الحكومة عن استمرار حالة الطوارئ بصورة متواصلة مايقرب حتى الآن من عشر سنوات، هى عمر ولاية الرئيس حسنى مبارك. مما ينذر بنيتها لمد العمل بقانون الطوارئ عن انتهاء المدة الحالية فى مايو القادم.

إن هذا التجاهل والصمت، فى ظل ماتؤكده السياسات الاقتصادية والاجتماعية من عدوان متصاعد على معيشة الغالبية العظمى للمواطنين، وعلى حقوقهم ومكاسبهم التى حققوها خلال سنوات طويلة، دليل على تصاعد سياسة الحكم المعادى للديمقراطية وحقوق الإنسان

ولم يعد القبول بهذه الأوضاع ممكنا ومسئولية قوى المعارضة الجذرية الآن- وليس غدا- أن تنظم صفوفها وأن تنظم الجماهير، أصحاب المصلحة فى إنهاء هذه السياسات الخاطئة، وأن تقود نضالا ديمقراطيا حاسما ، داخل البرلمان وخارجه أيضا ، لتسقط هذه السياسات ، وتفتح الباب أمام تغيير ديمقرطى، يتيح الفرصة للشعب المصرى بكافة طبقاته واتجاهات الرأى فيه ،أن تعبر عن نفسها مباشرة وأن تستعيد حقها فى اتخاذ القرار، بدلا من انفراد حزب أو فرد أو تحالف طبقى محدد بالسلطة والثروة. هذا الانفراد الذى يقودنا بخطى سريعة إلى الكارثة.

سر عبد الحليم أبو غزالة

علمت «اليسار» أن المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة مساعد رئيس الجمهورية نجح في التفاوض مع الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران في تخفيض ٥٠٪ من أعباء الديون المصرية العسكرية والمدنية بفرنسا، وحصل على موافقة بمساندة الموقف المصري خلال مفاوضات نادي باريس المقبلة. سبق لعدد من المسئولين المصريين أن أجروا مباحثات حول نفس المطالب، ولكنها لم تحقق النجاح المطلوب. كما لعب المشير أيضا دوراً هاماً في إقناع عدد من المسئولين الأمريكيين بالوقوف بجانب مصر في المفاوضات الجارية بشأن الديون مع الدول الصناعية والتي تستهدف خصم مابين ٣٠ و٧٠٪ من أعبائها. وحقق نجاحا في الحصول على معونات تقدر بحوالي ٤٫٢ مليار دولار كتعويض مؤقت عن الأزمة التي أصابت مصر بسبب حرب الخليج... تمت كل هذه الإجراءات خلال أقل من شهر، في الوقت الذي عقد مجلس الوزراء ٢٦ إجتماعا مع المسئولين ببعض الدول دون نجاح يذكر.. (والسؤال الذي يتردد داخل الدوائر السياسية... ماهو السر؟

وزير الداخلية على مسئوليتي انتظام الدراسة بالجامعات

أصر اللواء محمد عبد الحليم موسى وزير الداخلية على انتظام الدراسة بالجامعات في مواعيدها المحددة سلفا.. واعترض على تحفظات وزير التعليم وعدد من رؤساء الجامعات.. وقال «أنا عامل ترتيباتي كويس».. وإن تأخير الدراسة أكثر من اللازم سيضعف موقفنا.. كما إن إجراءات الأمن وتأمين الجامعات من المظاهرات كاملة وشاملة.. ووعد الوزير بعدم خروج أي مظاهرة خارج أسوار الجامعة.

رد رئيس جامعة قائلا على مسئوليتك ياسيادة الوزير... فقال على مسئوليتي.

ثلاثة آلاف جنيه دين على كل مواطن

ذكر تقرير البنك المركزي المصري أن الدين العام المحلي ارتفع حتى يونيو ١٩٩٠ إلى ٧٦٫٤ مليار جنيه بزيادة ١٧٫٥ مليار عن العام الأسبق وبنسبة ٢٩٫٦٪ وارتفع نصيب الفرد من الدين المحلي إلى ١٤٢٣٫١ جنيه. وقال التقرير إن الدين العام الخارجي وصل إلى ٣٢٫٨ مليار دولار بزيادة ٣٫٢ مليار دولار بنسبة ١٠٫٨٪ عن العام الماضي، كما ارتفع نصيب الفرد من الدين الخارجي إلى ٦١٠٫٧ دولار.

وفي حالة تقييم الدين بشكل عام بالجنيه المصري يصل إجمالي الديون المحلية والخارجية الى ١٧٤٫٨ مليار جنيه بزيادة حوالي ٤٠ مليار جنيه عن العام المالي ١٩٨٨/ ١٩٨٩ ويرتفع نصيب الفرد من الدين العام الى ٣٢٥٥٫٢ جنيه.

هذه الديون لاتشمل الديون العسكرية والديون الخاصة التي لاتضمنها الحكومة.

المشير عبد الحليم أبو غزالة

٤ مليون عاطل خلال سنوات

أكد بحث أعدته د. نجوى خشبة أستاذة الاقتصاد أن معدلات البطالة في مصر في ارتفاع متتال، وقد يتجاوز الرقم ٤ مليون بانتهاء التسعينيات، مع كافة الحلول والخطط المطروحة الآن. ويرجع ذلك لعدم وجود تمييز واضح بين سياسات التصنيع للتصدير والتصنيع للاستهلاك المحلي وقالت إن الاقتصاد المصري مازال في مرحلة تصدير فائض الإنتاج ولم يتجه للتصدير الحقيقي. وليست هناك صناعات تصديرية، كما أخفقت المناطق الحرة في تحقيق الهدف الأساسي منها، وإن حل مشكلة معدلات النمو الاقتصادي ستحل مشكلة البطالة، مع الأخذ باستراتيجية مولدة للعمال عن طريق خلق صناعات تتجه للخارج وليس للداخل.

وقال البحث إن الحجج التي تعلنها الحكومة من زيادة السكان والهجرة والتعليم بأنها سبب ارتفاع البطالة، هي حجج واهية فليست زيادة السكان عامل يؤدي لإبطاء النمو الاقتصادي بقدر مايزيده، وليست مجانية التعليم سبب في ذلك ونفس الشئ بالنسبة للهجرة.. فالأمر كله مرهون بنوع السياسة الاقتصادية المطبقة.

صاحبة البحث عضو في اللجنة الاقتصادية بالحزب الوطني الحاكم.

تجار العملة يؤسسون شركات «صرافة»

عقد ٨٥ تاجر عملة بينهم ٦ من أكبر تجار السوق السوداء، اجتماعا لتأسيس عدد من شركات «الصرافة» بنظام الأسهم، إستعداداً للدخول في النظام المصرفي الجديد، وتطبيق نظامين لسوق الصرف إحداهما أساسية والأخرى ثانوية. وقال أحدهم إن الحكومة اعترفت أخيرا بالسوق السوداء، وأصبح الأمر لايحتاج للعمل في الخفاء، وتوقع أن يرتفع الدولار إلى أربعة جنيهات خلال شهور معدودة.

من جانب آخر تقدمت البنوك المتخصصة (٢٠ بنكا) بمذكرة لرئيس الوزراء وهى ١٨ بنكا زراعيا تابعة لبنك التنمية والائتمان الزراعى، والبنك العقارى المصرى وبنك التنمية الصناعى والبنك العقارى العربى يطالبون فيها بتحديد موقفهم، في ظل نظام الفائدة الجديدة. ونظام القروض الممنوحة منهم للمواطنين. وقالوا إن الوضع الجديد يهددهم بالتوقف وربما يصل لتصفيتهم تماماً. ولم يناقشهم أحد حتى الآن بينما قال مسئول مصرفى أن الاتجاه العام طبقاً لمطالب صندوق النقد والبنك الدولى أن تتحول هذه البنوك لبنوك تجارية، بعد تنفيذ خطة إلغاء القروض المدعومة.

ومن جانب آخر التقى وزير الاقتصاد ومسئول من البنك المركزى مع رؤساء البنوك الاستثمارية فور تقدمهم بمذكرة عن وضعهم الجديد، وقيل لهم إن هناك اتفاقا مع البنوك الكبيرة بعدم المغالاة في سعر الفائدة حفاظا على الأوضاع المالية للبنوك الصغيرة.. وأن سعر الفائدة علنى وليس سريا.

قال رئيس بنك نخشى ذلك فنصف في المائه زيادة في سعر الفائدة. بوسعه أن يلغى بنكى من الوجود!

الاستغناء عن ثلثى العمالة في عدد هائل من الفنادق والشركات السياحية

تم الاستغناء عن ثلثى العاملين في ١١٢ شركة وفندقا سياحيا و٦٥ مكتبا للسفريات وألغيت عقود عملهم خلال الشهرين الماضيين، لعدم قدرتهم على سداد أجورهم بعد الانخفاض الرهيب والخسائر التى أصابت قطاع السياحة بسبب حرب الخليج. أما الثلث الباقى فتم الاتفاق مع بعضهم على العمل بنصف وربع الأجر، والبعض الآخر يعمل بدون أجر على أمل إنتظام العمل في المستقبل، وتقول تقارير الغرف السياحية إن نسبة الإشغال بالفنادق انخفضت إلى السدس، وإن معدلات الأفواج السياحية يعادل ربع ماكانت عليه في نفس الوقت من العام الماضى.

الجدير بالذكر أن قطاع السياحة هو أكبر القطاعات التى تضررت بأزمة الخليج

ترضية سياسية للمصدرين

هدد أعضاء شعبة المصدرين بالتوقف عن شحن بضائعهم على الطائرات بعد زيادة رسوم الشحن بنسبة ١٥٠٪. وقبل أن يتصاعد الموقف، التقى بهم د/يسرى مصطفى وزير الاقتصاد وتم الاتفاق على إتخاذ قرارين «للترضيه» مؤقتاً..

يحدد الأول سعر فائدة مميز لاعلاقة له بسعر الفائدة السارى في البنوك والذى يبلغ حوالى ١٧٪ ويفارق مابين ٣-٥٪. والثانى حصر خسائر كل مصدر وتعويضه بمقابلها على أن يتقدم كل مصدر بما يثبت صفقته لإحدى دول الخليج خاصة الكويت والعراق، خسائر المصدرين تقدر بحوالى مائة مليون جنيه.

من جانب آخر تم الاتفاق على ترك مسألة زيادة رسوم الشحن لمابعد هدوء الأزمة.

شهادات الاستثمار وخلاف على سعر الفائدة

نشب خلاف بين بنك الاستثمار القومى والبنك الأهلى حول طبيعة شهادات الاستثمار في ظل الأوضاع الجديدة لأسعار الفائدة المحومة، وسوق الصرف الحرة. تركز الخلاف حول تحديد سعر الفائدة مع شهادات الاستثمار.. يرى بنك الاستثمار القومى بصفته المالك لتلك الشهادات أن يتم وضع فائدة محددة عليها ثابتة لاتتغير على مدى العام كله. بينما يرى البنك الأهلى (الموزع للشهادات) أن يتم تحديد سعر فائدة متجدد كل ثلاثة شهور. ووصل الخلاف لأقصاه حيث طلب د. كمال الجنزورى تدخل البنك المركزى لفض الخلاف، بعدما وصل إلى إستعداد البنك الأهلى للتخلى عن توزيع الشهادات مبرراً ذلك أنه سيخسر كثيرا إن لم يتم التعامل مع فوائد شهادات الاستثمار بنفس نظام الفائدة المتغير في البنوك البنك المركزى رفض التدخل بشكل مباشر ومازالت المفاوضات جاريه.

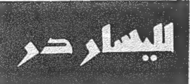

فاجأنا الرئيس العراقى صدام حسين بإعلان موافقته على المبادرة السوفيتية، وإنسحابه من الكويت دون قيد أو شرط، بعد ساعات من وضع اللمسات الأخيرة على صفحات هذا العدد.

وكنا ونحن نراجع الصفحات، قد إكتشفنا أن هناك ٢٣ صفحة زائدة عن العدد الثابت لصفحات اليسار وإنغمسنا في محاولة لأعادة ترتيب الصفحات والبحث عما يمكن تأجيله للعدد القادم وأكتشفنا صعوبه ذلك. إذ لم يكن ممكنا أن نؤجل تقارير مراسلينا ومقالات كتابنا الخاصة بحرب الخليج، لأرتباطها بالأحداث المتغيرة، ولم نستطع تأجيل غيرها لأعتبارات تتعلق بضرورة التنوع في مواد العدد من بينها الموضوعات الخاصة ببيان الحكومة، الذى بدأت مناقشة منذ أيام.

وما كدنا نقرر إضافة ملزمة إلى صفحات هذا العدد، ونضع اللمسات الأخيرة على مواده، حتى أعلن العراق قرار الموافقة على الأنسحاب، ووجدنا أن التعليق على هذا الحدث وتداعياته، يعنى إضافة ملزمة أخرى، وصدور اليسار في منتصف الشهر بدلا من أوله. وهكذا قررنا أن يصدر العدد كما هو، فلن يكون هذا العدد هو آخر الأعداد التي تحتل فيها أزمة الخليج معظم صفحاتنا، وتشغلنا حتى عن الأحتفال ببدء العام الثانى من عمر «اليسار» راية المستضعفين في الأرض.

«اليسار»

الجو السياسى

مرحبا محمد الميلى

من الأفراح النادرة والقليلة، التى تناثر عليها غبار حرب الخليج، فأخفى إلى حين بريقها وبهجتها وصول المناضل والمثقف الجزائرى الكبير محمد الميلى، لتولى منصب سفير الجزائر فى القاهرة خلفا لعبد الحميد عجال والميلى ليس غريبا عن القاهرة، فهو أحد الوجوه المألوفة لعدد كبير من المثقفين والسياسيين المصريين منذ عقد الستينيات وحتى الأن. فقد عرفوه فى مختلف المواقع التى تنقل بينها: مناضلا من جبهة التحرير الوطنى التى قادت المقاومة للاستعمار الفرنسى، وصحفيا مؤسسا للصحافة العربية فى الجزائر، وكاتبا فى عدد من أبرز الصحف العربية، وسفيرا ووزيرا فقد أسس محمد الميلى فى الجزائر صحيفة الشعب اليومية بعد الاستقلال وصحيفة المجاهد الأسبوعية، وقد تأثرت الصحيفتان تأثرا واضحا بثقافة الميلى الإسلامية والعربية الواسعة وبثقافته الفرنسية

شغل محمد الميلى منصب مدير معهد الصحافة العربى قبل أن يتركه ليعمل سفيرا لبلاده فى اليونسكو وفى تونس واليونان. وكان الميلى يشغل منصب وزير التربية والتعليم قبل ان يأتى إلى القاهرة حيث لعب دورا بارزا فى قضية التعريب التى تشكل السند الرئيس لمستقبل العلاقات العربية الجزائرية التى تعد أحد الهموم الشاغلة لمحمد الميلى.

ويعود إلى والده الشيخ ابراهيمى الميلى أحد أعضاء جماعة العلماء، بزعامة بن باديس- الفضل الأول فى تحصيله الواسع والمستنير لتراث الفكر الإسلامى والعربى الذى يبدو أثرهما الواضح على عدد من الكتب الهامة التى كتبها محمد الميلى حول التاريخ الجزائرى ومحمد الميلى هو زوج لزميلته الصحفية الجزائرية زينب الميلى.

ويأتى محمد الميلى لتولى موقعه الجديد كسفير لبلاده فى القاهرة، فى وقت تشهد فيه العلاقات الجزائرية المصرية توترا شديدا ونحن على ثقة أن مشاعره القومية، وأفكاره العروبية سوف تلعبان دورا هاما فى تجاوز الصعوبات الراهنة التى تعوق تطور العلاقات بين البلدين.

وبرغم شظايا حرب الخليج الموجعة ، وبرغم غبار التوتر الذى يغشى البصائر، فمازال هناك مكان للفرح.. فمرحبا محمد الميلى.

محمد الميلى

يهمسون

* تعددت زيارات عناصر من المعارضة السودانية للقاهرة فى الفترة الأخيرة بدعوة من الحكومة المصرية الشعبية لتحرير السودان ومحمد عثمان الميرغنى رئيس الحزب الاتحادى ومبارك الفاضل عضو المكتب السياسى لحزب الأمة،من المعروف أن فرعا للتجمع الوطنى الديمقراطى المعارض الذى يسعى للإطاحة بنظام البشير فى السودان حتى باستخدام القوة المسلحة قد أنشئ فى القاهرة.

* اشترى أجانب مجهولون سندات ديون مصرية تقدر قيمتها بنحو ٨٠ مليون دولار، بنسب خصم وصلت فى بعض الأحيان إلى ٤٧٪ من القيمة الاسمية للسند. المشترون أعادوا بيع السندات للحكومة المصرية، مقابل المناصفة فى نسبة الخصم، والحصول على الثمن بالجنيهات المصرية، واستثماره فى مشروعات جديدة أو قائمة.
اللجنة المصرية المشرفة على هذه العملية تتكتم تفاصيلها مصادر مطلعة أكدت أن هناك مستفيدين محليين من هذا البيع المريب ، وأن الاقتصاد المصرى ستلحق به أضرار أقلها ضياع نسبة من الخصم، كان يمكن للحكومة الحصول عليها مباشرة من أصحاب الديون، لو لم تلجأ للوسطاء.

* ترتب على وقف تصدير البرتقال المصرى لأوربا الشرقية، انخفاض السعر فى السوق بصورة شديدة ،ممايهدد بتكبيد المزارعين خسائر ضخمة يذكر أن دول أوربا الشرقية لجأت مؤخرا إلى استيراد البرتقال من اسرائيل بدلا من مصر. الطريف أن أصواتا من المنتجين بدأت تطلب أن تعاود الدولة الارتباط على تصدير البرتقال بدلا من القطاع الخاص، وهو الوضع الذى كان مثار انتقاد المنتجين والمصدرين من القطاع الخاص من قبل.

* لأول مرة منذ إنشائها، تدعو جمعية رجال الأعمال بالأسكندرية، اقتصاديا من حزب التجمع هو د. اسماعيل صبرى عبد الله، وزير التخطيط الأسبق، ليحاضر أعضاءها حول تحديات الاقتصاد المصرى فى التسعينيات محمد رجب رئيس الجمعية من غلاة المتعصبين «للخصخصة» ود. اسماعيل أكد انه مستعد للحوار مع أي مصرى فى أي مكان. فالجمعية فى النهاية جمعية مصرية وليست إسرائيلية!!
الحوار سيجرى مساء ١٠ مارس.

* قامت الحكومة المصرية بتصدير كميات من الفول فى الفترة السابقة، دون الإعلان عن ذلك ترتب على التصدير ارتفاع السعر المحلى بنحو ٦٠٪ فى غضون الشهور الثلاث الأخيرة.

* تم مؤخرا تحويل مبلغ ٣٠ مليون دولار من الأموال الأمريكية المخصصة لأحد برامج البحوث المشتركة إلى الانفاق العام للدولة، بالاتفاق مع الولايات المتحدة. جدير بالذكر أن تحقيقات تجرى فى الوقت الحالى مع المسئول عن الأبحاث من الجانب المصرى، بسبب تبديد الأموال المخصصة للبحوث.

* يبلغ مجموع ماسدده القطاع الخاص من ضرائب تجارية وشركات أموال، مانسبته نحو ٢١٪ و١٩٪ عامى ٨٨/٨٧ و٨٩/٨٨ من إجمالى الحصيلة جهاز المحاسبات ذكر مؤخرا أن مئات الألاف من الملفات تختلف عن الفحص فى العام الأخير، وبزيادة ٢٨٪ عن العام السابق عليه، وأن مئات آلاف أخرى تخلفت عن استكمال إجراءاتها وأن معظم الملفات المتأخرة ملفات قطاع خاص.

الشعب الفلسطيني في الداخل

خلفيات الانتفاضة السياسية والاقتصادية والاجتماعية

المؤلف: فريق من الباحثين

بإشراف: كميل منصور

الناشر: مؤسسة الدراسات الفلسطينية

بدأ إعداد هذا الكتاب قبل اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في ديسمبر ٨٧ بهدف جعل فلسطين «ظاهرة» أكثر، «ومرئية» أكثر كما يقول كميل منصور في مقدمته، ولم يكن الهدف الاصلي من الكتاب بحث خلفيات الانتفاضة، التي اشتعلت وهو في طور الإعداد، بل أوضاع الفلسطينيين في الداخل والتي تدفع إلى مختلف أشكال الاحتجاج..

فالكتاب ليس مجرد بحث في النضال الفلسطيني، بل في الحياة الفلسطينية في الأرض المحتلة، ومن هنا يتأكد.. تميزه غير أن اندلاع انتفاضة الحجارة أغنى البحث بمادة حية ثرية، ووضع ديناميات المقاومة في الحياة الفلسطينية، تحت الاحتلال، في بؤرة الاهتمام، خصوصا بعد أن وضعت أزمة مابعد بيروت ٨٢ النضال الفلسطيني في عنق زجاجة. ويتابع الكتاب عبر فصوله الإثنى عشر رحلة الشعب الفلسطيني في الداخل في علاقتها بذلك الصراع المحتدم على الأرض والوطن والهوية منذ عام ١٩٤٨، وآثار ذلك على الأوضاع الديموغرافية والاقتصادية والثقافية والقانونية، وأشكال التعبير السياسي، مع ملاحظة تنوع الظروف بين الأرض المحتلة منذ عام ١٩٤٨ والتي يرفع سكانها العرب شعار «الحقوق المتساوية»، والأرض المحتلة بعد ٦٧ في الضفة وغزة. كما يحاول أن يستشرف في فصل ختامي احتمالات المستقبل الفلسطيني..

ويستعرض الكتاب تجليات قانون المشروع الصهيوني الرامي إلى تقليص الوجود العربي في الأرض المحتلة، وارتباط هذا المسعى بالحرب التي أسفرت عن موجتي هجرة كبيرتين في أعقاب حربي ٤٨، ٦٧ وبالاضطهاد السياسي والاقتصادي والقانوني والذي أسفر عن معدل هجرة يقارب ٢١ ألف سنويا، فما لم ينجح المشروع الصهيوني في تحقيقه بالحرب حاول تحقيقه بسياسة التهجير والاستيطان والتهديد على حلقات، تضع في اعتبارها تطويق السكان العرب بالمستوطنات. فالاستيطان في فلسطين جوهر الصهيونية، حيث تتم البداية ونقاط ارتكاز استيطانيه وسط محيط عربي، ثم توسيع هذه النقاط التي تم اختيارها بعناية لأولويات سياسية واستراتيجية وأمنية، ثم وصل وتكثيف نقاط الارتكاز لخلق تواصل إقليمي يمثل طوق يجري تضييقه على الدائرة الفلسطينية العربية.

وتوضح فصول الكتاب الاربع الأولى ملامح هذا القانون وتطوره في المراحل المختلفة وأثره على حياة الفلسطينيين. ولكن منذ عام ٦٧ سبق الجنود بدباباتهم المستوطنين بجرارتهم، وأوكلت إليهم مهمة توسيع الحدود. وعلى الصعيد الاقتصادي جرت محاولات رهن قطاعات الاقتصاد الفلسطيني في الزراعة والصناعة والتجارة وكل قطاعات الاقتصاد الأخرى بالاقتصاد الاسرائيلي.

ويتابع الكتاب في فصوله اللاحقه ديناميات عملية المقاومة الفلسطينية ويستعرض تجلياتها في مجالات التعليم والثقافة والتعبير السياسي والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ويلخص الاتجاه العام لهذه المقاومة في الدفاع عن الأرض والهوية، وفي المسعى الفلسطيني لبلورة ثقافة وطنية ومؤسسات تربوية وتعليمية فلسطينية، لازالت تعاني من إشكالية النضال في وطن محتل استيطانيا، ولكنها تقاوم حتى أحيانا من أجل زيادة حصص تدريس العربية.. كما تنتهي إلى ديناميات المقاومة انتفاضة الحجارة نفسها، التي تمثل التعبير الأعلى عن الاحتجاج الفلسطيني الذي وحد لأول مرة مختلف القوى السياسية في الداخل والخارج حول مشترك الدولة الفلسطينية المستقلة، كما بلور أعلى شكل للتعبير السياسي في الداخل «والقيادة الموحدة للانتفاضة»، تؤازرها مؤسسات نوعية نسائية، ومهنية، وأشكال نضال أبدعتها الجماهير، وثقافة مقاومة صهرت مختلف أشكال الاحتجاج في متحدات وطنية».

وفي هذا السياق يبدو إفراد فصول خاصة للأوضاع في قطاع غزة والضفة الغربية التي حملت شرارة المقاومة، وخاطبها شعار الدولة أمرا لازما لتوضيح طبيعة الحياة الفلسطينية على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وكذلك محاولة منهم معضلات تكتيكات واستراتيجية النضال الفلسطيني..

ولقد حاول الكتاب أن يقترب من معضلات الوضع الفلسطيني بعد الانتفاضة، كما حاول أن يتجاوز مسألة الافضليات التي تمنح لأشكال النضال، وتنوع مجالاته «الداخل» و «الخارج» بصرف النظر عن الشروط المتغيرة للنضال الفلسطيني في علاقته ببيئته المحلية والعربية والدولية.

مدحت الزاهد

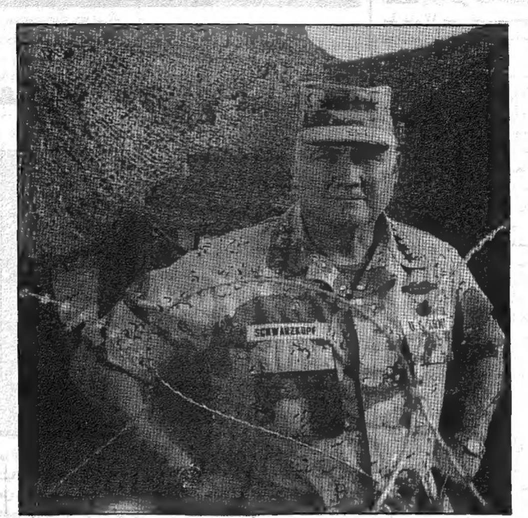

نورمان شوارزكوف

من شابه أباه فما ظلم..!

د. عبد العظيم أنيس

إذا أردنا أن نفهم من هو نورمان شوارزكوف قائد العدوان الغربى الهمجى على العراق فقد لايهمنا كثيرا أن نعرف متى ولد، وبأى المدارس فى صباه التحق، ومتى دخل كلية «وست بوينت» العسكرية ومتى تحول فى طريقه العسكرى من السلاح البرى إلى سلاح المظلات.. فربما - لو فعلنا هذا - نضيع فى بحر من التفصيلات التى ليس لها دلالة هامة فى فهم عقلية هذا الرجل ودوافعه النفسية.

غير أن هناك مسألتين هامتين دالتين اكثر من غيرها لفهم شوارزكوف وطموحاته ونوازعه.. أولهما أن اهتمامه بقضية الخليج ونفطه لايعود بالمرة إلى ٢ أغسطس يوم غزو العراق للكويت وإنما يعود إلى أبعد من ذلك بكثير.

بل ربما كان من الضرورى أن نوضّح أن لهذا الاهتمام بنفط الخليج تقاليد ثابتة فى عائلة شوارزكوف، لقد كان أبوه جنرالا أيضا فى الجيش الامريكى! وعلى الرغم من أنه بدأ حياته كضابط شرطة إلا أنه انتقل بسرعة إلى الشرطة العسكرية فى الجيش الامريكى حتى أصبح جنرالا خلال الحرب العالمية الثانية حيث كلف بمهمة تدريب البوليس الامبراطورى لشاه إيران بعد انتهاء الحرب العالمية. وبهذه

الصفة لعب شوارزكوف (الأب) دورا مرموقا- ضمن مجموعة الرجال الامريكيين من موظفي الخارجية والمخابرات في نقل السيطرة على نفط إيران من الاحتكارات البريطانية إلى الاحتكارات الامريكية. ولقد أعاد الأمريكيون الشاه إلى العرش، وبقى حكمه أكثر من ربع قرن ضمانا لهذه السيطرة الامريكية حتى قام الخميني عام ١٩٧٩ بتحدى تلك السيطرة وانهائها بثورته المعروفة.

وقبل غزو الكويت بزمن طويل كان شوارزكوف الأبن هو قائد القيادة المركزية لما عرف باسم قوات الانتشار السريع، وهي القوات التي تمثل ذراع أمريكا الطويل القادر على الوصول إلى أى منطقة في العالم يقع فيها «اضطراب»، أي بمعنى أدق تتحدى فيها حركة تحرر وطني في أي من بلدان العالم الثالث السيطرة الامريكية على هذا البلد. وهو بهذه الصفة كانت لديه خطط عسكرية جاهزة في مركز قيادته لإعادة احتلال إيران على أساس أن التهديد الحقيقي لنفط إيران والخليج إنما يأتي من الشمال عندما يزحف «الدب الروسي» إلى مياه الخليج الدافئة للاستيلاء على نفطه. ومن المفارقات المثيرة للابتسام أن زملاء شوارزكوف في كلية «وست بوينت» كانوا يلقبونه بـ «الدب» لضخامة جسده.

لكن الموقف تغير كثيرا بعد جورباتشوف والبيروسترويكا، فلم يعد من السهل على أحد من واضعي الاستراتيجيات في واشنطن الاستمرار في الإدعاء بأن الخطر على نفط الخليج يأتي من موسكو، وأصبح من الضروري إعادة النظر في تلك الاستراتيجية.

وشاءت الاقدار أن يقوم شوارزكوف بتلك المهمة منذ نحو عام أي قبل غزو العراق للكويت بعدة شهور، وقيل إنه حدد في استراتيجيته الجديدة العراق بالذات باعتباره الخطر الرئيسي على السيطرة الامريكية على نفط الخليج، وأعاد تنظيم قياداته وتدريب مساعديه على هذا الأساس منذ فبراير الماضي.

فهل يكون غريبا بعد كل ذلك أن يعينه بوش قائدا لقوات التحالف في الخليج؟

ذلك هو إذن الاعتبار الأول. أما الاعتبار الثاني لفهم هذا الرجل فإنما يتمثل فيما يمكن أن تسميه «عقدة فيتنام» لدى العديد من العسكريين الامريكيين المحترفين. فمنذ الحرب العالمية الثانية التي أنجحت في نهاية الأمر نجاح السلاح الامريكي، دخلت المؤسسة العسكرية الامريكية في تجربتين حربيتين كبيرتين.. الاولى في كوريا والتي انتهت بأنه لا غالب ولامغلوب، والثانية في فيتنام حيث استطاع جيش من العالم الثالث سلاحه أضعف بكثير من السلاح الامريكي هزيمة القوات الامريكية بعد سبع سنوات. لذا يمكن أن تقول- دون مبالغة- أن عقدة فيتنام وماحدث فيها مازالت تطارد العسكريين الامريكيين- ومنهم شوارزكوف- حتى اليوم، ومازالت تطاردهم صور مظاهرات الشعب الامريكي العاتية والمحاصرة للبيت الأبيض والكونجرس والمطالبة بوقف الحرب، وصور الطلبة الامريكيين وهم يبصقون على الجنود الامريكيين العائدين من الجبهة في احتقار.. لا للهزيمة فقط، وإنما للجرائم البشعة التي ارتكبها الامريكيون ضد المدنيين في فيتنام أيضا.

ولقد تركت تلك الحرب الكثير من الندوب في قلوب الضباط الامريكيين المسئولين عن إدارة العمليات في فيتنام، وكان نورمان شوارزكوف واحدا من هؤلاء.

بعد انتهاء حرب فيتنام ظهر في الولايات المتحدة كتاب عنوانه «نيران صديقة» ورد به اتهام نورمان شوارزكوف بأنه مسئول عن قتل العشرات من الجنود الامريكيين، وكان هذا الاتهام موجها في حقيقة الأمر من عائلات هؤلاء الجنود. والقصة تتلخص في أن شوارزكوف كان يقود كتيبة أمريكية- أعلى تل- تتوقع هجوما فيتناميا من الوادي، وكانت المدفعية الامريكية المساندة للكتيبة تقف خلفها في منطقة منخفضة. وأعطى شوارزكوف أوامره بإطلاق نيران المدافع على مواقع الفيتناميين، وبدلا من أن تقع قذائف المدافع على مواقع الفيتناميين إذ بها تصطدم بالأشجار العالية أعلى التل وتقع شظاياها على الجنود الامريكيين في مواقعهم لتصرعهم.

ولم يكن كتاب «نيران صديقة» هو الشيء الوحيد الذي صدر عن تلك الواقعة، بل قامت السينما الامريكية بتصوير فيلم تلفزيوني عن نفس الموضوع. ولعل تلك الواقعة تذكرنا بما حدث في معركة «الخافجي» منذ أيام في السعودية حيث أشارت بعض التقارير الامريكية بأن الذين قتلوا من جنود مشاة البحرية في الساعات الأولى من المعركة إنما ماتوا بسبب أخطاء النيران الامريكية، وحالة الفوضى والذعر التي نجمت عن دخول القوات العراقية فجأة مدينة «الخافجي» فجر يوم ٢٩ يناير.

أما الندبة الأخرى في قلب شوارزكوف من أيام فيتنام فقد حدثت نتيجة استراتيجية أسلوب حرب العصابات الذي اتبعه الفيتناميون- ومن قبلهم الصينيون- في معاركهم مع الامريكيين، وما فرضته الحدود الكمبودية مع فيتنام من قيود على تحركات الامريكيين.

ولقد شاءت ظروف شوارزكوف أن يعمل خلال خدمته الثانية في فيتنام- بالقرب من الحدود الكمبودية، ووصف هو نفسه إحباطات تلك الفترة في حديث له قال فيه «كان العدو يهجم عبر الحدود ويضرب ويهرب. وعندما نبدأ نحن في السيطرة عسكريا على الموقف لم يكن مسموحا لنا أن نتعقبه عبر الحدود وكان هذا محبطا لنا».

ومن هنا تبدو الأهمية الكبرى لحديثه مع الصحفيين- قبل بدء حرب الخليج بأيام- عندما سئل إن كان هدفه الرئيسي هو تحرير الكويت أم أن من الضروري والمنطقي في رأيه الهجوم على العراق. فقد أجاب قائلا «إنه يفضل ألا يدخل في تفاصيل كثيرة» لكنه أردف بعد لحظة تفكير« عندما تذهب إلى الحرب تمضي إلى نهاية المشوار.. هذا هو طريقي، لاحدود كعمودية بعد اليوم»!

ولعل هذا يفسر التقارير التي وردت في الصحافة الامريكية والتي قالت إنه طلب من بوش أن يقنع القادة العرب بأن يمنح الحرية الكاملة في تخطيط عملية الخليج وتنفيذها، حتى ولو عنى هذا عبور حدود بعض البلدان العربية، وحتى ولو كان معنى هذا غزو كامل للعراق ودخول قوات التحالف مدينة بغداد!

ولقد هدد شوارزكوف بأنه إذا لم يمنح هذا التفويض الواسع فإن البديل عن ذلك هو مستوى عال من الخسائر البشرية في صفوف القوات الامريكية.

ولأنه يعلم أن هذا الموضوع- الخسائر البشرية الامريكية- موضوع حساس لدى بوش ولدى الكونجرس والرأي العام الامريكي ولأنه يعلم أن بوش بعد أقل من عامين سوف يرشح نفسه ثانية لرئاسة الجمهورية، فقد كان واثقا أن بوش سوف يستجيب لطلباته.

وربما كان هذا هو المغزى الحقيقي لزيارات بيكر المتكررة للمنطقة العربية قبل بداية العدوان، ولقاءاته مع فهد ومبارك والاسد وغيرهم من الحكام.

لقد قال شوارزكوف يوما عند حديثه عن فيتنام «إنني أمقت مافعلته فيتنام في بلادنا وأمقت مافعلته فيتنام في الجيش الامريكي». ولعله لهذا السبب يرى في معركة الخليج فرصة لا لإعادة تأكيد السيطرة الامريكية على نفط الخليج فحسب، وإنما لاعادة الاعتبار لهذا الجيش أيضا.

ومن مفارقات الأقدار أن تضع في يد شوارزكوف كل مفاتيح فرصة إعادة انتخاب بوش- رئيسا للولايات المتحدة- في نوفمبر ١٩٩٢. ولكنه في الحقيقة لايتحكم في مصير بوش وحده، وإنما يتحكم في حقيقة الامر في مصير العديد من الحكام العرب ومصير أنظمتهم، بما سوف تسفر عنه معركة الخليج.

وما إذا كانت سوف تستمر أسابيع أو شهورا أو سنينا!

سري نسيبة "ترانسفير سياسي"

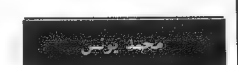

في التاسع والعشرين من يناير حاصرت خمس سيارات عسكرية محملة بالجنود منزل «سري نسيبه» في ضاحية «ابو ديس» بالقدس الشرقية وقبضت عليه ووجهت السلطات الاسرائيلية لسري استاذ الفلسفة بجامعة بيرزيت تهمة «جمع معلومات أمنية وتسريبها للعراق عبر أعضاء في منظمة التحرير الفلسطينية» وقال متحدث عسكري اسرائيلي أن سري سرّب إلى بغداد عن طريق المنظمة معلومات سرية عن الهجمات الصاروخية العراقية على اسرائيل. وقد نفى سري هذا الاتهام جملة وتفصيلاً. وأبدت زوجته «لوسي» الانجليزية المولد عجبها متسائلة «كيف يتخابر في ظل حظر التجول الذي ألزمه البيت؟...إن معلوماته عن الصواريخ لاتتجاوز ماعرضه التليفزيون!»

لقد جعلت السلطات الاسرائيلية همها منذ بعض الوقت أن تطارد «المعتدلين». كما انها دائما ترددأن سري هو الأب الروحي للانتفاضة والعقل المدبر لها. وسجل مطاردة السلطات الاسرائيلية لنسيبه طويل ففي مايو عام ١٩٨٩ وجهت السلطات له تهمة الاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية، وتمويل الانتفاضة وكتابة بياناتها وتوزيعها. إلا أنها اضطرت للإفراج عنه لعدم كفاية الأدلة. لتبدأ في ممارسة أسلوب آخر هو التشويه بعد ذلك مباشرة، حيث وزعت منشورات موقعة باسم منظمة لم يسمع بها أحد تدعى «الجيش الشعبي في فلسطين» تتهم «سري نسيبه» بالاسم ومناضلين آخرين تلميحا بالفساد وأجمعت الشخصيات البارزة في الأراضي المحتلة على أن مصدر هذه المنشورات هو جهاز الأمن الداخلي الاسرائيلي (شين بيت).

وفي منتصف يونيو ١٩٨٩ أغلقت سلطات الاحتلال (المكتب الصحفي الفلسطيني) الذي يشرف عليه «سري نسيبه» وقال الجنرال «عمرام ميتزنا» قائد المنطقة العسكرية الوسطى الذي أصدر أمر الإغلاق، أن نسيبه أحد قادة الانتفاضة وانه ربما حول مئات الآلاف من الدولارات لتمويلها، والمكتب الصحفي يخدم أغراض منظمة التحرير الفلسطينية والانتفاضة وكانت السلطات الاسرائيلية قد أوقفت قبل ذلك نشرة اسبوعية بالانجليزية عن الأراضي المحتلة اسم (ويكلي مونداي ريبورت) كان يصدرها نسيبه.

ولقد تردد أسم سري عندما طرحت خطة «بيكر» لتسوية سلمية في الشرق الأوسط. وكان سري -٤١ عام- وهو ابن لعائلة من كبرى عائلات القدس وابن لانور نسيبه وزير الدفاع الأردني الأسبق، مرشحا ضمن الوفد الذي يمثل الفلسطينيين باعتباره أحد ممثلي الاعتدال، وباعتباره من الذين يؤمنون بإقامة دولتين كحل للقضية الفلسطينية، وأحد دعاة التعايش والسلام بين الدولتين لكن اسرائيل عملت على مطاردة هؤلاء المعتدلين فبدأت بالصحفي «زياد ابو زياد» و«رضوان ابو عياش» رئيس رابطة الصحافيين الفلسطينيين، وكانا مع نسيبه يمثلون مثلث المعتدلين، ومن الوجوه التي ينظر إليها على أنها معبرة عن منظمة التحرير الفلسطينية وبخاصة حركة فتح في الأراضي المحتلة.. وأصدرت السلطات الاسرائيلية أمراً باعتقال زياد وابو عياش بتهمة التحريض وذلك في نوفمبر الماضي إلى أن أتى الدور على نسيبه في أواخر شهر يناير فما تفسير اعتقال نسيبه؟

يقول «فيصل الحسيني» رئيس جمعية الدراسات العربية أن لاعتقال نسيبة أبعاداً سياسية، إذ يهدف الاعتقال الى وقف الانشطة السياسية لنسيبه، وإلى تشويه القيادات الفلسطينية، وتحدى سلطات الاحتلال إن كانت صادقة ان تقدمه للمحاكمة.

أما صحيفة «الجيروزاليم بوست» فترى أن السلطات أقلقها مقال كتبه نسيبه قبل أسبوع من اعتقاله أيد فيه بشدة العراق في صحيفة «الفجر»، وقال فيه إن الولايات المتحدة كانت بحاجة بعد زوال الخطر الشيوعي إلى«عدو شيطاني»، وأن غزو العراق للكويت وفّر فرصة ذهبية لها لكي تجرب أسلحتها المتطورة التي كانت تنوي استخدامها ضد الاتحاد السوفيتي، واستخدام العراق كمختبر

لتجريب هذه الأسلحة. وأن واشنطن أخذت على عاتقها الحيلولة دون نشوء قوة عربية موحدة يمكن أن يكون لها القول الفصل بالنسبة لموارد المنطقة البترولية. وللحيلولة في الوقت ذاته دون سيطرة المجموعة الاوروبية على نحو خاص على هذه الموارد.. وأنه لهذا السبب حشدت الولايات المتحدة قواها العسكرية والدبلوماسية لإذلال العراق وتدميره متذرعة بانه ليس أمامها من خيار سوى طرد العراق من الكويت.

اما «حنان الشرعاوى» الاستاذة الجامعية البارزة بالضفة الغربية، فإنها ترى أن الاتهامات التى وجهت إلى نسيبه ليست إلا محاولة «لاغتيال شخصيته». لقد حاولوا ذلك مع فيصل الحسينى والآن يجربون هذا الاسلوب مع سرى. إنها محاولة لحرمان الشعب الفلسطينى من قيادته وتشويه هذه القيادات وانتقادها المصداقية. إنها نوع من الترانسفير (الترحيل) للقيادات أو «ترانسفير سياسى» على حد تعبير الحسينى.

وفضلا عن ذلك كتب نسيبه قبيل اعتقاله مقالا بمناسبة مرور ثلاث سنوات على الانتفاضة دعا فيه إلى ترشيد الانتفاضة باتجاه تشكيل جهاز حكومى خاص بها واعلانه باعتبار ذلك امتدادا طبيعيا ومنطقيا وتاريخيا للمراحل التى خطتها الانتفاضة ليستعيد الشعب الفلسطينى المبادرة ميدانيا ودوليا. ولاريب أن مثل هذا التخطيط للانتفاضة لايمكن أن يمر أمام أعين السلطات الاسرائيلية دون رد فعل.

إن اعتقال نسيبه يضم هذه الاسباب جميعا. محاولة التخلص من القيادات الفلسطينية فى الداخل وتشويه هذه القيادات، وذلك فضلاً عن شل فاعليتها فى العمل وسط الجماهير الفلسطينية وعزل هذه القيادات عن الانتفاضة التى تشكل صراعاً دائما لهذه السلطات وتهدد بأن تتسع نطاقاً وقوة، غير أن هناك عاملاً آخر لاريب أنه يلعب دوراً مهما فى هذه اللحظات ألا وهو الحرب التى تدور رحاها فى الخليج، تلك الحرب التى ترى أسرائيل أنها ستخرج بعدها أكثر قوة عن ذى قبل، بحيث لايلزمها التعامل مع المعتدلين ولاغيرهم، حيث يمكنها حينئذ أن تكمل حلقة هجرة اليهود السوفيت وتوطينهم بالترحيل أو الترانسفير.

حرب الخليج

مفاجآت السلام... تربك "بوش" وحلفائه!

أمريكا.. تطالب بإسقاط صدام وقتله

في اليوم الثلاثين لبدء العدوان الأمريكي على العراق، أعلن الناطق العسكري الأمريكي في الرياض «الجنرال ريتشاردنيل» أن الطائرات الحليفة شنت على العراق خلال هذه الفترة ٧٨ ألف طلعة على أهداف عراقية، وشملت هذه الأهداف المنشآت النووية والكيماوية والبيولوجية، ومراكز القيادة والسيطرة، والمطارات والدفاعات الجوية والطائرات، وخطوط المواصلات، وخزانات الوقود، والدبابات، والمدفعية وقد شنت القوات الجوية والبحرية (صواريخ كروز) موجات متتالية ضد مدينة البصرة. وكان الحرس الجمهوري طوال هذا الشهر، خاصة في الأيام الأخيرة منه، هدفا دائما للغارات الأمريكية الأطلسية.. جنوده ومدرعاته ومدفعيته ودفاعاته المحصنة في العراق والكويت.

ورغم الادعاء بأن الولايات المتحدة وحلفائها يركزون هجومهم على أهداف عسكرية بحتة يحددونها بدقة بالغة نظرا للتقدم التكنولوجي، فقد تعرضت مئات من الأهداف المدنية بما في ذلك المساجد والكنائس ومصانع إنتاج مدنية (مصنع لبن الأطفال) والأحياء السكنية إلى قذف مباشر من الصواريخ والطائرات الأمريكية والبريطانية والحليفة بشكل عام، كما تعرض آلاف المواطنين العراقيين للقتل والإصابة نتيجة لهذه الغارات.

ووصل العدوان على المدنيين قمته، وضبطت الولايات المتحدة متلبسة بجريمتها، عندما شنت غارة مستهدفة ملجأ «العامرية» يوم ١٣ فبراير، قتل فيه مايزيد عن ٧٠٠ مدني أغلبهم من النساء والأطفال والشيوخ، ولم تفلح جهود «بوش» وأعوانه في الإدعاء بأن الملجأ كان هدفا عسكريا، وأنه أحد مراكز القيادة العسكرية، فقد أثبت مراسلوا

صدام حسين

الصحف والتليفزيون الغربيين، خاصة الذين يعرفون بغداد، أن المبنى مخصص منذ سنوات كملجأ للمدنيين.

ورغم عنف القصف وضراوته، قدرت المصادر الأمريكية أن أكثر من نصف مليون طن من القنابل شديدة الإنفجار والانشطارية والمدمرة والحارقة الموجهة بالليزر والتي تدمر حوائط معدة لمواجهة الحرب الذرية، لم تدمر أكثر من ٣٠٪ من آلة الحرب العراقية.

وبدا واضحا أن الرئيس الأمريكي بوش على وشك إصدار قرار بدء الحرب البرية. فطبقا لما سمي بـ «الفلسفة الجديدة لمخططي الاستراتيجية الأمريكية من فيمايتعلق بالحرب الجوية البرية» والتي وضعت أساسا لحرب محتملة مع الاتحاد السوفيتي، وطبقت لأول مرة في العدوان على العراق.. فبالإضافة إلى مفهوم «المواجهة العسكرية، أضيف مفهومي» القتال في الخطوط الخلفية» و«القتال في العمق».

ويهدف «القتال في الخطوط الخلفية» إلى تدمير السلاح «اللوجيستي» المعادي مثل مراكز الإتصال والقيادة وشبكات التموين.

في حين يهدف «القتال في العمق» إلى خفض قدرة الخصم على الأضرار

بـ «القتال المتواجه» الذي يحصل في فترة لاحقة.

وقد استغلت الولايات المتحدة الأمريكية، شهرا كاملا، هي وحلفائها الغربيين والعرب، في القتال في الخطوط الخلفية والقتال في العمق، وأصبحت مع بداية الشهر الثاني للعدوان على استعداد للقتال المتواجه... أي الحرب البرية.

لاسلام... مع صدام

ولم تكن أهداف أمريكا من هذا العدوان بمراحله المختلفة- في حاجة إلى إجتهاد. فقد تكفل المسؤولون في واشنطون والرياض، بتوضيح هذه الأهداف، وبصورة أكثر سفورا كلما اقتربت لحظة «القتال المتواجه».

فكما قالت مجلة تايم الأمريكية (٤ فبراير ١٩٩١)، فإن بوش ومساعديه لايخفون نية الولايات المتحدة على تدمير قوة العراق العسكرية (والاقتصادية) «حتى لاتشكل في المستقبل أي تهديد لجيرانها.» (طبقا للمصادر الغربية فقد تم تدمير ١٣٠٠ دبابة عراقية و٨٠٠ عربة مصفحة، و١١٠٠ قطعة مدفعية حتى يوم ١٤ فبراير)

وفي نفس الوقت، فالولايات المتحدة تهدف إلى... » فرض أقصى حالة من الانبهار بالتكنولوجيا العسكرية الأمريكية، والمحو الكامل للآثار الوخيمة التي خلفتها حرب فيتنام على علاقة المؤسسة العسكرية ببقية مؤسسات الدولة الأمريكية. واستعادة الروح الوطنية العسكرية إلى نفوس الشباب الأمريكي..» كما يقول «جميل مطر» رئيس المركز العربي لبحوث التنمية والمستقبل.

ولكن يبدو أن الهدف النهائي أبعد من ذلك بكثير فالتصريحات الأخيرة، طوال شهر فبراير تشير إلى أن الهدف هو «شخص» صدام ونظامه، وكل البناء الاقتصادي والعسكري الذي تحقق خلال حكمه.. كدرس لكل حاكم يفكر، لأسباب وطنية أو قومية أو شخصية أو مغامرة، في الخروج عن طوع السيد الجديد-الولايات المتحدة الأمريكية.

ونبدأ بتصريح غريب لرئيس الوزراء البريطاني «جون ميجور» عندما سئل عن رأيه في احتمال قتل صدام حسين.. فقال..«من المؤكد لن أذرف الدموع عليه.

وتنقل مجلة التايم الأمريكية عن مسئول أمريكي كبير قوله: «كل يوم يمر ومازال صدام حيا، يعد انتصارا له وخسارة لنا» وتضيف أن أمريكا لاتريد ان تعلن أن صدام هدفا لها ثم تفشل في تحقيقه، وأن طائرات الحلفاء قد قذفت بالفعل القصر الجمهوري، ومركز القيادة، وكل القصور والأماكن التي قالت المخابرات باحتمال وجوده فيها.

وأعلن نائب مستشار الرئيس بوش للأمن القومي، أن محاكمة صدام حسين «بديل علينا أن نحتفظ به»

ويعود «ميجور» في ١٠ فبراير، بعد

تصريحه بعدة أيام فيعلن أنه سيكون سعيدا إذا أطاح الشعب العراقي بالرئيس صدام حسين «..لأنه ارتكب العديد من الجرائم خلال حكمه».

وفجأة تصبح قضية القضاء على صدام هي النغمة العالية في أحاديث المسئولين الأمريكيين..

فجيمس بيكر يعلن (١٧ فبراير ٩١) في حديث مع شبكة «سي.إن.إن» أن بقاء صدام حسين في السلطة سيجعل الجهود الرامية إلى تحقيق الاستقرار في الخليج والشرق الأوسط..» أمرا أقل احتمالا، لا بل قد يؤدي إلى العكس»..«ولن نذرف الدموع إذا قرر الشعب العراقي تغيير قيادته».. «إن غياب الرئيس العراقي من السلطة سيعتبر نتيجة مرغوب فيها، للحرب الراهنة».

ودعا «بوش» شعب العراق وجيشه للإطاحة بالرئيس العراقي. وتلاه تشيني قائلا.. «وإن الرئيس شجع بالتأكيد فكرة قيام ضباط الجيش بدراسة إمكانية قيام حكومة جديدة في العراق. وذكرت صحيفة «لوس أنجلوس تايمز» الأمريكية أن مصادر على صلة بالرئيس بوش، تقول أن النزاع في مرحلته الراهنة في ذهن بوش نزاعا شخصيا. وإن الرئيس لن يرضى بشيء دون إزاحة صدام حسين من الحكم وتدمير معظم إمكانات العراق الحربية، وليس تحرير الكويت. ونقلت عن مصدر حكومي أمريكي (٩١/٢/١٨) قوله «إن الرئيس الأمريكي ليس مستعدا بعد لإنهاء الحرب لأن جزءا كبيرا من الآلة الحربية العراقية لايزال سليما».

وأعلن حليف أمريكا (ومصر والسعودية وسوريا بالتبعية) شامير رئيس وزراء إسرائيل، إن «هناك الكثيرين في هذه المنطقة وفي العالم لايريدون أن يروا صدام حسين يتحكم بقيادة آلة عسكرية كبيرة وقوية، بعد انتهاء القتال الحالي..»

أمن أمريكي

ومع صدام كهدف، وفي ترابط معه، برز أيضا هدفا آخر لايقل أهمية عنه، وهي ترتيبات مابعد «هزيمة» العراق وتصفية قوته العسكرية والاقتصادية، ودوره السياسي.

وقد شكلت واشنطون فريق عمل برئاسة «روبرت جيتس» نائب مستشار الرئيس للأمن القومي، ونائب مدير المخابرات المركزية (سي-أي-إيه) في الفترة من ٨٦ إلى ١٩٨٩، للبحث في الخيارات المطروحة بعد الحرب. وقد أعلن جيتس أنه بعد إنتهاء الأزمة، ستبدو رقعة الشطرنج في الشرق الأوسط مختلفة عما كانت عليه قبل ٢ أغسطس.. وما نبحثه الآن هو بعض الأفكار التي تملكها حول الهيكلة الأمنية «للمنطقة» مع ترتيبات على الصعيدين السياسي والاقتصادي..» وقال «جيمس بيكر» إن الخليج في حاجة إلى «ترتيبات أمنية جديدة ومختلفة عما كان الوضع في السابق.. وأن المطلوب حل ثلاث مشاكل هي : ماهي أهداف أو مبادئ الترتيبات الأمنية. وماهو دور الدول المحلية. والمنظمات الإقليمية والمجموعة الدولية. وماهي المتطلبات العسكرية بعد انتهاء الحرب..»

وتؤكد المصادر الأمريكية مجموعة من الأسس..

* أولها أن هذه الترتيبات تتطلب وجود أمريكا (جويا وبحريا، وتسهيلات برية) مع التأكيد على سحب القوات البرية الموجودة حاليا. وهو أمر طبيعي فلايمكن تحمل نفقات مايقرب من نصف مليون جندي أمريكي بعد الحرب، أو أثر ذلك سياسيا بالنسبة لشعوب المنطقة، بالإضافة إلى عدم الحاجة لهم عسكريا.

* ثاني هذه الأسس، هي ضرورة إشراك إسرائيل وتركيا وإيران في هذه الترتيبات

وثالثا، استبعاد منظمة التحرير الفلسطينية من هذه الترتيبات التالية للحرب، ومناقشة تحقيق السلام العربي الإسرائيلي.

وقد أوضح بيكر أنه «لم يكن للمنظمة أي دور في الجهود التي بذلناها خلال ١٤ شهرا من أجل قيام حوار إسرائيلي.. فلسطيني.. والصحيح أنه ليس للمنظمة مكانا حول مائدة المفاوضات».

وقد بادر حلفاء الولايات المتحدة الثمانية «حكومات مصر والسعودية وسوريا، ودول الخليج الخمسة الأخرى» إلى عقد اجتماع لوزراء خارجيتهم في القاهرة، أعلنوا فيه إنشاء هيئة للتعاون والتنسيق بين دول مجلس التعاون الخليجي ومصر وسوريا، في المجالات الاقتصادية والأمنية والسياسية. وخلى بيانهم الذي أشار بوضوح إلى حل القضية الفلسطينية بعد انتهاء الحرب، واستبعد لأول مرة أية إشارة إلى منظمة التحرير الفلسطينية.

مفاجأة بغداد

وهكذا بدا أن الأهداف الأمريكية جاهزة للتحقق، ولم يبق إلا بدء المرحلة الأخيرة عن الحرب، وهي المعركة البرية.

ولكن، ومن حيث لايتوقع أحد، جاءت المفاجأة الأولى.

أعلن مجلس الثورة العراقي، بعد اجتماع عقده برئاسة «صدام حسين» بيانا ظهر يوم الجمعة ١٥ فبراير، قبل فيه قرار مجلس الأمن بانسحاب العراق من الكويت، وجاء في البيان.. «من أجل تفويت الفرصة على الحلف الشرير لتحقيق أهدافه المرسومة والمدبرة . وتقديرا لمبادرة الاتحاد السوفييتي التي حملها مبعوث القيادة السوفييتية (مشيراً إلى زيارة بريماكوف لبغداد كمبعوث شخصي لجورباتشوف).. قرر مجلس قيادة الثورة..

أولا.. استعداد العراق للتعامل مع قرار مجلس الأمن رقم ٦٦٠/ ١٩٩٠ بهدف التوصل لحل سياسي مشرف ومقبول بمافي ذلك الانسحاب..» ثم أورد القرار مجموعة من القضايا أما الشروط تتعلق بالوقف الفوري لإطلاق النار وإلغاء قرارات مجلس الأمن التالية، وقرارات المقاطعة والحظر، وسحب القوات الأمريكية والحليفة، بما في ذلك الأسلحة الجديدة التي زودت بها إسرائيل ، انسحاب اسرائيل من الأراضي المحتلة وتطبيق قرارات مجلس الأمن التي صدرت في حق العراق ضد إسرائيل في حالة رفضها الأنسحاب.. الخ.

كان هذا الإعلان ، هي المرة الأولى التي تعلن فيها القيادة العراقية، قبول مبدأ الانسحاب من الكويت. وقد استقبل العراقيون بالبكاء، والزغاريد والرقص في الشوارع، وأطلق السائقون أبواق السيارات، وخرجت الأسر من المخابئ. وفي موسكو أعلن متحدث باسم جورباتشوف.. أن موسكو تلقت النبأ الإيجابي من العراق ارتياح وأمل، وأن الاتحاد السوفيتي ينتظر بأمل زيارة وزير الخارجية العراقي طارق عزيز «ورحب رئيس مجلس الأمن بالبيان العراقي ووصفه بأنه «تطور إيجابي ينطوي على عناصر جديدة». وأكد الأمين العام للأمم المتحدة «بيريز دي كويلار».. أن «البيان يستحق الدرس باهتمام «ووصف الإشارة الواردة فيه عن الاستعداد للانسحاب بأنها نقطة هامة.

بينما وصف بوش البيان بأنه «خطوة إلى الوراء» و«خدعة وحشية» وسانده رئيس وزراء بريطانيا ، ورئيس الجمهورية الفرنسي «ميتران».. وكذلك وزراء خارجية مصر وسوريا ودول مجلس التعاون الخليجي، الذين رفضوا البيان باعتباره يتضمن شروطا غير مقبولة ومرفوض جملة وتفصيلا»!!

وأشارت مصادر أمريكية إلى أن القيادات السياسية للدول المتحالفة «تريد حاليا الإسراع في بدء المعركة البرية قبل تفاقم البلبلة السياسية التي أحدثتها المبادرة العراقية، إذ أن المبادرة لاقت بعض التأييد المحدود من قبل دول كانت تقف تماما مع التحالف الدولي المناهض للعراق».

وفي نفس الوقت ، تلقى «بوش» رسالة «جورباتشوف» يطلب منها تأجيل موعد الهجوم البري الى مابعد زيارة طارق عزيز لموسكو. وكانت هذه الرسالة مقدمة للمفاجأة الثانية.

موسكو تتحرك

قبل أن يعلن صدام قراره بقبول مبدأ الانسحاب، وقبل وصول بريماكوف، كان هناك جديد يجري في موسكو.. وكانت هناك إشارات لايمكن تجاهلها.

صرح «الكسندر دزاسوخوف» عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي ورئيس لجنة الشئون الدولية في البرلمان بأن بلاده ترفض توسيع نطاق الحرب والإضرار بالمدنيين وأضاف أن «الحرب ترتب

عليها كوارث..وقد تكون خرجت على ما كان مقدرا لها»، وحذّر «زاسوخوف» من أن تصبح حرب الخليج «سببا للتراجع عن العمليات الإيجابية في العالم» وطالب الولايات المتحدة بأن لاتطمع وحلفاءها إلى «وجود مباشر في المنطقة.

وأعلن «جورباتشوف».. أن سير العمليات الحربية بدأ يهدد بتجاوز الصلاحيات والأهداف التي حددها مجلس الأمن في القرار ٦٧٨.

وبدأ الجنرالات السوفييت يدخلون إلى الحلقة. فأعلن الجنرال «بوريس جولشيف»..«عندما نرى المجزرة التي تودي بحياة هذا العدد من الناس، فإننا نتساءل ماإذا كان مايحدث هو فعلا حرب لحماية سيادة الكويت !!

وأكد الجنرال «الكسندر أوفتشينكو» المساعد الأول لرئيس القيادة السياسية للجيش والأسطول البحري إن «كل حرب هي مأساة بالنسبة للدول والشعوب.. ويجب اتخاذ تدابير عاجلة وحازمة لتسوية القضية سلميا»

وبعد عودة بريماكوف، وحديثه عن بصيص من الأمل، ثم وصول طارق عزيز للعاصمة السوفيتية. وقعت المفاجأة الثانية وهي المبادرة السوفييتية التي قدمها جورباتشوف يوم الاثنين ١٨ فبراير وطالب من العراق قبولها.

ورغم عدم الإعلان التفصيلي عن الخطة السوفيتية فمن الواضح أنها تقوم على الانسحاب العراقي الشامل وغير المشروط، مع ترتيبات أخرى تستجيب بشكل أو بآخر لعدد من الموضوعات التي تهم أمن وسلامة واستقرار دول الشرق الأوسط.

وواكب هذا الإعلان ضغط آخر من الماريشال «سيرجي أخروميف» مستشار جورباتشوف العسكري حيث أعلن أن القوات الدولية تجاوزت في صورة واضحة تفويض مجلس الأمن.. ولم يعد السكوت ممكنا على حرب شعب العراق واقتصاده»

حرب... جديدة

كانت المبادرة السوفييتية بمثابة زلزال هز العالم كله. وبادرت دول عديدة من التحالف المعادي للعراق بإعلان تأييدها للمبادرة مثل إيطاليا وأسبانيا وهو لندا وألمانيا. وكذلك عدد من الدول العربية من بينهم دول المغرب (بما فيهم المملكة المغربية)، وأيضا الصين فيما تحفظت الولايات المتحدة الأمريكية، وأعلن تشيني وزير الدفاع «إن وقف إطلاق النار في الخليج سيكون خطرا جديدا.. لقد عملنا بمشقة لتحقيق بعض الأهداف وإضعاف القدرات العسكرية العراقية، ووقف إطلاق النار قد يؤدي في النهاية إلى وقوع خسائر أكبر وسيكون ذلك خطيرا للغاية من وجهة نظر القوات الأمريكية والحليفة».

واعتبر بوش أن الخطة السوفييتية أقل بكثير مما قد يكون مطلوبا وبدا أن الولايات المتحدة وبريطانيا - وبعض «الحلفاء» العرب - يرفضون أو يتجهون لرفض المبادرة السوفيتية.

ورغم أن هناك توقعا لقبول العراق لهذه المبادرة السوفييتية، فحتى لحظة كتابة هذا التقرير فلم يكن طارق عزيز قد وصل إلى موسكو حاملا رد مجلس قيادة الثورة العراقي.

ومن المؤكد أنه عند وصول «اليسار» للقراء سيكون القرار العراقي قد أعلن والرد الأميركي كذلك.

ولكن الشئ المؤكد أن نهاية هذه الحرب العدوانية، سواء انتهت بالحرب البرية، أم عن طريق حل سلمي يقوم على المبادرة السوفيتية، سيفتح الباب لحرب من نوع آخر، أطرافها شعوب الامه العربية الرافضة للعدوان الامريكي، وللشروط الأمريكية الاسرائيلية للسلام في المنطقة.. وقوى العدوان الامريكي الأطلسي الإسرائيلي وحكام مصر وسوريا والخليج (الحلف الثماني .. ومعركة أخرى بين القوى الخارجية ربما تتعدد أطرافها.. فهناك الاتحاد السوفيتي.. وهناك الولايات المتحدة.. وهناك أوروبا.. وهناك اليابان»

ولاشك أن قضية شعب فلسطين وحقه في إقامة دولته المستقلة، ودور المنظمة كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني.. وكذلك حساب الشعوب لحكامها الذين تورطوا في العدوان على العراق.. سيكون في قلب هذه الحرب

حضرة صاحب العظمة رجل الشارع المصرى

يناقش حرب الخليج

اليسار تستضيف عشرة مواطنين في مناقشة حرة يفتحون فيها النيران على النظام العربي كله

منذ سبعة شهور، وكل الناس فى مصر يتكلمون فى السياسة ويتحدثون فى العسكرية ، ويناقشون اتفاقيات الأمن المتبادل والسبب هو إدراكهم أن مايحدث فى المنطقة، منذ يوم ٢ أغسطس ١٩٩٠، هو حدث هائل، سوف يؤثر فى مستقبل المنطقة، وتطول تأثيراته، بشكل مباشر جدا، صميم حياة كل مواطن.

ورغم ذلك ،فإن حق الكلام «للعموم» فى قضية الخليج، قد اقتصر على الكتاب والمفكرين والمحللين ورجال الحكومة، ورجال الأحزاب، بينما ظل الشارع المصرى يغلى بالكلام، والتعليقات، والتحليلات، دون أن يعنى أحد بالسعى إليه للاستماع إلى آرائه، والاستفادة من تحليلاته..

وحتى عندما فكرت أجهزة الإعلام أن تستمع لرأى رجل الشارع فى موضوع حرب الخليج، كررت أسلوبها الثابت، واقتنصت بعض المواطنين لكى تسألهم، بطريقة توحى لهم بالإجابة التى لم يحدث ولامرّة، ولو على سبيل المصادفة، أن تناقضت مع السياسة الرسمية.

ولهذا السبب قررنا أن نقوم بتجربة صحفية، نعتقد أنها مهمة، وإلى حد ما مثيرة..

قررنا أن تنظم ندوة حول حرب الخليج لايحضرها -كما جرت العادة- شخصيات مثل أسامة الباز، ولايتحدث فيها محمد حسنين هيكل، ولايشارك فى مناقشة قضاياها ابراهيم شكرى ، أو يبدى فى موضوعها رأى خالد محيى الدين، ولايفتح أحد من محررى اليسار فمه بكلمة أثناء انعقادها، لأن حق الحديث فيها، قاصر على حضرة صاحب العظمة رجل الشارع المصرى..

وهكذا طلبنا من بعض محررينا، أن يوجهوا الدعوة لحضور هذه الندوة لكل من يحمل بطاقة تثبت أنه يحمل لقب السيد المحترم رجل الشارع، أى أن لايكون من المشتغلين بالسياسة أو المنتمين للأحزاب، أو الشخصيات العامة، التى تحوز وحدها الحق الإلهى فى الحديث عن الشئون العامة..

وفى الساعة الرابعة من مساء الجمعة ٨ فبراير ١٩٩١ كان خمسة من أسرة تحرير اليسار هم: حسين عبد الرازق وصلاح عيسى وحسن بدوى ومصباح قطب وهشام مبارك، فى استقبال عشرة مواطنين، يمثلون حضرة صاحب السعادة الشارع المصرى هم السادة والسيدات:

* محمد عبد الوهاب حامد (٢٣ سنة- طالب بهندسة القاهرة)
* المهندسة سلوى زكى الراوى (٣٠ سنة- مدرسة بالمعهد الفنى الصناعى)
* عبد الوهاب حامد شهاب(موظف بالمعاش- ٦٢ سنه)
* سيد سليم غريب (٢٩ سنه- صاحب مكتب مقاولات معمارية)
* حسن مبارك حسن (٣٧ سنة -مقاول معمار)
* عباس جاب الله عباس(٣٠سنه-فنى ديكور)

* حسن مبارك (٣٧ سنة -مقاول معمار)

* فريد أحمد عطوة (٢٢ سنه- طالب بالمعهد العالى للخدمة الاجتماعية)
* عبد الله سيد سليمان (٤٠ سنه)
* ابراهيم عبد المحسن على (٢٧سنه- مقيم شعائر)
* اسماعيل حسن (٢٧ سنه- مدرس ثانوى)

وخلال الساعات الأربع التالية، جلسنا نستمع إليهم .. كل مافعلناه، هو أننا سألناهم فى كل شئ يتعلق بالأزمة، وبالحرب، وتركنا لهم الحرية فى أن يقولوا مايشاءون، ولم نتدخل الا لكى نسأل أو نستوضح، أو نتقمص وجهة نظر غائبة، لكى نتعرف على رد فعلها عليهم..

ومع أننا كنا خاليى الذهن تماماً، عن الحصيلة المتوقعة لهذا الحوار، إلا أننا لم ندهش، بعد انتهائه حين اكتشفنا أن من الخطأ الظن بأن هناك وجهة نظر واحدة تجاه الأزمة تسود فى الشارع المصرى، ومن الخطأ الظن بأن الحيثيات التى تعتمدها وجهات النظر السارحة فى الشارع المصرى، هى ذاتها الحيثيات التى تعتمدها وجهات النظر السياسية تجاه الأزمة، رغم ماقد يبدو من تشابه فى المواقف...

وأخطر مااكتشفناه أن «الاستقطاب» حالة غير واردة لدى الشارع المصرى، فالذين يتعاطفون مع العراق- مثلاً- لايقبلون كثيراً من مواقفها، والذين يتعاطفون مع الكويت، لايخفون انتقاداتهم لبعض مواقفها، وأحيانا تتماس مواقف الطرفين، فى رفض العدوان على المدنيين سواء فى العراق أو فى الكويت أو فى السعودية، أو فى تأييد ضرب اسرائيل بالصواريخ، أو فى الحكم على أن الحرب بجعلها مؤامرة انجر إليها العرب جميعاً بمافيهم الرئيس صدام حسين!

وأهم ماحققناه ، هو أننا نجحنا فى إحاطة المناقشة بجو من الصداقة غير المصطنعة، والدفء الحقيقى، الذى يشجع الكل على البوح بأفكارهم، ويحميهم من الشك فى حرية المناقشة، مما يدفعهم للتفكير بحرية، وللحوار بهدف اقناع الآخرين لا بقصد اللدد فى الخصومة، وبعد نصف ساعة من بدء المناقشة، بدأت المقاطعات تقل تدريجيا، وتراجعت الحدة فى النبرات، واختفت التوصيفات القاسية، وشمل الجميع جو يجمع بين الرغبة فى التعبير عن الرأى ، والحرص على اكتشاف صواب الآخرين...

ولهذا السبب، احتفظنا بمضبطة الحوار، لم تستبعد سوى التكرار فى الوقائع، أو الاستطراد الذى يشوش على الفكرة، واحتفظنا بعد ذلك للمتحدث بأسلوبه، وطريقته فى العرض، وتسلسل منطقه.

ولعل هذه المضبطة بأفكار حضرة صاحب العظمة رجل الشارع المصرى حول أزمة الخليج ، تكون موضوعا لمن يريد أن يفهم، ويحلل ويستبصر شيئا عن الوجدان المصرى فى الأزمة...

«اليسار»

صحف وإذاعات

اليسار: نرحب بكم ونشكركم لاستجابتكم لدعوتنا ، لهذه الدردشة حول الحرب الناشبة فى الخليج منذ ثلاثة أسابيع. وقد اخترناكم لأننا نعتبركم ممثلين للرأى العام المصرى.. ونريد أن تدير فيما بيننا نقاش حر تماما.. يقول خلاله كل واحد منا رأيه بصراحة.. ونعدكم بأن ننشر كلامكم كما ستقولونه... نحن لانريدكم أن تقولوا رأينا... ولكن أن تقولوا آرائكم أنتم.. وفى البداية نحب أن نسأل كل منكم، عن المصادر التى يحصل منها على معلوماته عن الحرب.. هل هى من التليفزيون... أم الراديو... أم الصحف... أم الاذاعات الأجنبية.. وصحف إيه؟... وإذاعات مين...؟

محمد عبد الوهاب (٢٣ سنه- طالب بهندسة القاهرة): متابعتى شاملة كله. الإذاعة والتليفزيون وجرايد الحكومة، ومن جرايد المعارضة «الأهالى» و«الشعب» . وضابط الراديو دائما على محطة «مونت كارلو» وأميل إلى ماتذيعه وماتنشره «الشعب»... أما صحف الحكومة فأنا أتابعها لكى استهزئ بها ، لأنى حاسس أنها تستهزئ بنا، وتعاملنا كقطيع من الغنم مالوش مخ.. وممكن الضحك عليه.. واقتكر الإعلام مؤثر بس فى الناس اللى لايتابعون غيره، وفيه ناس محايدين رأيهم إن، اذا كان الإعلام الحكومى بيبالغ وينحاز، فجرايد المعارضة تفعل نفس الشئ.

سلوى زكى (٣٠ سنة مدرسة بالمعهد الفنى): فى البداية كنت أتابع الأنباء على طول الوقت. لكن دلوقتى المتابعة قلت.لإن الأحداث أصبحت بطيئه... والأخبار مكررة... والإعلام الحكومى بيستفز الناس، لأنه بيقول على لسانهم آراء مش هيه آرائهم.. جارتى مثلاً أخواتها كلهم فى السعودية، وبينضرب عليهم، لكنها مع صدام حسين.

عبد الوهاب حامد (موظف بالمعاش ٦٢ سنه): مشكلة الخليج هى مشكلة أثرها بيشمل العالم العربى كله. عملية بتخلع جذور الأمة العربية. بتنهيها . اللى بيحصل دلوقتى إبادة للأمة العربية. الواحد ها يتجنن من الإعلام عندنا . إعلام بيضلل. لما واحده مصرية لها ٣ أولاد ، واحد فى العراق وواحد فى حفر الباطن، وواحد فى السعودية: مين بيضرب مين؟ . ومين بيحامى عن مين؟. لما اسمع فى أول مرة: إسقاط ٧٠٠ طيارة، والكويت ح تتحرر فى أسبوع. وأمير الكويت ح يخش بدبابة. ونبص رابع أسبوع النهارده مافيش أى حاجه. اللى بيكتب بيقبض. والدولار له وضعه. قول لى أنيس منصور بيكتب عن إيه. نفسى أحضر معاه فى ندوة. إحسان بكر كان بيستهزأ بصدام حسين وقوته، النهارده بيكتب كلام تانى. صحافة مافيش..

سيد سليم (٢٩ سنه صاحب مكتب مقاولات): انا مش عارف صراحة المشكلة مشكلة إعلام.. ولا مشكلة خليج. إذا كان الإعلام فهو طول عمره كده، بالعكس أنا شايف إنه احسن. أما مشكلة الخليج فأنا لا أعتقد إن حد يوافق على غزو الكويت، دى مش طريقه لحل مشكله، إذا كنا ح نختلف هايكون على حرب أولاحرب. ومش شايف طريقه لخروج صدام حسين وتحرير الكويت إلا الحرب، لأنهم استنفذوا كل الوسائل معاه. وممكن استفزوه عشان يخش الحرب دى. لأنه مستهدف أن تتكسر العراق وتنكسر قوته. وهو راجل وقع فى الخيّة دى.

حسن مبارك (٣٧ سنه..مقاول معمار): اللى بيحصل مؤامرة على الوطن العربى: يستنزفوا الفلوس، يكسروا القوة العربية. إحنا بنحس إن فيه تشويش وتعتيم إعلامى مقصود عشان مانعرفش إيه اللى بيحصل ، هدفه اقناعنا ان القوة العربية ح تدمر يعنى ح تدمر. وده مخطط من زمان.

ابراهيم عبد المحسن(٢٧ سنه- مقيم شعائر): فى مصر الإعلام مابيقولش الحق.. لأن لو الناس عرفت إن فيه تهديم وفيه ضرب ممكن موقفها يتغير. فلازم الإذاعة المصرية تشوش، عشان الناس لاتطالب مصر بأن تسحب قواتها ومعداتها من ميدان الحرب، صدام حتى لو انهزم هو المنتصر. ليه؟. ٢٨ دولة قدامه وخسروا كثير. العراق كانت عايزة جزيرة صغيرة ومارضيتش تحلها فالكويت سابت البلد ومشيت وهو احتل الكويت كلها ولو العرب خشوا يدواحده ضده كان رجع فى كلامه. إنما لما لقى العرب كده والأجانب دخلوا تمسك بكلامه أكتر. بالنسبة للكويت كانت فى الحقيقة كده ناسية الله، هىّ والسعودية. وزى مايكون ربنا سلط عليها هذا الغزو. وأمريكا كانت عايزه توقع العرب فى مشكله، قالت لصدام لك جزيرة عند الكوايته، عشان يوقعوه فى مشكلة مع عرب..

عباس جاب الله:(٣٠سنه-فنى ديكور): أنا اقرأ عادة

اللى بيكتب بيقبض والدولار له وضعه

الكويت كانت فاسيه السله هيه والسعوديه.. وأمريكا كانت عاوزة اللى توقع العرب فى مشكلة!

جرايد المعارضة اللى رقصت على السلم.. لأنها تدين غزو الكويت وتدين اللى عايزين يحرروها(!!)

الموضوع أساساً أمريكى وبتخلصه أمريكا.. وهوَ ولد عاق زوّد فى الموضوع شويه

إذا كان صدام وحش زىَ مابيقولوا.. عملوا معاه مجلس تعاون ليه!

كده.. أمريكا هيه اللى بتلاعبنا كلنا!

إعلامنا فيه من صفات المنافق انه إذا حدث كذب.. وإذا خاصم فجر

الديون العسكرية اتشالت.. رفعت الحكومة الأسعار

صحيفة الوفد، وعايز اقول إن مافيش حد من الأساس قبل غزو الكويت. ساعة ماحصلت الحرب العالم كله توقع إن بعد ٦ ساعات المسألة خلاص، الجرايد بتاعتنا إما بتفبرك الأخبار دى، ياأما بتاخدها عن مصادر أجنبية بس بتحرف فيها.

اليسار- هل ينطبق هذا على الوفد أيضا؟

عباس جاب الله:

«الوفد» دوره عايم. أما بقية جرايد المعارضة فـ «الأحرار» ماشيه تقريبا زى الإذاعات الأجنبية. وأحب أقول أن السعودية مسئولة عن «د» كله لان هى اللى استنجدت بالأمريكان. القيادة بتاعتنا برضه غلطت، قعدت ٣ أيام بلا استنكار ولا حاجة، لحد ما أمريكا ضغطت. وتقريبا العملية كلها لعبة أمريكية. بعد ما «الكويت» ضاعت. وإحتمال العراق ح تضيع. العرب كلهم هايضيعوا.. بالنسبة لصدام هو ليه حق تقريبا.. ليه حق جامد فى اللى بيعمله.. المفروض إن احنا نساعده عشان القضية تتحل سلمى، بس مااظنش لأنها وصلت دلوقت لطريق مسدود.. بالنسبة للاعلام..إحنا النهارده داخلين فى الأسبوع الرابع... معهياش مافيش حد بيتابع . أنا النهارده لليوم الرابع ماباشوفش تليفزيون ولا جرايد.. إذاعة مونت كارلو ولندن.. بقيت اسمعهم قليل.. وتقريبا الحرب هاتستمر كمان ست أشهر..

فريد عطوة:(٢٢سنه- طالب بالمعهد العالى للخدمة الاجتماعية): انا أولا ماليش أى انتماءات سياسية. جرايد المعارضة زى اللى رقصت على السلم، يعنى بينددوا بالغزو العراقى للكويت بيدينوا التدخل الأجنبى. طيب ح نعمل إيه علشان نطلع القوات الأجنبية. أنا عن نفسى لا أثق فى أى إعلام.. صحف الحكومة تبع اللى عايزاه الحكومة.. و«الوفد» مايل للصحف الحكومية برضه. مافيش صحف معارضة غير «الشعب» و«الأهالى». ومع ذلك إحنا مش لاقيين نفسنا ومش عارفين الحقيقة فين..

خاف من أمريكا

اليسار- هل المشكلة فى الإعلام؟ أم المشكلة هى أن الطرفين المتحاربين لا يقولان الحقيقة؟ فيه رقابة على أنباء العراق ورقابة على أنباء الحلفاء؟!

عبد الوهاب حامد (موظف بالمعاش-٦٢سنه) إحنا سمعنا من الإعلام بتاعنا إنهم ها يخطفوا «صدام» وح يبعتوا له قوات انتحارية تخطفه. والاقى محطة سى إن.إن. جايباه فى التليفزيون وهو بيصلى فى الشارع يوم جمعه.و العملية لازم ييجى لها مبادرة سلمية. وح تتحل قبل الهجوم البرى..الحاجات دى بتحصل بقه فى الكواليس.

عبد الله سيد سليمان:(٤٠ سنه) والناس اللى راحوا له قبل الحرب. والريس بتاعنا اترجاه وماردش عليه. عايز يحارب لإنه بيقول الأرض دى بتاعتى أنا. وراحواله بعد بداية الحرب برضه. وقال لهم: لأ ح احارب برضه. هناك سر فى الحكاية... إيه هوا مش عارفينه. أنا بطلت أشوف التليفزيون.. لأن مفيش أى حاجة جديدة بتحصل.

ابراهيم عبد المحسن على (ملهم شعائر): ممكن ينسحب لو كانت القوات الأجنبية مش موجودة لأنه لو انسحب ح يقولوا خاف من أمريكا.

اسماعيل حسن :(مدرس ثانوى): الجرائد المصرية كلها متناقضة مع بعضها. إذاعة مونت كارلو، والأهالى مثلا بتحس فيها الحقيقة شوية.

اليسار- يعنى الكلام تحس أنه ماشى مع وجهة نظرك . أم أنه صحيح؟

اسماعيل حسن: لأ.. أحس أنه صح.فيه حديث عن الرسول ان صفة المنافق أنه اذا حدث كذب وإذا خاصم فجر، ودى بنلاقيها فى الإعلام

سيد سليم/ ٢٩ سنة

صاحب مكتب مقاولات

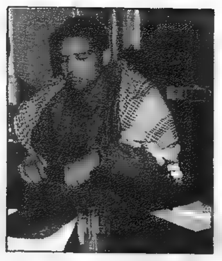

محمد عبد الوهاب حامد

٢٣ سنة/ طالب هندسة القاهرة

اسماعيل حسن/٢٧ سنة

مدرس ثانوى

المصرى. لما العراق استخدم أسلحة كيماوية ضد إيران وأباد الإيرانيين والأكراد، ما اتكلمناش عنها ليه؟ اشمعنى ماتكلمناش إلا لما خاصمنا العراق.. لما إيران كويسة وحلوة، ماوقفناش معاها ليه فى حربها ضد العراق.؟ الإعلام بتاعنا ماتعرفلوش ملة. أنا اتناقشت مع ناس كانت شغالة فى العراق، منهم واحد من أسوان بقسم لى بديته إن احنا فى حاجة إلى صدام حسين فى مصر وان الراجل محبوب بدرجة عالية هناك، لأن هناك لاتلاقى غش ولاتهريب أموال ولامصايب من اللى بتحصل فى بلدنا هنا.

سيد سليم: (صاحب مكتب مقاولات) صدام حسين محبوب هناك خوف ورعب

عبد الوهاب حامد:(موظف بالمعاش): بالنسبة لعلماء الدين لما أفتوا فى حرب الخليج... د. محمد خلف الله طلب يعمل مناظرة مع المفتى ماحدش استجاب له. وهو فى مقاله حلل الغزاوت ، المعزلدين الله الفاطمى لماغزا مصر- مش كان إسلامى.. على عبد أبى طالب ومعاوية، مش كان نزاع إسلامى؟!!. العلماء كان مفروض يدعو لمؤتمر يناقشوا الحكاية إسلاميا. وربنا بيقول فى كتابه «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة» كيف أتعامل مع أعدائنا لحل النزاع بيننا. لومفتى منتخب من هيئة كبار العلماء كان ممكن يقول رأيه.. لكن هو بيخاف على الكرسى.

سيد سليم:(صاحب مكتب مقاولات) ماهو ربنا قال برضه «وإن فئتين من المؤمنين أقتتلا فأصلحوا بينهما..»

هو الموضوع أساسا أمريكى وبتخلصه أمريكا، وهو والدعاق زوِّد فى الموضوع شوية، وهو مرسوم له دور لكنه زوده.

محمد عبد الوهاب: بالنسبة للآية التى ذكرها الأخ سيد، بقيتها «فقاتلوا التى تبغى» مين اللى بقاتل ؟ احنا مش أمريكا.

مصر والأزمة

اليسار- هناك رأى يقول إن السياسة المصرية فى الأزمة سياسة حكيمة ، وإن مصر استفادت منها، وأسقطت من ديونها حوالى ٧ مليار دولار ديون عسكرية وجاى من الدول الأوروبية حوالى ١٣ مليار دولار، الإجمالى ٢٠ مليار دولار، وفيه رأى تانى شايف إن مصر هى التى عقدت المشكلة، وأنها لو اتخذت موقفا آخر لرجع صدام حسين عن تعنته وكان ممكن تتحل المشكلة حل عربى.فأى الرأيين أصح فى رأيكم؟

عبد الله سيد سليمان (٤٠سنه): الريس بذل كل جهده، ومافيش فايده.. والمفروض إن «السعودية» ماكانتش دعت الأجانب أبداً. المفروض يستدعى المسلم اللى زيه . كان جه قال للمصرى: يامصرى تعالى حارب معايا .لكن انت تروح تجيب الأجنبى، وتستنكر تروح لأى دوله عربية ده غلط غلط..

فريد عطوة:(طالب بمعهد الخدمة الاجتماعية): الرئيس مبارك بح صوته فى سبيل إن صدام يتهدى لكن مفيش أى استجابه، بس فى نفس الوقت غلط القوات الأجنبية إللى استدعوها دى. لإن فيه جامعة عربية واتفاقية دفاع مشترك. كان ممكن المظلة العربية تتعمل و يلحقوا يلموا الموضوع. المجتمع الدولى كله مسئول عن تهور صدام، أمريكا كان لها مصالح ضد إيران، وهى السبب فى الحرب بين العراق وإيران. إحنا اللى عملنا صدام، وأدينا له زياده عن حقه.

عباس جاب الله: إحنا مشاركين صدام فى اللى حصل ده كله، حصل إن هو دخل الكويت ، فموقف حسنى مبارك كان وحش بصراحة، لإنه كان مشارك صدام فى كل اللى بيعمله بس بطريقة غير مباشره ، إذا كان «صدام» وحش زى مابيقولوا، ليه عملوا معاه اتفاقيات زى مجلس التعاون. والحملة إللى عملها على الأكبر بالنسبة لقواتنا اللى راحت هناك، أناحاسس إن ده كان غلط، المفروض كان قواتنا تروح قبل القوات الأمريكية وقبل أى تدخل أجنبى، كده أمريكا بقى هى اللى بتلاعبنا كلنا.

اليسار- لو كانت قوات عربية أو مصرية هى التى تدخلت.. هل توافقون فى هذه الحالة.. أن تقوم القوات المصرية أو العربية بمحاربة العراق؟

عباس جاب الله: لو إن القوات المصرية ضمن قوات عربية متحالفة وحاربت العراق فده حقنا ، أما نجيب قوات أجنبية فالمستفيد أولا وأخيراً اليهود، المنطقة دى بعد كده مش هايبقى لها وجود. المنطقة هاتتغير نهائى. إحنا كان المفروض نحارب العراق واحنا كفيلين إننا نقدر عليها.. وكان يمكن ماتوصلش للحرب، أما أمريكا فهى عملية استنزاف للأموال العربية كلها. بالنسبة للديون اللى اتشالت انا مقتنع إن دخولنا الحرب دى بفلوس، هى مش عملية حرب يعنى هى عملية تجارة، وده مش مبدأنا.

جابوا «رامبو»

اليسار: فيه ناس بتقول إن ده مش عيب لإن السياسة مصالح؟

حسن مبارك: حسنى مبارك الرئيس قال فى البداية إن صدام قال له لو العراق هاجمت دولة عربية جيشوا جيوشكم واضربوا العراق، كان المفروض بقى إن مبارك يجهز جيشه قبل مايجى الأمريكان، المسافة بين أمريكا والسعودية....أبعد من المسافة بين مصر والسعودية......لكن الحقيقة إن السعودية ماعندهاش ثقه فى العرب، فراحت جابت رامبو وشلته على أساس يضربوا العراق. طبعا ماحصلش. السياسة المصرية طبعا مصالح، لكن المصلحة ماطلعتش زى الدول التانية ماخدت، قالوا لنا إن ديوننا هاتتشال ،طب الديون العسكرية اتشالت كان المفروض يبقى فيه عندنا رخاء شويه، بالعكس، بمجرد الديون مااتشالت رفعوا الأسعار. يعنى نيلوها أكثر- طالما هما طلبوا قوة أجنبية، المفروض العرب مايبحتوش قوة تضرب معاهم. مافيه هناك مصريين وبيقولوا حتى فى الجيش العراقى، يعنى هاروح أحارب أخويا. كان المفروض يبقى فيه حل سلمى، بس هو كان مسدود، أو بمعنى أصح أمريكا والدول الغربية عملوا مؤامرة يوصلوها لتدمير القوة العربية واستنزاف الأموال العربية.

ابراهيم عبد المحسن على: ساعة ماصدام دخل الكويت ، كان المفروض إن مصر تشكل قوة تدخل السعودية عشان مافيش أمريكى يخش. الحل كان ممكن يتحل فى ثوانى لكن أمريكا عايزة تمد الموضوع وكله بفلوس السعودية والكويت بعد الأزمة دى اسرائيل ح تضرب فى العراق والعرب وماحدش ها يقدر يتصدى لها. إحنا دلوقت بتشجع صدام اللى ضرب اسرائيل اللى ماحدش قدر يضربها من أيام جمال عبد الناصر.

سيد سليم: الرئيس مبارك قال من لايملك قوت يومه لايملك قراره، دى نقطة لازم نبقى واضحين فيها ونتكلم فيها بصراحة. ده بالنسبة لرؤساء الدول اللى مايملكوش قوت شعبهم. أما بالنسبة للملوك، فأهم شئ عندهم الكرسى بتاعهم. ممكن يدفع كتير قوى فى سبيل عرشه يفضل موجود. اللعبه أساسا أمريكية ولاخلاف على ذلك. الناس اللى فحرت آبار البترول الكويتية فى «الرميلة» امريكان وانجليز، وهما اللى قدموا لصدام حسين الوثائق اللى بتفيد إن البير بيسحب من أرضه. معنى ذلك إن اللعبة أمريكية انجليزية، وعملوا فى صدام كده لأنه قبل الحرب بشهر وقع فى غلط، كون قوة جامدة جداً وقعد يهدد فى اسرائيل. وعمر أمريكا ماهاتضحى باسرائيل كحليف لها فى الشرق الأوسط. دلوقت هدف أمريكا إن صدام حسين قوته تستنزف عشان مايقدرش يواجه اسرائيل، أو حتى يهددها بالكلام .أنا لا أعتقد إن مصر تقدر تقول لأمريكا لأ. حتى النداءات الـ ٢٧ اللى وجههم حسنى مبارك لصدام حسين، فيهم استفزاز. انا عشت فى العراق وعارف (الشعب العراقى ٣٦ مليون، منهم ١٧ فى التعداد الرسمى ، و١٩ مليون صورة لصدام حسين ده راجل جنون الزعامة. بيوصلوه لنقطة إن لو ماطلعتش من الكويت الدنيا ح تطربق عليك وها تتنسف انت والعراق، فوصلوه لنقطة لاينفع فيها مبادرة ولاسياسة. سياستنا فيها قصور. ظاهريا، رجاء لصدام حسين بالانسحاب، لكن فى جوهرها استفزاز له. هى معمولة أمريكانى وها تخلص أمريكانى عشان نطلع ديل برضه لأمريكا

الزعيم مصرى

عبد الوهاب شهاب: الريس فى الأول قال ان العراقيين اتهموا الكويت بسرقة بترولهم، وقال إن الكويتيين اعترفوا بهذا. كان واجب يجى فى مؤتمر القمة ويقول الراجل ده ياخذ حقه. مصر لم تكن الريادة، لو قالت لأ يعنى لأ لأمريكا، أو غيرها، الشارع المصرى له تأثير على الأمة العربية كلها ، النهارده السعودية والكويت لمادفعوا ١٠٠ مليار لأمريكا عشان الحرب، مش كان أحسن يدفعوا ١٠ مليار لصدام؟ أنا قريت برقية أرسلها أمير الكويت لولى عهده فى اثناء مؤتمر جدة، نشرتها

«الأهالى» الأمير الصباح بيقول فيها. إلغى المؤتمر، مادام أصدقائنا المصريين والأمريكيين موافقين على رأينا. يعنى موافقين من زمان. مشكلة الخليج دى ماكانش يجب مصر تاخذ فيها قرار إلا باستفتاء شعبى

سعد سليم: لكن المشكلة كانت عايزة قرار سريع.

عبد الوهاب شهاب: ماحنا قعدنا ٦ شهور قبل الحرب– كان يجب يكون فيه استفتاء شعبى ، وأخذ رأى الشعب بدون ضغوط.

سلوى زكي: أنا مش مع الموقف اللى أخذته مصر وضد إرسال قوات هناك. وأظن النداءات اللى وجهها الرئيس مبارك كانت موجهه للشعب المصرى أكثر مما هى موجهة لصدام حسين.

محمد عبد الوهاب: وانا معترض على أن الزعيم لازم يكون مصري، صحيح أنا مصرى لكن أرفضها. صلاح الدين الايوبى ماكانش مصرى... محمد على ماكانش مصري... وكلهم كانوا بيهدفوا لمصلحة العرب والمسلمين. سيف الدين قطز والظاهر بيبرس ماكانوش مصريين. الفرصة جت على طبق من دهب لحسنى مبارك عشان يثبت إنه زعيم، والزعامة مش كلمه... الزعامة... أساسا مصر لها وزن سكانى وسياسى وتاريخى وثقافى وإعلامى، وجغرافى.. فكان لازم تستغل هذا الوزن فى الصح. أساسا وجود الأمريكان فى المنطقة خطأ .أيام عبد الناصر وعبد الكريم قاسم. كل اللى عمله عبد الناصر، قال له هاتضرب الكويت هاضرب بغداد آهى دى الزعامة. المشكلة ، أي مشكلة بتحصل فى عائلة ذات تاريخ، فى الصعيد لو أخ كبير ضرب أخ صغير.. بعلاقى العيلة اتلمت وخذوا حق الصغير، لكن إن أنا أروح أجيب جارى اللى جنبى واليهودى اللى ع الحاره عشان يحل لى مشكلتى دى مأساة. فموافقة مصر أو تفويتها الفرصة للأمريكان انهم ييجوا المنطقة العربية بدعوى انهم تحت مظلة الأمم المتحدة! أى أمم متحدة؟ كانت فين ساعة اسرائيل مااحتلت فلسطين؟ الموقف الصحيح اللى كان يجب تتخذه مصر كالتالى.. رفض العدوان العراقى على الكويت ده شئ أساسي وكلنا معاه. رفض العدوان الأمريكى... إرسال جيش كامل مصرى. وأنا واثق ان لوكان الجيش اللى قدام صدام حسين مصرى عربى، كان رجع عن موقفه والمشكلة اتحلت سلميا وكان الأمريكان لم يجرأوا على ضرب العراق إلا بموافقة مصر. مصر تقدر إنها ترفض تصوير أمريكا على إنها الاله الأعظم والعياذ بالله. ياأخواننا أمريكا اتبهدلت فى فيتنام، وفى لبنان سنة ١٩٨٢، أمريكا أجبن خلق الله على وجه الأرض.. أمريكا ماتعضش إلا اللى يخاف منها. انت عندك مليون مصرى هناك لهم وزن جامد. يعنى فى الأول لو كان صدر قرار بسحب العمال المصريين اللى كانوا هناك كان شل الاقتصاد العراقى بالكامل.

اسماعيل حسن: أنا ضد إرسال قوات مصرية تحت ستار المحافظة على المقدسات الإسلامية، دى بيضحكوا بيها على عقول الناس، دى أرضية أو فرشة للاستعمار الاجنبى ، خاصة أمريكا داخل الأراضى العربية.

صواريخ على اسرائيل

■■ اليسار: ياترى إيه تقديركم لقيام الرئيس صدام حسين بإطلاق صواريخ سكود على تل أبيب؟

فريد عطوة: أنا اسمى ده فرقعه هدفها توسيع نطاق الحرب .لأن العراق مش هاتعرف تعمل حاجة من ناحية اسرائيل أو من ناحية السعودية. هى دلوقت بتعامل اسرائيل زى مابتعامل السعودية، وده مبدأ غلط، لان السعودية دولة إسلامية .ضرب اسرائيل فرقعة، لإثارة مشاعر العرب والفلسطينيين لأن صدام أول واحد من حرب ١٩٧٣ يضرب اسرائيل ولو بيه مش صاروخ –لكن المشكلة هل صدام بيعمل كده عشان

كان مفروض إن مصر تشكل قوة تدخل السعودية عشان مافيش أمريكى يخش!

النداءات اللى وجهها حسنى مبارك لصدام فيها استفزاز

اللعبة ملعوبة أمريكانى وح تخلص برضه أمريكانى.. عشان تطلع كلنا ديول أمريكانى!

لو كان الجيش اللى قدام صدام مصرى عربى.. كان رجع عن موقفه!

ضرب السعودية بالصواريخ يزعل جدا.. ده ماعندوش إسلام

الادارتين المصرية والسورية بصراحة كلامهم تعبان!

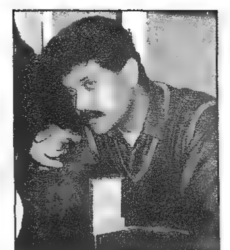

فريد عطوة/ ٢٢ سنة

طالب: بالمعهد العالي للخدمة

عباس جاب الله

٣٠ سنة/ فني ديكور

ابراهيم عبد المحسن

علوم شاكر بالاوقاف/ ٢٩ سنة

يحل القضية الفلسطينية؟ من ٢ أغسطس وهو بيقول فيه ثورة شعبية أنا طالع بيها. بعد كده يقول توزيع الثروات والقضية الفلسطينية- فين صدام من ساعة مابدأت من القضية الفلسطينية؟ وهل صدام يضرب اسرائيل عشان هي أسرائيل ولاعتداء في أمريكا؟

اليسار: هل انت ضد ضرب «سكود» في اسرائيل والسعودية لإنه ضرب على مدنيين، أم ضده لأنه عديم الجدوى؟ وهل توسيع نطاق الحرب عيب؟ الأمريكان يستعمنوا بعركيا وقواعد في الفلبين.

فريد عطوة: صدام الآن بيقول عليّ وعلى أعدائي- انا كمصري مايهمنيش يضرب في اسرائيل، حتى في المدنيين. لأنه اللي بيعملوه في فلسطين مش شويه.. يعني مذبحة المسجد الأقصى والمذابح دي كلها... لكن أرفض أن يعامل اسرائيل زي السعودية اللي في يوم من الأيام وقفت معاه. هو عايز يعمل أي حاجه لتوسيع نطاق الحرب.

اليسار: ألا ترى أن مصر وسوريا لو استغلا هذه اللحظة وهو بيضرب أسرائيل وغيرا موقفهما... كان سيحدث تحول في الموضوع؟

فريد عطوة: معاك.. ولكن أصلا مافيش استعداد.. كان فيه حديث للعماد طلاس وزير الدفاع السوري بيقول فعلا مافيش استعداد.. كله بيبص للمشاكل الاقتصادية بتاعته .انا عشان أخش الحرب وابعت ٥٠-٦٠ ألف على اسرائيل مافيش استعداد. واحنا عيبنا إن كله يقول لك عايز أكل وعايز أعيش، واحنا كعرب غير مستعدين لدخول أي حرب.

عبد الله سيد: المفروض صدام ماكانش يضرب على اسرائيل لأن هي مش داخله في الحرب. هو بس بيهيج الناس وده غلط. وضرب السعودية بالصواريخ يزعل جدا... ده ماعندوش إسلام.

عباس جاب الله: هو من قبل الحرب قال لو القوات المتحالفة جت،حضرب اسرائيل. هو بيضرب اسرائيل في صورة أمريكا. وهو حاسس إن المصريين والسوريين لهم تار مع اسرائيل والمفروض إنهم يتحدوا معاه ، ولكن الادارتين المصرية والسورية بصراحة كلامهم تعبان ولما قعد أسبوع في بداية الحرب ماضربش.. كان فيه هيجان في الشارع المصري، وقالوا ده راجل كداب، فقام ضارب هو طبعا مابيقصدش مدنيين، ولما ضرب السعودية الواحد يعيب عليه، لكن هو ضربها من منطلق إن السعودية سمحت للأمريكان أو اليهود ييجوا فخلاص .. واحد بيدافع عن نفسه.. ماكنتش تجيب العدو بتاع المنطقة دي تدافع عنك، هات أخرك..

ابراهيم عبد المحسن علي: بالنسبة لتوجيه صواريخ على السعودية غلط ومش غلط في نفس الوقت. غلط إنه بيعتدي على عرب، بس هو بيعتدي على أمريكان في قلب عرب. وضرب في تل أبيب عشان يصحي العرب.

عباس جاب الله: حكاية الفرقعة.. إحنا ماقلناش كده.. الإعلام هو اللي قال كده.

حسن مبارك:انا صحيت من النوم.. أول ما سمعت ضرب صواريخ سكود على اسرائيل- قلبي انا شخصيا انشرح من ١٩٤٨ واسرائيل بتضرب فينا في المصريين والسوريين واللبنانيين والفلسطينيين. أول ماقامت الحرب جم ضربوا مدرسة بحر البقر وكانوا أطفال ماحدش اتكلم، وضربوا أبو زعبل ماحدش اتكلم. ماقالوش ليه بيضربوا في المدنيين؟ هو أول زعيم عربي قدر يكسر الجدار اللي بينا وبين اسرائيل عشان تخاف. جه اليوم اللي يلبسوا فيه الأقنعة ويخافوا، ويحسوا بالحرب اللي كانوا بيوروها لنا.. بالنسبة للسعودية، هو كان بيضرب المطار اللي بتطلع منه الطيارات الأمريكية اللي بتضربه،و وزارة الداخلية. هو ما بيضربش مدنيين. ويعدين مش فرقعة... ده شظايا الصاروخ سكود مع الباتريوت لما بتنزل بتوقع بيوت. .فرقعة إيه؟ دي حرب. هم زعلانين من صاروخ، ومش زعلانين ان فيه أطفال وشيوخ ونسوان بيموتوا في العراق أو زعلانين من ضرب الجسور ، وضرب الجسور، وضرب خزانات المياه.. طب ماتبطلوا الحرب دي وتخلوها سلمي ياريته يضرب اسرائيل مش ٣٣ صاروخ إنما آلاف والاف.

سيد سليم:

أول حاجه معاهدة السلام اللي بيننا وبين أسرائيل ماكسرتش حاجز الكره اللي بيننا وبينهم وعمر ماها يبقى فيه تطبيع علاقة بيننا وبينهم. فرحنا طبعا من جوانا إن اسرائيل بتنضرب لكن نتائج الصاروخ كارثة على العرب.. عمل إية؟ وقع ٢٠ بيت. هل أباد اسرائيل؟ أين النتيجة العسكرية اللي عملها «سكود» في اسرائيل؟

اليسار: هل كنت ستقترح لوضرب اسرائيل بصاروخ كيماوي؟

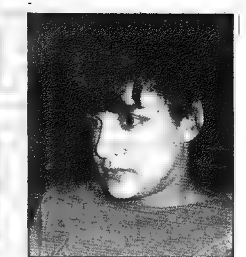

سلوى الزاوى/ ٣٠ سنة
مهندسة/ مدرسة بالمعهد الفنى الصناعى

عبد الوهاب شهاب
بالمعاش/ ٦٢ سنة

عبد الله سيد سليمان
بواب/ ٤٠ سنة

سيد سليم لو أباد اليهود هاكون مبسوط... لو عفريت طلع من الارض وأبادهم هاكون مبسوط.

اليسار ليه... مش فيهم ناس عادية ونفسهم يعيشوا؟

سيد سليم إن شالله ماعاشوا، دول ضيعوا زهرة شبابنا وكل بيت فيه أرملة وفيه عيل صغير يتيم. عمرماهى يبقى فيه محبة بينا وبينهم. إنما اللى يزعلنا إن ضرب اسرائيل بالصواريخ ليس لها التأثير المطلوب إنما اسرائيل بتقوى على حساب الضرب ده. بدليل إن كل واحد أصيب من أثر الصاروخ، خد مليون دولار تعويض ، ١٣ مليار دولار وصلوا اسرائيل غير اللى جاى فى السكة. وغير التسليح اللى بيجيلهم بخليهم يفضلوا مدى حياتهم متفوقين علينا- إنت بتضرب على اسرائيل عشان تكسب تعاطفنا معاك.. طب بقالك سنتين مخلص حرب إيران، بدل ماتضرب الكويت كنت تضرب ضربة مفاجئة لاسرائيل وكلنا كنا هانؤيدك، واللى صعب يؤيدك ح يقف على الحياد... لكن محدش ح يقف ضدك

عبد الوهاب شهاب: العسكريين لهم طرقهم، صاروخ سكود عشان استخدمه ،لازم أعمل له تجارب أشوف بتصيب ولا لأ أنا بجرب صاروخ أشوف ها يوصل فين، حتى لو فشلت، عشان لما أضرب التقيل أضربه لصدام لو فكر يضرب اسرائيل بعد ايران كانت هاتبقى كارثة٤٦ ألعن وأضل سبيلا. هو لما بيقول تحرير فلسطين عن طريق الكويت، باقول آه... فلسطين دى أرض عربية واسرائيل محتلاها من ٤٠ سنة، وأمريكا بتسوفنا وتدى وعود. لما نربط قضية فلسطين بقضية الخليج أقول آه هو مسك لهم الفرخة اللى بتبيض دهب

سيد سليم: يعنى حضرتك موافق ان صدام يحتل الكويت عشان تتحل القضية الأساسية؟

عبد الوهاب شهاب: الرئيس ميتران قال أنا مش عارف الزعماء العرب مش عايزين يربطوا قضية فلسطين بقضية الخليج ليه: فرنسا كانت مأيداها وقدمت مبادرة بيها، أمريكا رفضتها.

عباس جاب الله:

صدام أفاد القضية الفلسطينية فعلا، لأنه بعد حل مشكلة الخليج، القضية دى ها تتحل.

سلوى زكى: انا مبسوطة من ضرب اسرائيل لكن الرياض لأ

عبد الوهاب شهاب: انا منشرح من ضرب الاتنين. وباقرأ قرآن كل يوم عشان تتضرب السعودية. عشان أدب، لأن هم اللى استوجبوا ضربهم.

سلوى زكى: اسرائيل هى اللى خسرت.. كفاية إن مافيش حد من أيام ٧٣ ضربهم، ومبارك نفسه فى بداية الحرب كان بيقول، هو يقدر يضرب اسرائيل، طب يتشطر ويضربها، فمجرد أن يضربها ولو بصاروخ طايش فهو كسر القاعدة دى، وضرب السعودية، لو فى قوات أمريكية هانبسط. لكن لو وقعت على سعودى أو مصرى فيبقى مؤثرة لكن لو يضرب حاجة عسكرية ماشى.

محمد عبد الوهاب: الكلام اللى أذيع عن أثر الضرب فى اسرائيل كله هجص فى هجص ماتقنعنيش إن ٣٣ صاروخ وقعوا على اسرائيل، والإصابات فيها ١٢ واحد بس يعنى كل صاروخ ضرب ٣ر١، صدام حسين أعلن قبل الحرب أنه لن يستخدم سلاح إلا إذا استخدمه الغرب. ضربوا له المدن ، ضرب المدن، الضربة الجوية الأولى كانت ضد أهداف عسكرية ومدنية، والثانية بقت مدنية، والثالثة والرابعة ومابعدها. لدرجة أن «ريتشارد تشينى» نفسه قال: ان البحث عن قواعد صواريخ عراقية، كالبحث عن إبره فى كوم قش، يضغطوا عليه ازاى؟ يضربوا بغداد وكربلاء. ماهو معذور، من حقه يدافع عن نفسه، الطائرات بتطلع من الرياض، يبقى من حقه يضرب فى الرياض، ضربوا له مدن ضرب مدن، ضربوا آبار بترول، ضرب آبار بترول وغرق الخليج- ها يستخدموا كيماوى، ها يستخدم كيماوى- هم اللى ابتدوا بضرب المدن الأول- العقلية الاسرائيلية كانت عايشة- فى وهم كبير.. انها الزراع الطويلة وبيضربوا فى أى حته خارج أرضهم، فمجرد إن احنا نوصل بصاروخ عربى لقلب اسرائيل، ده فى حد ذاته إنجاز، ولوكان بيه زى مابيقولوا، ده كفاية الذعر اللى هم موجودين فيه، اسرائيل ماكسبتش بتاخد مساعدات من قبل مايضرب صاروخ واحد على اسرائيل. بس بدل ماكان بياخد را من تحت الترابيزة، بقوا فوق الترابيزة

اليسار: بس ماكانوش بياخدوا «باتريوت»؟

محمد عبد الوهاب بالعكس هم مشتركين فى التعاجد.

سيد سليم تعاطف العالم معاهم؟

محمد عبد الوهاب: العالم متعاطف معاهم من زمان.

اسماعيل حسن: ضرب تل أبيب عملية سياسية لكسب تعاطف العرب مع «صدام» وده كويس، لكن ضرب السعودية إذا كان ضد مواقع

عسكرية قده كويس . إنما مدنيين لأ. بالنسبة لاسرائيل لوضربها كلها مدنيين وعسكريين يبقى كويس.

محمد عبد الوهاب: الصواريخ اللى بتتضرب على اسرائيل ده انذار ومش فرقعة. العالم كله بتقوم فيه مظاهرات لوقف الحرب لأنهم مدركين مدى مايمكن أن يفعله صدام حسين بريبيتهم اسرائيل. ده انذار بيقول لهم أنا اقدر أوصل لقلبكم..باضربكم بالتقليدى، ايش حال لو اشتغل الكيماوى.

المقاومة الكويتية وتوزيع الثروة

اليسار: مارأيكم فى الشعار اللى رفعه صدام حسين حول توزيع الثرو العربية؟ هل رأيكم إنه شعار معقول؟. وهل لم تكن هناك طريقة أخرى لتوزيع الثروة غير الاستيلاء على الكويت وبعد أنتهاء الحرب، كيف تفكر فى توزيع الثروة فى المستقبل؟

عبد الله سيد: الكويتيين لم يدافعوا عن بلادهم.. هم زى اللى عنده واحد بيستعبده؟ يقول لك أنا عندى فلوس أجرى أنا واصدر واحد بفلوس. لو عايزيروح الحمام يجيب واحد يشيله للحمام بفلوسه، هم يستاهلوا اللى جرالهم ويدافعوا عن بلدهم. وأنا لا أوافق على حكاية توزيع الثروه بالشكل ده... يقعدوا مع بعض ويشوفوا كل واحد له حق ياخده. لكن بالطريقة دى وأشرد الناس..لأ

فريد عطوة: بالنسبة لدور الكويتيين، لازم نعرف هم أد إية وقرتهم أد أيه، جيشهم كله ٢٠ ألف جندى. ولو حاولوا يقفوا قصادهم يتبادوا، لكن فيه ناس منهم وقفت زى فهد الأحمد واتقتلوا. كمان الكويتيين وقت الغزو كانوا خارج البلد أمريكا لما دخلت بناداو هى جزجيرة صغيرة، يمكن هما مرفهين زيادة عن اللزوم، دول كانوا رعاة غنم ربنا فتح عليهم فجأة واداهم بترول لكن مايفكروش فى الناحية العسكرية. أما بالنسبة لتوزيع الثروات، فربنا قال (خلقنا الناس درجات) العراق يوميا بتطلع ٣.٨ مليون برميل بترول.. هى دخلت نفسها فى متاهات وحرب ٨ سنين لكن ييجى يقول هاتوزع ثروات لأ.. أنا أغيب على الكويت كمان إن استثماراتهم فى أمريكا بس ١٠٠ مليار دولار، غير اللى فى فرنسا وأى دول تانية.

عباس جاب الله: لما حصل الغزو قريت على لسان سعد العبد الله، إنهم لموا نفسهم وكانوا ح يقاموا، بس كانوا هايبادوا، واللى خلى العملية لسه مستمرة، إن القيادة خرجت من البلد وهم مش ممكن كانوا يصمدوا اقدام العراقيين. بالنسبة لتوزيع الثروات، لما دخل الحرب مع ايران كان بيدافع عن الخليج كله، إيران لو كانت دخلت العراق، كانت احتلت الخليج. كان المعروض أنهم يعطوه، ولما طلب العشرة مليار فى مؤتمر الطائف ماكنش عايز يستغلهم أو يعمل قردة عليهم، لإنه دفع كتير فى الحرب مع إيران. لكن مش عاوزين نوصل لدرجة الحقد وتقول البلد دى غنيه وعندها بترول.. ما احناهنا بلد، غنية، بس مش شاريفين أى حاجة شوية حرامية لامؤخذة يعنى.. بلدنا ، مليانه خير أكتر من الخليج كله، لكن عيشتنا ستكحه وشحاته وزعامه أوقطه و٧ آلاف سنة حضارة، خلينا فى الواقع بقى! ناس تقول لك استثماراتهم حطوها بره، مافيه استثمارات هنا. بس صدام هاحقدش- إحنا اللى حقدنا. ممكن يكون قال هاتوزع الثروات عشان يلم الدول الفقيرة معاه، لكن أفتكر أن حسنى مبارك حس إن صدام حاطط راسة براسه كزعيم بقه. الإدارة المصرية هى السبب فى الحرب دى زى ماقرينا فعلا.. الأمير قال أنا مستعد اديهم الجزيرتين اللى قال عليهم. حسنى مبارك قال، هم لو وافقوا على كده أنا ما وافقش. وهو اللى استفز صدام.. بالنسبة للثروات حسنى برضة خدحقه، وكل الناس دى خدت حقها.

ابراهيم عبد المحسن على: رأى صدام ، القرش الكويتى والقرش السعودى بدل ما ياخدى الأمريكى، ويسلف فوايده لمصر وغيرها، ممكن العرب تستفيد منه. فين اللى شغال فى البترول؟ هم الأمريكان، المصرى لما بيروح هناك بيبقى مهندس، ويشتغل صبى هناك للأمريكى حتى لو كان الأمريكى ده شحات يقولك خبير.

حسن مبارك: كل الشباب الكوايته مرفهين، كل واحد خد الترشنبات بتاعته وراح قعد فى ماريوت، أو فى الفنادق هنا. المفروض كان قعد يدافع عن بلده، لكن هم ليهم نظره أنه يجيب العبيد بفلوسه يدافعوا عنهم. دول مايستاهلوش. بالنسبة لتوزيع الثروات، صدام مايقصدش أنه هاياخد الفلوس يوزعها على الناس، المقصود إن الاستثمارات اللى داخل أمريكا والدول دى تتحط فى الدول العربية لتستفيد منها، لأن الاستثمارات دى فى أمريكا بتفيد اقتصادها، وتطلع فوايد تروح لاسرائيل على أساس تقويتها ضدنا ولما حسوا إن هو هاياخد الاستثمارات دى ويطالب بكده، يبقى اقتصادهم هايفشل عشان كده عايزين يقضوا على صدام حسين.

سيد سليم: بالنسبة للمقاومة الكويتية، ده مش موضوع، لأن ده شعب لاشاف حرب ولاشال سلاح، ومولودين فى بقهم معلقة دهب.

توزيع الثروة.. مافيش عقل فى الدنيا يقبله أنت بيتك يبدو عليك قرش ماتقبلش حد يقاسمك فيه. لكن ربنا فرض حاجة اسمها زكاة المال لكل شىء بيخرج من الأرض، هم بيخرجوا الزكاة دى من نوع انهم بيتكبروا عليك وأنقص من قيمتها، إذا كان مفروض يدفع ٢٠٪ بيدفع ١٪أو٢٪ المسلمين أولى بالفلوس دى، كلام صدام يمكن يكون فى ظاهرة بيلم الناس حواليه، لكن باطنة والله أعلم، هى نوايا خبيثه لسببين، لإن اقتصاده سنة ١٩٧٩ كان يعادل اقتصاد الكويت ماوزعش حاجه.

حسن مبارك: هو فى ٧٩ كان بيعمل بنية أساسيه وبيبنى مصانع ماكانش عنده فائض يديك كعربى تعمل استثمارات هنا.

سيد سليم: فى بغداد شبكات المجارى والصرف الصحى متخلفه عن مصر ٢٠٠ سنة؟ هى دى البنيه الأساسية؟!. الراجل ده وجه كل أموال بلده لترسانة عسكرية مش بنية أساسية فى أول الثمانينات ماكنتش تعرف تلاقى فى بغداد قميص، منع الاستيراد، جوع شعبه، ما أفادش الأمة العربية بشىء ولا أفاد بلده.

اليسار: بيقول الترسانة العسكرية اللى كونها عشان تكون لكل العرب؟.

هو لو استخدمها صح كان ممكن تكون للعرب، حربه مع سيد سليم: إيران مين اللى بدأها؟. هو لو بيدافع وفلوس ضاعت الناس كلها

تقف معاه لكن هو بيضيع فلوس وبيعتدى، مش بيدافع، وبعدين حكاية اتهامه بن الحرب الكيماوية وإبادة الأكراد،

عبد الوهاب شهاب: أولا، الكويت هى العضو الأساسى فى صندوق النقد الدولى، اللى يستعمل الفيتو زى مجلس الأمن، قبل أغسطس بأسبوع، الكويت صوتت ضدنا فى صندوق النقد الدولى. وإحنا كنا بنقول ياعالم اشتروا ديوننا.. الكويت اقتصاديا تملك أسهم ٧ شركات عالمية بتاخد ٥١٪ من اقتصادها، منهم «مرسيدس» فى ألمانيا شركة مرسيدس العائد اللى بيخش للكويت منها عشر أضعاف دخل البترول؟ اللعبة دى لضرب اقتصاد دول الخليج كلها، لتصفية أرصدتهم بره، الأمريكان عايزين يصفوا أرصدتهم، مجلس التعاون الخليجى موجود من ١٠ سنين؟ المجلس وعلى رأسه السعودية (٢١ مليون فرد سعودى) ليه ماعملش جيش قوى، ماسلحتش نفسك، ماجبتش طيران، ماعملتش تحصينات ماعملوش. ليه لأنهم ناس عايزين اللى يشيليهم لغاية الحمام- الشعب الكويتى ثلاث طبقات الأمراء، وخدم الأمراء.. ودول لما حصلت الحرب جريو وخدوا الجوارى والعربيات، وهربوا، فضل فى الكويت الطبقة الثالثة اللى باعتبرها الكويت الحقيقية.

أستفتاء اللحظات الأخيرة

فى نهاية ندوة اليسار مع حضرة صاحب العظمة رجل الشارع المصرى، أجرينا استفتاءً سريعا مع ثمانية من ضيوفنا العشرة، بعد أن كان اثنان منهم قد غادرا الندوة قبل نهايتها بقليل بسبب ارتباطات سابقة..

رداً على سؤال حول رأيهم فى الحل السليم الآن، للأزمة، هل يكون بوقف الحرب أولاً، أو بالانسحاب الكويتى من العراق أولاً، وقد طالب سبعة منهم بوقف الحرب أولاً، وطالب واحد فقط بالانسحاب العراقى أولا..

قالت معظم الحيثيات التى ذكرت لهذا الموقف، أن انسحاب العراق أولاً تعنى هزيمته.

ورداً على سؤال عن النهاية المتوقعة للحرب، هل هى انتصار لصدام حسين.. أم هزيمة له... ورأى واحد أن النهاية ستكون الهزيمة ..بينما رأى ثلاثة أنها ستنتهى بانتصاره «سياسيا» ، ورأى اثنان أن الحرب ستنتهى بالتعادل... وقال الأخير أنه لايستطيع أن يتنبأ...

ورداً على سؤال حول موقفهم من الربط بين قضايا المنطقة، وخاصة بين تحرير الكويت وتحرير فلسطين، وافق سبعة على هذا الربط، أعطى ثلاثة منهم الأولوية لتحرير فلسطين، بينما اعتراض واحد فقط.

وحول الهجمات التى تشن ضد المصالح الأمريكية خارج نطاق منطقة المعارك، فقد أيد أربعة القيام بها، تحفظ أحدهم بأن تكون ضد أسرائيل، واعتراض عليها ثلاثة..

وحول تقيم شخصية الرئيس الأمريكية «بوش»، اتفق سبعة على تقييمها بشكل سلبى، باعتباره موظف فى الادارة الاسرائيلية، وممثل مهرج، ورئيس منحاز وظالم.. بينما قال واحد أن بوش من أكثر رؤساء أمريكا اعتدالا..

وحول تقييم شخصية الرئيس العراقى صدام حسين، قال خمسة إنه زعيم، وقال ثلاثة إنه زعيم ومجنون معاً!

توزيع الثروات مش معناه إنه يلم ويدى، إنما تعاون اقتصادى مصر مثلاً عندها أرض وعايزة فلوس، السودان، ٢٠ مليون فدان أرض صالحة للزراعة، أفتكر غيرى حب مرة يعمل شهم وقال ها افتح للفلاحين المصريين وتجيب استثمارات من الدول العربية، دخلت أمريكا قالت لا، الفلاح الأمريكى هايشحت لوزرعتوا عندكم. الصومال بتدى السعودية دبايح عشان الأضحية، دول الخليج عملت دعاية ضدها وادعت إن المواشى بتاعتها فيها مرض، ليه؟ عشان الأرجنتين تبيع وفرنسا تبيع والدنمرك تبيع.. موضوع توزيع الثروات العربية يعنى يبقى فيه تنسيق. مصر عندها زراعة تزرع وتدى دول الخليج، هم عندهم بترول يدوا الدول الثانية، يعنى يبقى فيه تكامل..

سلوى زكى: الكوايته أصلا ماحصلهمش حاجه هم هنا معززين مكرمين قاعدين فى فنادق خمس نجوم، أكبر المحلات واقفين عليها، بيجيبوهم، فى التليفزيون بعربيات فخمة جداً، إحنا لما طلعنا من بور سعيد بعد حرب ١٩٦٧ طلعنا شحاتين عيشونا فى خيام ماحيلتناش حاجه وحالتنا كانت تصعب على الكافر. ودول عيشتهم فى الكويت هى عيشتهم هنا هى بره .فى بلدهم كانوا عايشين يوم بيوم، لاماضى ولامستقبل. توزيع الثروات ياريت يكبش ويدى ويعمل أى حاجه.

محمد عبد الوهاب: الكويتين فى مصر، حصلوا على حقوق لم نحصل عليها.. تظاهروا لما حصلت الحرب تأييداً لها. فهل من حقنا أن نتظاهر ضد الحرب؟ هم واخدين حق فى بلدنا ماحناش واخدينه، لأن معاهم فلوس. ده غير إنهم بيتصرفوا معانا تصرفات سيئة للغاية، لا تليق بشعب له أصالة أو حضارة هل معنى أنى مش قادر أعمل مقاومة إنى أسيب بلدى وأخلع؟ يعنى أنا قاعد فى بيتى لقيت المعلم «كعبورة» دخل واحتل بيتى، أسيبه واجرى، ما أنا أفضل قاعد معاه وليبقى الوضع على ما هو عليه لغاية ما ربنا يحلها. إذا ربنا اداني قوة أحرجك أو جبت حد يساعدنى.. إنما ماأسيبش بيتى واخرج.

اليسار: هل تعلم أن هناك زعماء معارضه كويتية كانوا يعارضون الصباح، منهم ناس فى الداخل وناس خارج الكويت، لهم موقف ضد الحرب وقالوا اننا لانقبل أن يكون تحرير الكويت ثمنه تدمير العراق. وطلعوا بيانات بذلك؟

محمد عبد الوهاب: دى عقلية يجب أن نحترم. أما دول اللى يتسموا شعب، مش ها قول كويتى، شعب عربى، الكويتيين اللى لهم حق فعلا هم اللى قاعدين جواها.. إنما الأمير الصباح ده بهرب ويقول حقى.

سيد سليم: هو رمز البلد ولازم يحافظوا عليه.

محمد عبد الوهاب: رمز البلد إيه، ده العيله كلها خلعت، طب يفضل حد جوه. طب يفضل حد جوه. بالنسبة لتوزيع الثروات، فيه شوية فبركه صحفية، لا أعتقد إنه بالصورة التى تقال حالياً انى أحبس من ده وأدى ده، لأنه مش رجل عبيط.. والأيام تثبت انه عاقل ١٠٠٪ . لو بصينا للعراق فيها ١١٨ مليون هكتار صالحة للزوراعة، صدام قال زى ماخرجنا من حرب إيران بثورة صناعية حربية، هانطلع من الأزمة دى بالثورة الزراعية. هو بيهجر الناس من المدن عشان يزرعوا الأرض دى، بدل مايحصل الدمار ده كله، ليه ماكانتش الأرض دى تستصلح، العرب دول عاملين زى القرع يمد لبره، أروح أعمل نوادى قمار وصالات ديسكو وفنادق خمس نجوم تمارس فيها كل البذاءات . أنا عايز أسأل سؤال للى بيقولوا فيه استثمارات فى مصر. أنا عايز أعرف استثمار كويتى واحد منتج فى مصر ! لكن إن أنا أعمل بم بم، وعشره أحمر عشره بدنجان وشكولاته، دى عمرها ماتكون صناعات منتجة للبلد.

حوار مع : علي عبدالله صالح

زالت امبراطوريات كثيرة وسوف تزول الإمبراطورية الأمريكية

في «صنعاء» لايستطيع أحد أن يتجنب الشعور بأن القنابل التي تسقط على العراق تنفجر في اليمن.. تأييد شعبي ورسمي جارف للعراق، وغضب يتزايد ضد التحالف الأطلسي.. ضد أمريكا وإسرائيل والنظم العربية التي ارتضت الوقوف في صف الحلفاء كما يسمونهم غادرت «صنعاء» والأعلام السوداء ترفرف عليها حدادا على مذبحة الحلفاء وأصوات خطباء الجوامع تصب الغضب على المعتدين... ورغم ذلك فإن الموقف الرسمي اليمني، كان ولايزال رافضا لإجتياح الكويت. ولكن الحرب ومن قبلها الحشود العسكرية التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ الحروب، دفعت كل القوى رسمية وشعبية لإعادة ترتيب أولوياتها.. العاجل الآن هو وقف الحرب وإخراج الجيوش الأجنبية وبعد ذلك سوف تحل كل المشكلات في إطار الأسرة العربية ويتراجع الحديث عن الكويت، كلما إزداد العدوان عنفا

ويشعر اليمنيون مواطنون ومسؤولون بمرارة خاصة إزاء الموقف الرسمي المصري، فلو أن مصر وقفت على الحياد ولم تتورط في التحالف لفقد هذا العدوان على العراق مشروعيته وغطاءه..

في وسط هذا الجو المشحون ذهبت لألتقي بالرئيس «علي عبد الله صالح» كواحد من أبرز أقطاب الحل العربي، ورئيس الدولة العربية العضو الوحيد في مجلس الأمن في الدورة الحالية والتي يلعب مندوبها «عبد الله الأشطل» دورا أساسيا نشطا بالتنسيق مع كوبا من أجل وقف الحرب وتسوية الأزمة سلميا. كذلك تقع اليمن قريبا جدا من منطقة الاشتعال ولها مع السعودية مشكلات حدودية مزمنة، ومن ثم فإن أي نهاية للحرب سوف تؤثر عليها تأثيرا عميقا جدا... تؤثر على وحدتها التي مازالت تخطو خطواتها الأولى، وعلى اقتصادها كدولة نفطية تحبو، قامت السعودية بمعاقبتها على موقفها الرافض للجيوش الأجنبية، بطرد مليون عامل يمني كانوا قد توطنوا في الجزيرة العربية، وهم الآن عبء على الاقتصاد اليمني.

وقد رفضت الحكومة السعودية صرف مستحقاتهم إمعانا في العقاب..

وقبل أن أخطو في إتجاه «الخيمة» التي إستقبلني فيها الرئيس «علي عبد الله صالح» برفقة الدكتور «محمد جرهوم» وزير الإعلام، كان خبر طازج قد انتشر في العاصمة حول إسقاط طائرة إستطلاع أمريكية فوق ميناء الحديدة اليمني، ولكن المواطنين اليمنيين الواثقين من اشتراك إسرائيل في هذا العدوان على العراق قالوا إنها طائرة إسرائيلية!..

فريدة النقاش

حوار:
فريدة النقاش

لأمريكي ضد العراق.. هل هناك تصور أو خطة مشتركة بين دول الحل العربي، التي رفضت- أو تحفظت على قرارات أغلبية قمة القاهرة للوصول لمخرج سياسي سلمي من الأزمة ورفع مستوى دعمها للعراق؟

قمة القاهرة كانت غطاء شرعية للتواجد الأجنبي..

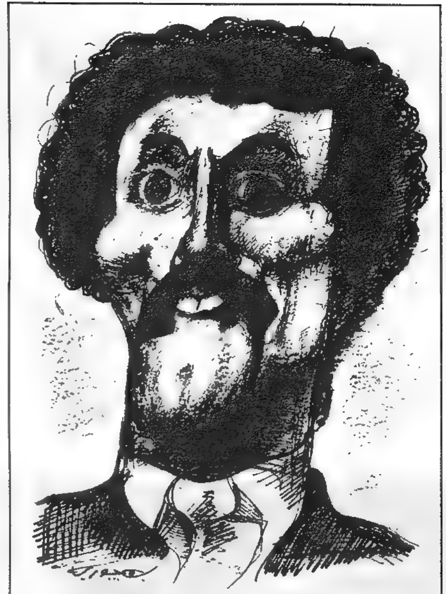

علي عبد الله صالح: بريشة الفنان جورج البهجوري

* الحقيقة أن التسع دول التي لم تصوت على قرارات القاهرة اعتبرت تلك القرارات معدة مسبقا، والامتناع عن الموافقة على تلك القرارات ليس معناه أننا كنا نجيز احتلال الكويت ولكننا كنا نرى أن ماحدث قد حدث بالنسبة للكويت ولكن المهم كيف نحل المشكلة في إطار عربي بعيدا عن التدخل الأجنبي، ولكننا فوجئنا في قمة القاهرة أن القرارات قد سبق إعدادها وتحضيرها للمؤتمر.. وربما بإسهام ومباركة من قوى أجنبية كانت تبحث عن غطاء لإيجاد شرعية للتواجد الأجنبي.

وكنا نرى نحن التسع دول التي لم توافق على هذه القرارات أنه لابد من إيفاد عدد من الشخصيات من الملوك والرؤساء والأمراء العرب لإقناع العراق بالانسحاب من الكويت والتفاوض بين العراق والكويت وحل المشكلة سلميا في محيط الأسرة العربية.. ولكنه وكما اتضح ويتضح لنا بين وقت وآخر أنه كانت هناك بالفعل نوايا مبيتة ومخطط لها مسبقا، وماكنا نريد لهذا المؤتمر أن يفشل في القاهرة وهي تحتضن أول مؤتمر عربي بعد عودتها إلى الحظيرة العربية ماكان ينبغي لهذا المؤتمر أن يفشل في مصر العروبة.. مصر ٢٣ يوليو.. مصر عبد الناصر مصر التي واجهت العدوان الثلاثي.. مصر التي تصدت للعدوان ضد الأمة العربية وخاضت حرب ٦٧ و٧٣ من أجل الأمة والانتصار لقضاياها وهذا هو دأب شعب مصر.. ولكن للأسف الشديد أن ذلك حدث في أول مؤتمر بعد عودة النظام المصري إلى الحظيرة العربية، بعد أن قوطع لفترة زمنية نتيجة اتفاقية كامب ديفيد أو اسطبل داوود، تلك الاتفاقية المشينة والمذلة للأمة العربية، التي كانت نتيجة الخوف من إسرائيل التي جعلوا منها بعبعا، وجعلوا منها شيئا كبيرا في المنطقة وهي في حقيقة الأمر ليست بتلك الهالة الكبيرة التي صوروها بها وجسمتها الاستخبارات الدولية، وأرهبت بها الوطن العربي.. هي بلد بسيط عندها امكانيات، وتدعمها أمريكا كما لو كانت ولاية من ولايتها الواحدة والخمسين.

ولكن المخابرات الدولية والصهيونية زرعت الرعب في الوطن العربي وأوجدت الذعر في نفوس بعض الحكام، وهذا الذعر الذي وجد في نفوس بعض الحكام عكسوه على شعوب المنطقة، ولكن الشعوب الواعية والشعوب الوطنية، والشعوب القومية والشعوب الإسلامية والشعوب التي ناضلت ضد الاستعمار، وحررت الاستعمار، وانتزعت استقلالها، لم ولن تخضع أمام هذا الإرهاب الدولي.

عموما وإجابة على الشق الآخر من السؤال نحن لازلنا نبذل جهودا مع أشقائنا في الجزائر وفلسطين والسودان والأردن وتونس وليبيا ومع عدد من الدول الإسلامية مثل إيران وباكستان، ومع بعض دول عدم الانحياز مثل يوغسلافيا.. نبذل جهودا من أجل إيقاف هذه الحرب المأساوية والمدمرة والوحشية التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية بمباركة بعض قادة العرب.

*** * هل هناك إتجاه لكسر الحصار الاقتصادي على العراق؟**

* أولاً نحن في اليمن وبعد أن صدر قرار ٦٧٨ لمجلس الأمن وبدأ العدوان على العراق في ١٧ يناير نعتبر أن القرار الخاص بفرض الحصار الاقتصادي على العراق لاغ، لأنه كان مجرد وسيلة للضغط على العراق من أجل الانسحاب من الكويت، ولكن بعد استخدام القوة وشن العدوان على العراق نعتبر ذلك القرار لاغياً.

*** * تتناقص قوة العراق بالضرورة مع استمرار العدوان الأمريكي والحرب. وليس لديه مصدر للسلاح، بعد خروج الاتحاد السوفيتي.**

ماهو في تصوركم دور بلدان الحل العربي في مواجهة هذا المأزق؟

* أولاً نعتقد أن الوطن العربي بأسره عواطفه ومشاعره تقف إلى جانب العراق وبالطبع فإن العراق تلحق به أضرار بالغة في منشآته الاقتصادية والصناعية وهياكله التنموية وكذلك هي حال الكويت وبقية بلدان المنطقة.

وسوف تتناقص قدراته وهذا معروف، ولكنني تحدثت مع الأشقاء في العراق وكان رد

الأشقاء في العراق بأن هذا قدرنا وهذا مصيرنا وغير مستعدين لأن نركع وسنموت أو نستشهد ونحن مرفوعو الهامات والقامات بدون إذلال، ونحن نعرف أنه ستلحق بنا أضرار ولكننا سنصمد أياما وأشهر وسنين لمواجهة هذا التحدي.

وأنا أقول بأن على الأمة العربية والإسلامية بعد أن مر على هذا العدوان (٢٩) يوما إلى اليوم، بأن عليها أن تقف إلى جانب العراق وكل دولة بحسب إمكاناتها المادية وفي كل المجالات والميادين لمساعدة العراق.

*** * ماهي تصوراتك لمستقبل المنطقة فيما لو انهزم العراق؟**

أولاً: نحن لسنا متشائمين لكننا متفائلون بأن العراق لن يهزم وإذا جرى للعراق شيء فالحقيقة لن نعتبرها هزيمة لأنه لم يهزم أمام قطر أو بلد ولكنه في مواجهة مع أكثر من (٢٨) دولة تحت قيادة دولة عظمى فكونه واجه وتحدى هذه الغطرسة مهما وصلنا في نهاية المطاف إلى وقف الحرب، وقد يقول البعض أن هذه هزيمة فإننا نعتبر ذلك ليس هزيمة، بل انتصاراً، عرفنا هذه القوى أن الانسان العربي قادر على مواجهة هذه الآلة الحربية المتطورة بإرادة صلبة وبالإيمان الواثق بالنصر، إيمانه بالله سبحانه وتعالى وليس إيمان التكنولوجيا والكمبيوتر، هذه العوامل مساعدة للإنسان وليست هي كل شيء في حياة الإنسان.

إنشاء الله العراق سينتصر ونحن متفائلون، وانتصار العراق هو نصر للأمة العربية والإسلامية.

*** * ولكن بافتراض الهزيمة؟**

* حتى الآن نقول العراق منتصر لأنهم كانوا يقولون أن الحرب لن تدوم سوى ساعات أو أيام.

*** * فلنتصور أن فكرة الهزيمة العسكرية واردة، ماهو مستقبل المنطقة حينئذ في تصوركم؟ وماذا تعدون من خطط؟**

* اعتقد أن السيناريو الذي يطرحه بين الحين والآخر بعض المسئولين في الولايات المتحدة والدول الأوروبية واضح أنه يكشف عن مخططات لهذه المنطقة وضد مستقبلها، ونحن لنا وجهة نظر حول قضية الأمن والسلام في المنطقة التي هي شأن داخلي من اختصاص دول المنطقة نفسها.

كما أن مايردده بعض أولئك المسئولين الأجانب عن توزيع الثروة العربية بين الأغنياء والفقراء فنحن لانجيز ذلك القرار الذي يتبجح به أولئك الأجانب الذين يعدون ذلك السيناريو للمنطقة فالثروة عربية والعرب هم المسئولون عنها وهم ربما يعتقدون أننا سوف نؤيدهم في ذلك فالثروة العربية سواء ثروة السعودية أو ثروة قطر أو ثروة الخليج هي ملك لشعوبها وتوزيعها يأتي في إطار التعاون العربي بين العرب أنفسهم، وهم يعرفون كيف يحلون مشاكلهم بأنفسهم سواء ثنائيا أو جماعيا وليس الأجانب أو الآخرون أوصياء على العرب في توزيع هذه الثروة يرضون بها هذا أو يغضبون ذاك.. هذه قضية تخص العرب أنفسهم وهم ليسوا أوصياء على هذه الثروة كما أنهم ليسوا أوصياء على المنطقة بأي

على عبد الله صالح: رئيس الجمهورية اليمنية

حال.. وبالطبع فإن الشعوب العربية لن تسمح بتمرير أي مخطط ضد مصالحها ومع هزيمة العراق وبقاء الوجود الأجنبي في المنطقة، منها وسيادتها واستقلالها.

ولكن هذا الاستقلال سوف يصبح وكأنه حلم مع هزيمة العراق وبقاء الوجود الأجنبي في المنطقة؟ *سيظل الأمل يراودنا وسوف نناضل من أجل استقلالية القرار العربي لن تنهزم من جراء هذه الهجمة الامبريالية الصهيونية، هذا مجرد إرهاب وإرهاص، لأنهم يريدون أن يخضعوا الوطن لوصايتهم وقراراتهم، نحن والشعوب العربية معنا سنناضل من أجل استقلالية الوطن العربي والقرار العربي وإذا ما اضطررنا سنبقى نناضل سنين وسنين من أجل استقلالية القرار العربي وعدم الوصاية عليه من القوى الأجنبية.

لإننا نرفض الوصاية، وهذه الغطرسة الصهيونية الامبريالية لن تدوم طويلا، لإننا لو قرأنا التاريخ جيدا سنجد أن الامبراطوريات والاستعمار سواء في العصور القديمة أو الحديثة لم يدم طويلا، وبالنسبة للأمريكان فإنهم لم يقرءوا التاريخ جيدا وهم يعتقدون أنه بهذا التطور التكنولوجي والتطور الاقتصادي والتطور العسكري أنهم قادرون على تركيع العالم، هذا ليس صحيحا وستكون الحسابات خاطئة، ومثل مادخلوا حرب الخليج وهم يحسبونها ساعات معينة وإلى الآن لهم شهر ولم يحققوا شيئا سوى قتل الأبرياء والأطفال وضرب الهياكل الأساسية للتنمية في العراق ولكنهم فشلوا في تركيع العراق أو إلحاق الهزيمة به، الحسابات الأمريكية في هذه الحرب خاطئة والشعوب العربية لن تفرط في استقلالها مهما كان.

*** ماتزال كل من اليمن ومصر عضوان في مجلس التعاون العربي، ولكن العلاقات قد توترت أخيرا بسبب أزمة الخليج فهل توقفت آليات المجلس وماهو تصوركم لمستقبلها في ضوء ما استجد؟**

* طبعا في هذه الفترة الآلية التي كانت في مجلس التعاون العربي توقفت نتيجة أحداث الخليج، وليس هناك أي نشاط يذكر، وأثار هذه الأحداث لم تقتصر على مجلس التعاون العربي بل على النظام العربي كله بكل مؤسساته وتكويناته.

*** ألايوجد أي نشاط الآن لمجلس التعاون العربي؟**

* لانشاط على الإطلاق وأصبح مجلس التعاون العربي شكلا بدون مضمون في هذا الظرف للأسف، ولكن إذا حلت هذه المشكلة ربما يعاد نشاطه والسعي إلى ترميم ماحدث، وهذا سيأخذ وقتا طويلاً وهناك حاجة لترميم جسور التعاون بين البلدان الأربعة وعلى وجه الخصوص بين مصر والعراق وهذا سيأخذ وقتا طويلا، أما بالنسبة لنا فليس هناك أي مشكلة بيننا وبين الأخوان في مصر.. ماجرى هو عبارة عن حملة صحفية إعلامية ظالمة ضد اليمن من قبل بعض الكتاب المعادين للثورة اليمنية وحملتهم على اليمن وتشويه مواقفها معروفة دوافعها ولكن رغم ذلك فإن اليمن لم يجار هذه الحملة الصحفية أو حتى التلميحات التي تصدر في خطابات بعض المسئولين ضد اليمن والمثل عندنا في اليمن يقول: لايرمي بيت الآخرين بالحجر من كان بيته من زجاج، ونحن لسنا مضطرين للرد.

*** تاريخيا كانت العلاقة بين اليمن ومصر باستمرار علاقة جيدة وودية فكيف تتصور مستقبل هذه العلاقات بعد انتهاء الأزمة الراهنة؟**

* أولاً من حيث العلاقات اليمنية المصرية هي علاقات تاريخية أزلية ونضالية معمدة بدماء شهداء مصر العروبة الذين أسهموا في مناصرة ثورة ٢٦ سبتمبر وثورة ١٤ أكتوبر وستظل هذه العلاقات التاريخية الحميمة قوية ومتطورة ولايستطيع أحد أن يغير منها مهما كان ومهما تباينت آراؤنا كحكام أو كأنظمة، فإن علاقة الشعب المصري بالشعب اليمني ستظل تاريخية وقوية حاضرا ومستقبلا.. ومن وجهة نظرنا فإن أي تباين في وجهات النظر يجب أن لايؤدي إلى القطيعة أو الشتيمة أو الحملات المحمومة وغير المسئولة، أو الإساءة للعلاقات بين بلدين شقيقين مناضلين، وأنتم تعرفون مايكنه الشعب اليمني من حب وتقدير لشعب مصر العروبة شعب ثورة ٢٣ يوليو وشعب الزعيم الخالد/ عبد الناصر.

*** نشرت بعض الصحف في مصر أنباءً عن سوء معاملة ومضايقات يلقاها المصريون العاملون في اليمن؟ إلى أي مدى هذه الأنباء صحيحة؟**

* لاصحة لذلك مطلقا ونحن لانسمع بذلك أبداً ومثل هذه الأنباء المختلقة تأتي ضمن حملة الافتراءات الدائمة ضد اليمن والتي تهدف إلى تخريب العلاقات اليمنية-المصرية، الإساءة إلى العلاقات الأخوية الحميمة بين الشعبين الشقيقين المصري واليمني.

والمصريون العاملون في اليمن الآن يشعرون أنهم في وطنهم وبين أشقائهم يحظون بكل الرعاية والحب والاحترام من أشقائهم في اليمن وهم يؤدون واجباً وجها عظيما في مسيرة البناء والتنمية في اليمن ينظر له أبناء الشعب اليمني بكثير من التقدير والوفاء لانه واجب لايقل شأنا عن ذلك الواجب العظيم

اتفاقيات كامب ديفيد مهينة للأمة العربية

بصرف النظر عن النتائج.. فقد انتصر العراق

اختلاف المواقف.. ينبغي ألا يؤدي للقطيعة

فريدة النقاش: تحاور الرئيس على عبد الله صالح فى خيمته بصنعاء

الذى ينهض به أبناء مصر العروبة دفاعا عن الثورة اليمنية بل هو إمتداد له وإذا كانت مصر العروبة قد ساهمت قبل ذلك بجيش مقاتل للدفاع عن الثورة اليمنية فهى تسهم اليوم بجيش آخر يساهم فى مسيرة التنمية والنهوض الحضارى لشعبنا ووطننا.

*** * تمت الوحدة اليمنية بطريقة ديمقراطية وسلمية، ولكن الوحدة تمت فى ظل خيارين سياسيين مختلفين بين شطرى الوطن. فى الجنوب كان هناك توجه اشتركى وفى الشمال كان هناك توجه رأسمالى، فكيف يجرى التوفيق بينهما على الصعيد الاجتماعى، وماهى الآفاق الاقتصادية والاجتماعية القريبة للوحدة؟**

* حقيقة لم تكن هناك لا رأسمالية فى الشمال ولا اشتراكية فى الجنوب نحن الآن بعد أن حققنا هذه الوحدة أخذنا بخيار وفكر يمنى وبحثنا أين تنبع مصلحة الوطن مع الاستفادة من كل ماهو إيجابى فى الجانب الاشتراكى والجانب الرأسمالى ونأخذ النهج الذى يتلاءم مع طبيعة وواقع بلادنا وحجمها ووارداتها وصادراتها وعقيدتها ومبادئها.. نأخذ الشىء الإيجابى من كل مكان ومن كل نظام وتجربة سواء كانت اشتراكية أو رأسمالية مع العلم أن الاشتراكية أثبتت فشلها فى المنظومة الاشتراكية والرأسمالية ليس كلها ايجابيات وقد أوجدت مشاكل جمة وصعبة كالتضخم وغيره من المشاكل فى عدد من البلدان، ولكننا نحن فى اليمن ونحن نصوغ واقع تجربة جديدة فى ظل الوحدة نستفيد من كل ماهو ايجابى وبما يحقق التقدم والأزدهار لشعبنا.

*** * ماهى آفاق التطور بالنسبة لمستقبل اليمن الموحد؟**

* طموحاتنا كبيرة.. وكبيرة جدا.. نحن نركز على التنمية الزراعية وعلى تنمية الموارد، وعلى المزيد من البحث عن الثروات النفطية والمعدنية وبلدنا واعدة بالخير فى هذا الجانب ومستقبلنا إنشاء الله واعد بالخير فى مجالات عديدة كما أن رهاننا الأساسى على الديمقراطية وهى الأساس فى البناء. الديمقراطية هى أساس الحفاظ على الوحدة اليمنية وهى أساس التقدم فى وطننا وأساس تنمية وتطوير علاقات بلادنا مع العالم الخارجى واليمن يعيش بكل المقاييس تجربة ديمقراطية فريدة ترتكز على التعددية السياسية والمشاركة الشعبية والواسعة فى مجالات البناء السياسى والتنموى.

*** * قانون «الأسرة» فى الجنوب كان قانونا تقدميا بالنسبة لتحرير المرأة فهل سيعمم هذا القانون على الوطن كله؟**

* نحن نستمد كل تشريعاتنا من دستور الجمهورية اليمنية الذى هو دستور إسلامى وكل مايتنافى مع الشريعة الإسلامية يتنافى مع الدستور وعلى أية حال هناك قوانين لدينا تساوى بين الرجل والمرأة، والمرأة فى بلدنا تشارك أخاها الرجل فى مختلف مجالات العمل والمسئولية وهو حق كفله لها الدستور.

*** * كيف تأثرت الوحدة بأزمة الخليج وخاصة بعد ترحيل العمال اليمنيين من السعودية؟**

* أزمة الخليج زادت من تعميق الوحدة الضاربة جذورها فى أعماق الأرض اليمنية صحيح أن أزمة الخليج سببت لنا ضغطا اقتصاديا وجعلت البعض يشن علينا حملة ظالمة بهدف إرهابنا لتغيير مواقفنا المبدئية ولكن كل هذا كان له أثر إيجابى على الوحدة اليمنية لأنها زادتها رسوخا وقوة.. الشعب اليمنى اعتبر الحملات المضللة والضغوط الاقتصادية تآمرا على الوحدة فازداد تشبثا بها.

توتر العلاقات المصرية العربية.. صراع بين المصالح

أمينة النقاش

على عكس مايبدو ظاهريا، لم تكن الخلافات العربية العربية، ومن ضمنها الخلاف المصري العربي، حول الموقف من أزمة الخليج، مجرد خلاف سياسي نظري، كما قد يتبادر إلى الذهن...، لكنها في الواقع خلافات حول المصالح. وفي هذا السياق ترتبط التوترات التي حدثت في علاقات مصر العربية، بمحكات المصلحة، التي تتحكم في السلوك السياسي لكل دول المنطقة.

وكان الموقف المصري في حرب الخليج، المنحاز بوضوح إلى المحور «السعودي- الكويتي- الخليجي»، تعبيرا عن إدراك الإدارة المصرية، للمعسكر الذي يحقق مصالحها، ليس فقط لأن هذا المعسكر صاحب صلات حميمة بالولايات المتحدة الأمريكية، التي تحتفظ مصر بعلاقات وثيقة معها، وتستعين بمعوناتها المالية في مواجهة أزماتها الاقتصادية، ولكن كذلك لأن جزءا من دوافع العراق في واقع الأمر، لاحتلال الكويت، هو البروز، كمركز قوة إقليمي في المنطقة، والتقدم لشغل دور الزعامة الشاغر في المنطقة العربية، والذي خلا منذ وقعت مصر اتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٩...، وهو ما أعتبرته السياسة المصرية، منافسة لها على الدور الذي تعتبر أنها أحق به من غيرها. فضلا عن تأثير تخليها عن هذا الدور على نفوذها الدولي، وعلى مايمكن أن تحصل عليه بسبب هذا النفوذ من قروض ومعونات.

ومنذ تولي الرئيس «حسني مبارك» السلطة في أكتوبر عام ١٩٨١، ويبدو واضحا، أن الأزمة الاقتصادية وأفق الإدارة المحدود في حلها، هي التي تقود سياسات الإدارة المصرية الداخلية والخارجية وحين اختارت الإدارة المصرية سياسة الاعتماد الكلي على الولايات المتحدة الأمريكية، لحل مشاكل الفوضى الاقتصادية التي خلفتها سياسات الانفتاح الاقتصادي، كان الإغراء الذي تقدمت به لواشنطن، هو نجاحها في إحياء العلاقات المصرية العربية بعد قطيعة دامت أكثر من عشر سنوات، بشكل أوحي للولايات المتحدة أن مصر عادت تتزعم المنطقة العربية، وأن على واشنطن وهي تتعامل معها، أن تضع في الاعتبار، قدرة مصر على تشجيع الأطراف العربية الأخرى على الانضمام لمسيرة التسوية السلمية التي تكفل الاستقرار في المنطقة، والحفاظ على أمن أسرائيل، وضمان تدفق البترول إلى الغرب بشروطه- من منطقة الخليج. وبرغم أن الإدارة الأمريكية، لم تقبل بدور الوسيط الذي رسمته السياسة المصرية لنفسها في عهد الرئيس مبارك، وأخذت في كل مناسبة تلح على أن تقدم الحكومة المصرية الدلائل على التزامها بالدفاع عن السياسة الأمريكية في المنطقة، ودعم أولويات هذه السياسة، فإن الإدارة المصرية، قد تحركت منذ الأيام الأولى للأزمة العراقية الكويتية، برغبة حقيقية في ألا تضع سياستها محلا لامتحان يعرضها للاختيار بين العرب وأمريكا، وهو اختيار لم تكن تريد الإدارة المصرية أن تضع نفسها فيه، لأنه سوف يسقط هامش المناورة، الذي كانت تخفي به، علاقة التبعية الكاملة التي تربطها بالولايات المتحدة الأمريكية، كما تعرض دورها الذي رسمته لنفسها كوسيط بين العرب وأمريكا وإسرائيل لأهتزاز لاتقدر على تحمله.

وجاءت المقامرة العراقية بغزو الكويت لتدفع الإدارة المصرية دفعا لاتخاذ موقف الانحياز السافر للطرف الذي رأي فيه الإدارة المصرية ارتباطا وثيقا بأهدافها ومصالحها.

وقد عبر الرئيس حسني مبارك عن ذلك صراحة في الأسابيع الأولى للأزمة حين رد على الانتقاد العراقي له، بالسماح للقوات العسكرية الأجنبية للمرور في قناة السويس، قائلا أن لكل بلد مصالحه التي لابد أن يراعيها.

قدرت السياسة المصرية الرسمية إذن ظروفها، ومدى قوتها، وأدركت أن ماتعانيه من مشاكل لايسمح لها بالمراهنة على تيار راديكالي يتسم بالمغامرة، فبنت حسابات موقفها على أساس أن المعسكر الذي تدعمه الولايات المتحدة الأمريكية هو الذي سيكسب الرهان النهائي، وبالتالي فإن دعمها له سيعطيها نفوذا في منطقة الخليج العربي، ويمنحها دورا في الترتيبات الأمنية التي ستعقب الأزمة. وقبل هذا وذاك، يخلق الظروف التي تمكنها من التخلص من ديونها ودعم اقتصادها.

وفور بدء أزمة الخليج حدث نوع من الاستقطاب في علاقات مصر العربية، التي أخذت تسوء بدورها مع تصاعد الأزمة وأنقسم الوطن العربي إلى ثلاثة معسكرات يقف الأول مع الكويت ويساند سياسة إستردادها بالقوة العسكرية الأجنبية ويضم «مصر والسعودية وسوريا ودول الخليج» ويميل المعسكر الثاني إلى الموقف العراقي مع رفضه للأحتلال العراقي للكويت يغلب مشكلة وجود القوات المتعددة الجنسية وعدوانها على العراق على قضية استرداد الكويت. ويضم الأردن وفلسطين والسودان واليمن، ويقف المعسكر الثالث موقفا أقرب إلى الحياد يتمثل في رفض الغزو العراقي للكويت ورفض العدوان الأمريكي الأطلسي على العراق ويضم دول المغرب العربي.

وكان مجلس التعاون العربي هو أول الضحايا للخلاف المصري العربي، فقد قضت عليه الأزمة تماما بعد أن اتخذ ثلاثة من أقطابه- العراق واليمن والأردن- موقفا مخالفا للموقف المصري تجاه أزمة الخليج.

وببروز دور مصر تدريجيا، باعتبارها أكبر الدول العربية، وأعلى الأصوات المؤيدة للسعودية في موقفها من حرب الخليج، والتداعيات التي ترتبت عليها، فقد أصبحت

مصر هدفا للهجوم الذي يشنه عليها المعسكر العربي المساند للعراق.

ومنذ بدء الأزمة، شن الإعلام المصري الرسمي حملة على الدول العربية التي غلبت مخاوفها من وجود القوات الأجنبية في الخليج بهذه الكثافة غير المعهودة، على مخاوفها من الغزو العراقي للكويت دون أن ينشر مبرراتها.. وعمد الإعلام المصري الرسمي على طمس الحقيقة القائلة، إنه ليس هناك دولة عربية واحدة- حتى تلك المتعاطفة مع الموقف العراقي- توافق على الغزو العراقي للكويت، وإن الفروق بين المعسكرات العربية الثلاثة التي انقسمت في أعقاب الأزمة، تعود إلى الخلاف حول كيفية الخروج منها وطرق حلها. وتجاوزت حملة التشهير التي قادها الإعلام المصري الرسمي ضد الرؤساء العرب، لتشمل الشعوب العربية ذاتها. ونال الزعيم الفلسطيني «ياسر عرفات» النصيب الأوفر من الهجوم بعد الرئيس اليمني «علي عبد الله صالح» والعاهل الأردني «الملك حسين» برغم حرص الرئيس مبارك شخصيا، على عدم التعرض لأشخاص الرؤساء العرب، وتأكيده على نقد السياسات لا الرجال!

وأقترنت حملة الإعلام الرسمي المصري على الدول العربية بصدور قرار يمنع دخول العراقيين إلى مصر دون تأشيرة مسبقة،

أزمة الخليج والمعسكرات العربية الثلاثة

الأسباب الحقيقية لمواقف الأردن واليمن والمغرب

مصر طرف في محور عربي.. يواجه محورا آخر

الملك حسين

ويحظر على الفلسطينيين دخول مصر إلا إذا كانوا يحملوا وثائق سفر مصرية.

وخلال الأسابيع القليلة الماضية التي أعقبت بدء الحرب الأمريكية الغربية على العراق شهدت العلاقات المصرية العربية أعلى درجات التوتر تمثلت في حملات إعلامية متبادلة، ومظاهرات شعبية حاشدة تندد بالدور المصري في الخليج.ففي السودان نسب إلى السفير المصري، بالخرطوم «حسن جاد الحق» أن المظاهرات الشعبية التي خرجت لتأييد العراق قد طالبت صدام حسين بضرب السد العالي وحرقت العلم المصري تحت رعاية سلطات الأمن السودانية. وبرغم إعلان الحكومة السودانية، بأن هذه المظاهرات ليست تعبيرا عن الرأي الرسمي، فقد أغلقت الحكومة المصرية جامعة القاهرة فرع الخرطوم ومدارس البعثة التعليمية المصرية في السودان إلى أجل غير مسمى، كما رحلت مصر خمسمائة سوداني. وردت الخرطوم بطرد خمسة مصريين بينهم أحد الدبلوماسيين وقدمت الخارجية المصرية احتجاجا شديد اللهجة للسفير السوداني بالقاهرة «عز الدين حامد» وأبلغته استياء القيادة المصرية من تهجم وسائل الإعلام السودانية عليها، واعتداء المتظاهرين على السفارة المصرية في الخرطوم.

ياسر عرفات

كما رفضت السلطات المصرية التدخل لمنع مظاهرات الطلبة السودانيين بالقاهرة من اقتحام السفارة السودانية.. وكان الرئيس حسني مبارك قد سبق ورفض وساطة العقيد «معمر القذافي» لحل الخلافات السودانية المصرية، في القمة الرباعية التي جمعتهما في مصراته بليبيا مع الرئيسين السوري حافظ الأسد والسوداني عمر البشير كما نسب الإعلام المصري لمظاهرة يمنية في صنعاء التهجم على الرئيس حسني مبارك وقذف السفارة المصرية بالحجارة، وهو ما انتهى بخفض مصر لبعثتها الدبلوماسية برغم نفي الحكومة اليمنية مسئوليتها عن تنظيم تلك المظاهرة، وهو نفس ماحدث في الجزائر، حيث مرت المظاهرات الشعبية الجزائرية المساندة للعراق بالسفارة المصرية ورفعت شعارات ترفض الدور المصري في الخليج وتطالب بسحب القوات العربية منه. وفي حين يرى المسئولون الجزائريون أن الحكومة لاتملك أي سلطة على تلك المظاهرات، التي يبيحها وضع التعددية الحزبية المطلقة الحرية يرفض المسئولون المصريون تصديق ذلك. وقد أعقب ذلك صدور قرار مصري يمنع دخول مواطني المغرب العربي إلى مصر دون تأشيرة مسبقة. وأصبحت السلطات المصرية تتعامل بشكل من أشكال التوتر الأمني والسياسي من تلك الدول العربية المتعاطفة مع العراق، فكثرت الضوابط على دخول شعوبها إلى القاهرة وبررت السلطات المصرية ذلك بتجنب التهديدات العراقية بشن هجمات إرهابية.

وامتدت تلك الإجراءات المتشددة لتشمل

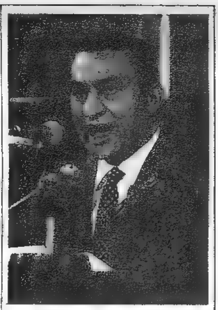

حسنى مبارك

الملك الحسن

حتى بعض الدول المحايدة نتيجة لوجود حركات شعبية فيها تتعاطف مع العراق، تمارس نشاطتها فى إطار درجة الحرية المتاحة فى تلك البلدان. كما واصل الإعلام المصرى الرسمى شن حملات إعلامية واسعة ضد العراق وأنصاره كرد على الحملات التى يشنها الطرف الآخر من جهة، ولتوقى تأثير دعاية تلك الأنظمة على الرأى العام المصرى من جهة أخرى.

وكان من الطبيعى مع كل تلك الملابسات أن تتوتر العلاقة بين الشعب المصرى والشعوب العربية وتتعقد، وأن يسفر ذلك عن شيوع جو من المشاعر القطرية الضارة بمجمل قضايا الأمة، فضلا عن أن مثل تلك الممارسات تعاقب الشعب المصرى والشعوب العربية، على سياسات ليسوا بالضرورة موافقين عليها.

وتشابكت العوامل التى تحكمت فى موقف الدول العربية، التى ساءت علاقاتها بمصر فى أعقاب الأزمة، فموقف الحياد الرسمى لدول المغرب العربى - برغم المشاركة الرمزية لقوات مغربية مع قوى التحالف (١٢٠٠ جندى) بدا محصلة لبعد دوله الجغرافى عن قضايا المشرق العربى وعدم تأثرها المباشر بمشاكله.

أما على صعيد الموقف اليمنى فقد تحكمت فيه مخاوف عميقة من النزوع السعودى، لكى تصبح السعودية مركز قوة فى المنطقة فضلا عن الآثار التى أحدثتها الوحدة اليمنية - التى تحظى بمناوئة سعودية ضارية - بإنشاء دولة موحدة يحكمها حزبان أحدهما يسارى بالإضافة إلى وجود التعددية الحزبية التى أتاحت نوعا من الوجود الجماهيرى لفكر حزب البعث العراقى نفسه.

وترجع العوامل التى تحكمت فى موقف الأردن إلى بدء التحالف العراقى الأردنى إبان الحرب العراقية الإيرانية. وقد أسفر هذا التحالف عن شكل من أشكال الارتباط الاقتصادى الواسع بين البلدين أستفاد منه الأردن ربما بدرجة أقوى، حيث أصبح ممرا تجاريا لعلاقات العراق مع العالم إبان المقاطعة العربية لمصر، مما أدى لانتعاش الاقتصاد الأردنى، الذى تعرض لهزة هائلة بعد قرار فك الأرتباط بالضفة الغربية وتوقف الحرب العراقية الإيرانية ورفض الدول الخليجية لدعم الاقتصاد الأردنى.

وبانتهاء هذه المرحلة، تزايد إحساس الأردن بأن مصالحة تكمن فى أن يظل فى المجال المغناطيسى العراقى، خاصة بعدما تزايدت التهديدات الإسرائيلية التى تخطط لأن يكون الأردن هو كبش فداء لحل القضية الفلسطينية، بضم الضفة الغربية لإسرائيل لتستوعب المهاجرين السوفيت إليها، وتهجير أهلها إلى الأردن ليتحول إلى دولة فلسطينية.

كما تحكم فى الموقف الأردنى أيضا، كثافة الوجود الفلسطينى به، والانفراجة الديمقراطية التى أتاحت لقوى سياسية راديكالية فرص العمل السياسى العلنى، فضلا عن أن التحالف العراقى الأردنى كان قد أنعش نشاط حزب البعث فى الأردن.

وأستند الموقف السودانى إلى قضيتين أساسيتين هما عزلة إنقلاب البشير العربية، وأزمة نظامه الاقتصادية الطاحنة ، التى تفاقمت فى أعقاب الانقلاب، وحاول عمر البشير أن يستعين فى حلها بروس الأموال الخليجية، ولكنه لم يجد إستجابة سريعة. بالإضافة إلى أن التوجه العام للتيارات الإسلامية فى الوطن العربى قد نحت إلى تأييد الموقف العراقى، وهى تيارات ذات النفوذ الأساس على السلطة الحاكمة فى السودان.

ومع بدء الغزو العراقى للكويت كان التعنت الأمريكى مع منظمة التحرير الفلسطينية قد وصل إلى ذورته فقطعت واشنطن الحوار مع منظمة التحرير برغم كافة الترضيات التى قدمتها لاتمامه سعيا للتوصل إلى حل للقضية الفلسطينية. ومع بدء الأزمة، تزايدت المشاعر الفلسطينية تجاه إحياء السياسات المعادية لأمريكا فى المنطقة لدفعها للقبول بالمطالب الفلسطينية، خاصة وأن الوفاق العربى الذى سبق الأزمة قد بدا أنه يقوم على التهادن مع الولايات المتحدة الأمريكية والضغط على منظمة التحرير الفلسطينية لتقديم مزيد من التنازلات إزاء التعنت الإسرائيلى الأمريكى. ثم بعد ذلك وقبله فقد وجدت منظمة التحرير الفلسطينية فى دعوة الرئيس العراقى صدام حسين للربط بين كل قضايا المنطقة، أول ضغط عربى قوى لتحريك القضية الفلسطينية.

ولاشك أن أوضاع مرحلة مابعد الحرب، ترتبط ارتباطا وثيقا بالنتيجة السياسية والعسكرية التى ستنتهى إليها. ولاشك أن هذه الأوضاع ستشمل ثلاث قضايا رئيسية هى قضية أمن المنطقة وقضية التنمية الاقتصادية والقضية الفلسطينية.

كما أن الشرخ الذى حدث فى العلاقات العربية، والعربية المصرية سيلتئم، طبقا لتجاذب أو تنافر المصالح القطرية مع الحلول المطروحة لتلك القضايا الثلاث.

وعلى عكس التصريحات الرسمية المتفائلة بتحسن العلاقات المصرية العربية فى أعقاب حل الأزمة، فإن الشىء المؤكد أن علاقة مصر العربية قد أصبحت علاقة مع محور عربى فى مواجهة محور آخر، وأنها ستظل كذلك لسنوات طويلة قادمة إلى أن يتم التوصل إلى تسوية للمشاكل القائمة بين المحورين المتقابلين.!

ماذا بعد الحرب؟

سمير كرم

هذه السطور تتجه نحو أخطر ومايمكن أن يكون آخر فصولها وهي الحرب البرية- إنما ننظر إلى ماهو بعد مابعد... لو جاز التعبير كأننا نفتح صندوقا صغيرا مغلقا داخل صندوق كبير لايزال أصلا مغلقا ومابداخله ليس حقائق معلومة واضحة، بل لايزال غامضا تختلف التوقعات والتفسيرات بشأنه.

المرحلة كلها- وقبل أن تبدأ الحرب الأميركية في الخليج وحتى قبل أن تبدأ الحرب العراقية في الخليج بغزو الكويت- تسمى مرحلة مابعد...»

إنها مرحلة مابعد نهاية الحرب الباردة، أو مرحلة مابعد «البريسترويكا»، أو مرحلة مابعد انهيار الشيوعية، أو مرحلة الوفاق الجديد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، أو مرحلة «الدولة الأعظم الواحدة والوحيدة»... كل حسب منظوره إلى المرحلة.

وبالتالي فإننا حين ننظر إلى ماسيكون بعد نهاية الحرب في الخليج- وهي عند كتابة

كيف يجيب الخبراء الأميركيون على سؤالهم: ما هو شكل العراق الذي نريده بعد الحرب؟

في لحظات الاستعداد للهجوم كشفت واشنطن صراحة عن هدفها العاجل: إزاحة صدام حسين.. وقتل الجيش العراقي..

الدور السوفييتي لايزال مطلوب من الإدارة الأميركية.. لماذا؟

لكن يبدو أننا مضطرون في ظروف أزمة الخليج لأن نتخذ من معرفة ماهو داخل الصندوق الصغير وسيلة على ماهو داخل الصندوق الكبير، ولهذا يتعين علينا أن نركز على مابعد الحرب في الخليج بالنسبة للمجال الاستراتيجي والجغرافي لهذه الحرب... تاركين أمر مابعد نهاية الحرب الباردة لنعرفه فيما بعد.. أي بعد أن نكون قد عرفنا كيف تنتهي أول أزمة في هذه المرحلة العالمية الجديدة.

وقد يكون هذا هوالطريق إلى قراءة مسبقة لما هو متصور بالنظام العالمي الجديد.

وبتعبير أوضح وأكثر مباشرة، من زاوية الكتابة من واشنطن- لابد من التركيز الآن على الأوضاع، حين تتوقف المدافع، في العراق والخليج والمنطقة العربية المحيطة، وبالتحديد من زاوية الكتابة من واشنطن فإن الأمر الجدير بالملاحظة أن الخبراء الأميركيين بشئون الشرق الأوسط اهتموا بمسألة مابعد الحرب «حتى قبل أن تبدأ الحرب بالحملة الجوية على العراق في ١٧ يناير الماضي، بل وبمجرد أن وقع الغزو العراقي للكويت... وبدرجة أشد كثافة عندما أدى التحرك العسكري الأميركي السريع إلى انتشار عشرات الآلاف من الجنود الأميركيين في الصحراء السعودية في بداية عملية «درع الصحراء».. وقبل وقت طويل من بلوغ هذه القوات رقم النصف مليون. كذلك قبل وصول أول قوات متحالفة» من الدول العربية أو الأوروبية لمظاهرتها.

وكان من أوائل التساؤلات التي حاول الخبراء الأميركيون بشئون الشرق الأوسط الإجابة عليها في ذلك الإطار، ماشكل العراق الذي نريده؟ وبينما كان هذا السؤال يوحي بالبحث عن رؤية استراتيجية أو «جيوبولتيكية» لمستقبل العراق بعد الأزمة، فإن الإجابات- أو بالأحرى التساؤلات التي تفرعت عن هذا السؤال- أعطت كل انطباع بأن البحث أضيق في إطاره بكثير من أن يكون نظرة عامة استراتيجية. لقد تبين أن المقصود بالسؤال: ماشكل العراق الذي نريده (أي الأميركيون)؟ ينحصر في نقطتين اثنتين: هل نريد العراق تحت حكم صدام حسين؟ وهل نريد العراق بقواته العسكرية كما هي في أساسياتها؟

ولإن هذه التساؤلات طرحت مبكرة للغاية فإن لنا أن نستنتج أن الخروج الأميركي بالقوة

العسكرية ولإجبار العراق على الإنسحاب من الكويت» وضع في حسبانه من البداية هذا التفكير.. وأن فكرة التخلص من قيادة صدام حسين ليست وليدة تطورات التحدي والحرب الحالية. لكن سواء صح هذا الاستنتاج أو لم يصح فإن المؤشرات التي تلت بداية الحرب، فيما تسمية «عملية عاصفة الصحراء» تدل على أن هدف تحرير الكويت، وهو الهدف الأساسي الذي من أجله صدرت قرارات مجلس الأمن العديدة، وبالأخص الأخير منها المتعلقة بالأزمة والذي يحمل رقم ٦٧٨. أصبح المبرر الرسمي لتحرك عسكري أوسع يرمي إلى تشكيل عراق مابعد الحرب. وليست من قبيل الصدفة أن المسئولين في إدارة الرئيس الأمريكي بوش كانوا يقولون في الأيام الأولى للأزمة- أي بعد أيام من غزو العراق للكويت- أن الولايات المتحدة لاتستطيع أن تحتمل الاثنين معا: صدام حسين ومليون جندي عراقي... إما هذا وإما ذاك. وقد تردد هذا القول في مرحلة لم يكن فيها أحد يصدق أن حربا من النوع الذي وقع، والذي لايزال يدور غالبا حتى الآن، ستقع في الخليج. ثم إذا بتطورات هذه الحرب تصعد موقف إدارة بوش إلى النقطة التي أصبحت الولايات المتحدة فيها لاتحتمل أيا من الاثنين، صدام حسين والقوة العسكرية العراقية.

وهكذا أصبح مفهوم الانتصار الأمريكي، ولنتذكر هنا أن الكتابة هي من زاوية واشنطن- في حرب الخليج أصبحت تحدده نقطتان: إزاحة صدام حسين- سواء بعزله ومحاكمته أو موته أيا كانت الوسيلة- و «قتل الجيش العراقي» ..وهو التعبير الذي آثر الجنرال كولين باول رئيس هيئة الأركان

شوارزكوف

الأمريكية أن يستخدمه لوصف الهدف الرئيسي لقواته في عملية «عاصفة الصحراء».

وبالفعل فقد أصبح الرأي العام الأمريكي مهيأ، من خلال وسائل الإعداد «المعنوي» التي يسهم فيها التيار الرئيسي للإعلام الأمريكي لانتظار لحظة الانتصار ممثلة في تحقيق هذين الإنجازين: الإطاحة بصدام حسين سياسيا أو بدنيا ،والإطاحة بقوة العراق العسكرية. بمعنى أنه لن يدخل شعور الانتصار «الوجدان الأمريكي» وحتى «العقل الأمريكي» إذا تحقق ذلك الهدف الرسمي والشرعي المتعلق بتحرير الكويت- ومايتفرع عنه من عودة «الحكومة الشرعية»- حكومة أسرة الصباح- فإن ذلك لن يكون تجسيداً كاملا للانتصار الذي ينتظره الأمريكيون من قواتهم ومن الرئيس بوش.

والمسألة ليست نفسية بحتة، كما قد يوحي ماقلناه للوهلة الأولى. المسألة أنه بالنسبة للرأي العام الأمريكي ليست كلمة السر في الحرب التي تخوضها القوات الأمريكية بعيدا عن شواطئها بآلاف الأميال هي تحرير الكويت». هذا كلام البيانات الرسمية. إنما كلمة السر التي تكمن في كل تعليق وتحكي تحت كل صورة آتية من «الجبهة» هي القضاء على صدام حسين وقتل الجيش العراقي. والمسألة أبعد من ذلك. هي أن تشبيه صدام حسين بهتلر منذ بداية الأزمة وقبل شهور من بداية الحرب لم يكن عبثا فالرئيس بوش لايستطيع ولايجرؤ- حتى إن أراد- أن يصنع سلاما مع هتلر آخر. هذا مستحيل.. على الرغم من كل البراعة التي أظهرتها الولايات المتحدة في فترة المرحلة مابين قرار مجلس الأمن في ٢٩ نوفمبر ١٩٩٠ «باستخدام كل الوسائل» لإرغام العراق على الإنسحاب من الكويت إذا لم يتم ذلك قبل يوم ١٥ يناير ١٩٩١- بحيث بدا العراق هو الطرف المتعنت ضد الإرادة الدولية.. غير الراغب في السلام.

والمسألة ليست نفسية فقط. ولاهي سياسية تتعلق باستحالة الدخول في اتفاقات سلام مع «هتلر آخر» فقط.. إنما هي حقيقة أن الأزمة برمتها وضعت بين يدي الولايات المتحدة في هذه اللحظة بالذات فرصة لايمكن إضاعتها لوضع استراتيجيتها الأساسية بالنسبة لمنطقة الخليج والشرق الأوسط موضع التطبيق العملي الأمر الذي لم يكن ممكنا بأساليب عديدة ومتباينة طوال مرحلة، أو مراحل، الحرب الباردة فالولايات المتحدة تريد «استقرار» المنطقة والتعمير أوضح من أن يحتاج إلى توضيح أوتفسير، إنه بقاء الأوضاع على ماهي عليه.. على النحو الذي يخدم ويرعى المصالح الاستراتيجية- الاقتصادية أساسا- للولايات المتحدة فإذا حدث شرخ في هذا الوضع أو انتهاك للحدود التي تشكل إطاره انتفى الاستقرار.. وأصبح من الضروري إعادته إلى المنطقة وإعادته تكون بإزالة عوامل زعزعة الاستقرار. وفي حالة غزو الكويت فإن هذه العوامل واضحة للغاية، صدام حسين الذي يملك وحده صنع القرار.. والقوات المسلحة العراقية أداته إلى التنفيذ.

ولهذا لم يكن مستغربا- وأن استغرب كثيرون- أن تصاعدت بعض الأصوات في واشنطن. وقيل حتى داخل إدارة بوش نفسها- تحذر من أن الإطاحة بصدام حسين وقتل الجيش العراقي قد لايكونان ضمانا لعودة الاستقرار أو لفرض استقرار جديد في المنطقة. والمثير للدهشة حقا أن هذه الأصوات انقسمت بين رأيين:

* رأي يذهب إلى أن صدام حسين والقوة العسكرية العراقية لايزالان يصلحان ضمانة للاستقرار في منطقة الخليج والشرق الأوسط . ألم تقوما بهذا الدور طوال سنوات الثمانينات حينما كان الخطر الاكبر على الاستقرار متمثلا في إيران و «الثورة الإسلامية» والإمام الخميني؟ قد يكون من المناسب «تهذيبهما» ولكن الإبقاء عليهما ضروري للابقاء على التوازن.. في مواجهة إيران من ناحية..وفي مواجهة سوريا من ناحية أخرى.

* رأي آخر يذهب إلى أن صدام حسين وقتل الجيش العراقي يعمق تيار العداء للولايات المتحدة في المنطقة ويخلق موجات متلاحقة من الاضطرابات ضد المصالح الأمريكية وضد الحكومات الصديقة. وهو أمر من المؤكد أن الولايات المتحدة تفضل تجنبه.. خاصة وأنها لاتستطيع أن تبقى على كل قواتها الحالية في المنطقة. وحتى هذه لاتلغى عندئذ لمواجهة أمواج العداء المتلاحقة ضدها.

والأمر المتوقع أن لاتدوم هذه المناقشة طويلا. بل الحقيقة أن الرئيس بوش حسمها عندما اختار مناسبة الرد على البيان العراقي الذي ظهر فيه لأول مرة استعداد من جانب العراق للالتزام بأول قرار لمجلس الأمن يدعوه للإنسحاب من الكويت. وهو القرار رقم ٦٦٠- لكي يعلن رفضه لهذا العرض بسبب ماتضمنه من شروط، وليعلن في الوقت نفسه دعوته للعراقيين للتخلص من صدام حسين.

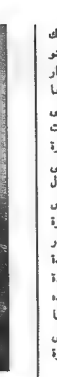

جورج بوش

وكما استنتج جميع المراقبين والمحللين أن ذلك البيان العراقى فى ١٥ فبراير الماضى لم يحتو على جديد إلا إعلانه استعداد القبول بقرار مجلس الأمن رقم ٦٦٠.. استنتجوا جميعا أن رد بوش على البيان العراقى لم يحتو على جديد إلا إعلان «الهدف السرى» للولايات المتحدة لأول مرة بهذه الصراحة، وهو ضرورة الإطاحة بصدام حسين. وفى اليوم التالى لخطاب بوش الذى أعلن فيه هذا السر، قال الجنرال برنت سكوكروفت مستشار الرئيس للأمن القومى أن من الخطر الإبقاء على قوة العراق العسكرية لأنها تشكل تهديدا بتكرار ماحدث للكويت. ولأن الولايات المتحدة لاتستطيع أن تتحمل مرة أخرى أعباء العودة لنقل قوات ضخمة على نحو مافعلت هذه المرة. وقبل ذلك كانت إدارة بوش بكل أركانها حادة قاطعة فى نفيها أنها تريد القضاء على صدام حسين أو أن من بين أهدافها تحطيم قوة العراق العسكرية.

وقد رافق هذا التغيير- وربما كان سببا له- تصاعد ثقة العسكريين الأمريكيين بأن إلحاق هزيمة عسكرية كاملة بالعراق أصبح أمرا مؤكدا. وجاءت هذه التصريحات الأكثر صراحة بالنسبة لحقيقة الأهداف الأمريكية بينما، كان القادة العسكريون يعدون اللمسات الأخيرة التى تسبق الحرب البرية.. المرحلة الحاسمة والنهائية فى رأى كل المحللين الاستراتيجيين. وبعد أيام معدودة من إذاعة التقريرات الجديدة لخسائر العراق العسكرية. وهو ما أعقبه أول إعلان من جانب العراق- يوم ١٢ فبراير- استعداده للتعاون مع المبادرة والدبلوماسية السوفياتية لإنهاء حرب الخليج.

وخلال هذا كله كان من الواضح، تماماً أن التيارات الأمريكية -العسكرية والمدنية على السواء- تقاوم بشدة أى محاولة «لجر الولايات المتحدة» إلى وقف لإطلاق النار. وقد ظهرت هذه المقاومة فى صورتها الأولية فى التحول الذى طرأ على الموقف الأمريكى من المبادرة الدبلوماسية فى بداياتها الأولى. فقد كان الموقف الأمريكى أكثر إيجابية من هذه المبادرة حينما صدر البيان المشترك بين وزير الخارجية الأمريكى بيكر ووزير الخارجية السوفيتى الجديد الكسندر بيسميرتيك فى واشنطن وهو بيان تحدث صراحة عن جهود مشتركة أمريكية- سوفيتية (تبدأ بعد نهاية أزمة الخليج) لتحقيق سلام عربى اسرائيلى واستقرار إقليمى (فى الشرق الأوسط).

غير أن البيت الأبيض لم يلبث نفض يده من البيان.. وغاصت واشنطن فى حكايات عن خلافات بين الوزير بيكر وصديقه الرئيس بوش حول هذا البيان.. وعن مناقشة بين وزارة الخارجية ومجلس الأمن القومى (البيت الأبيض) على توجيه السياسة الخارجية للولايات المتحدة فى هذا الوقت الحرج.

وعندما انقضى خلال أيام معدودة- وبفعل التطورات العسكرية المتلاحقة ومأساة سقوط الضحايا- المدنيين فى العراق تحت القصف الجوى- كله قد يتبين أن وجهة نظر بوش ومجلس الأمن القومى كانت لها السيطرة النهائية.

وقد لخصت مجلة «نيوريبابليك» (الجمهورية الجديدة) الأسبوعية الأمريكية هذا التطور بقولها أنه كشف أن «النظام العالمى الجديد» الذى يدعو إليه الرئيس بوش سيكون «سلاما أميركيا» (أى السلام على الطريقة الأمريكية) لاسلاما أميركياً سوفياتيا (أى السلام الذى يشارك فى صياغته الدولتان معا). وأضافت إن «السلام الأميركى» يخيف الرأى العام الأميركى من عواقب تحول الولايات المتحدة إلى الإنفراد بدور «البوليس العالمى».. بينما يخيف الرأى العام العالمى من ظهور عهد جديد من الهيمنة الأمريكية يقوم على القوة العسكرية ويؤكد انفراد الولايات المتحدة بموقع الدولة الأعظم فى مرحلة مابعد الحرب الباردة.

وهكذا تبين كيف تحول الهدف العلنى للولايات المتحدة من تحرير الكويت» إلى فرض نظام أو حكم جديد على العراق يقبل العمل طبقا لقواعد «السلام الأميركى» كما تمليها واشنطن- ومن هذه القواعد تحجيم القوة العسكرية العراقية بفرض شروط معينة على العراق نتيجة لإلحاق الهزيمة العسكرية به تحدد عدد قواته المسلحة ونوعية وكمية أسلحتها. تماما كما حدث بالنسبة لألمانيا فى نهاية الحرب العالمية الأولى وألمانيا الهتلرية واليابان فى نهاية الحرب العالمية الثانية.

وقد تردد كلام كثير يؤكد هذا الاتجاه. فواشنطن تتحدث منذ أن استعادت ثقتها بتحقيق سيطرة جدية كاملة فى أجواء العراق والكويت عن سيناريوهات محددة لخطوات مابعد الحرب ضد العراق، من نوع محاكمة صدام حسين وباقى القادة العراقيين كمجرمى حرب، ومن نوع فرض تعويضات على الحكومة العراقية التى ستتولى السلطة بعد أنتهاء الحرب، فضلا عن الاستمرار فى فرض قيود عسكرية وقيود على تسلح العراق لفترة تمتد طويلا فى المستقبل.

ولايظن أحد على الإطلاق- سواء بين الأميركيين أو الدبلوماسيين الأوروبيين والأجانب عموما الذين يرقبون تطورات حرب الخليج- أن إزاحة صدام حسين وكسر قوة العراق العسكرية يشكلان هدفين أميركيين بحد ذاتها أنها أنما المفهوم للجميع أن الولايات المتحدة تريد تحقيق هذين الهدفين ليصبح مفهوما فى الشرق الأوسط أن ترتيب أوضاع المنطقة بعد الحرب هو مسؤولية الولايات المتحدة. وحدها. هى التى ستحدد الملامح الشرق أوسطية للنظام العالمى الجديد. ولهذا تدرك إدارة بوش «استماتة» الاتحاد السوفياتى فى القيام بدور دبلوماسى فى المرحلة الراهنة.. وتعتبر ذلك محاولة قصوى

من موسكو لمقاومة انفراد واشنطن بالقرار فى هذه المنطقة التى تعد أخطر لمصالح الاتحاد السوفياتى الأمنية بشكل خاص منها لمصالح الولايات المتحدة.

وإذا كانت إدارة بوش تبدو مستعدة إلى حد ما للمضى شوطا مع الاتحاد السوفياتى طالما أعلن التزامه بالنسبة لمشكلة الخليج بقرارات مجلس الأمن التى تحتم على العراق «الإنسحاب بلا شروط من الكويت»، فإن ذلك يرجع إلى رغبة الإدارة الأميركية فى أن تستغل الدور السوفياتى كغطاء أمام الحلفاء الأوربيين وأمام دول الشرق الأوسط نفسها بحيث يقتنع أولئك وهؤلاء، بأن سيناريو مابعد الحرب فى الشرق الأوسط ليس مجرد سيناريو أميركى.. إنما هو سيناريو دولى.

وبطبيعة الحال فإن هذا القبول الظاهرى للدور السوفياتى مرهون بعدم تحول السياسة الخارجية السوفياتية نحو المواجهة مع الولايات المتحدة..وهو أمر ترقبه واشنطن بكل حذر، خاصة منذ استقالة وزير الخارجية السوفياتى شيفرنادزه وتصاعد النقد ضد السياسة الأميركية سواء بالنسبة للخليج أو بالنسبة للقضايا الداخلية السوفياتية. مع ذلك فإن المراقبين فى واشنطن يتوقعون أن لاتتخلى الإدارة الأميركية بسرعة، وبسهولة عن التعاون بشكل أو بآخر مع الاتحاد السوفياتى فى مرحلة مابعد الحرب ضد العراق فهى تدرك مدى أهمية هذا الدور فى أى محاولة تالية لمواجهة مشكلة الشرق الأوسط الأساسية، مشكلة الصراع العربى الاسرائيلى وتعرف أن حلفاء الولايات المتحدة يكونون أكثر ارتياحا أو إطمئنانا حينما يكون التحرك فى المرحلة التالية تحت مظلة أميركية وسوفياتية مما لو كان تحت مظلة أميركية فقط.

وتحقيق هذا القدر من الارتياح أو الاطمئنان ضرورى- فى نظر صانعى القرار الأميركيين- ليس فقط لبقاء الحكومات العربية التى تحالفت مع الولايات المتحدة فى حرب الخليج، إنما هو ضرورى بدرجة أكبر لاستمرار بناء التحالف بقيادة واشنطن فى مرحلة مابعد الحرب فعندما تنتهى الحرب تتحول الضغوط نحو إجبار الولايات المتحدة وحلفائها على سحب قواتهم من المنطقة ولن تكون هذه الضغوط آتية من شعوب المنطقة فحسب، بل سيمارسها الرأى العام الأميركى الذى وعده الرئيس بوش أكثر من مرة خلال الشهور الماضية بأن وجنديا أميركيا واحدا لن يبقى فى الشرق الأوسط دقيقة واحدة بعد إنجاز المهمة التى أرسل من أجلها «هناك».

والاحتمالات المطروحة بالنسبة لمشكلة سحب قوات التحالف تتمثل فى النقاط التالية.

* سحب كافة القوات الأميركية والأوروبية والأجنبية (غير العربية) والإبقاء على القوات العربية.. أى المصرية والسعودية والمغربية لتكون بمثابة قوة ردع لحماية السعودية والكويت المحررة) وباقى دويلات الخليج .

* سحب القسم الأكبر من القوات الأجنبية، مع الإبقاء على قوة أميركية، على الأقل فترة من الوقت قد تمتد لعدة سنوات. ومثل هذا الوضع لن يكون جديدا على المنطقة إلا من حيث الدرجة أى من حيث عدد تلك القوات. فقد كانت هناك دائما قوة أميركية فى المنطقة... لكنها يمكن أن تتخذ حجما أكبر بعد الحرب.. كأن تبقى نسبة العشر من القوات الأميركية الموجودة الآن

* إبقاء كافة المعدات الثقيلة وترسانات الأسلحة التى انتقلت مع القوات الأميركية إلى الخليج قبل الحرب.. لتكون جاهزة لعودة هذه القوات فى أى وقت ترى واشنطن فيه ضرورة لعودتها .

وتترك هذه النقاط عدة ثغرات فى صورة أسئلة لاتوجد إجابات قاطعة بشأنها. منها- على سبيل المثال- هل تبقى الولايات المتحدة جزءا من قواتها داخل العراق. وهو وضع قد يكون ضرورى لإملاء الشروط العسكرية الأقتصادية والسياسية على العراق وبعد الهزيمة»؟ ومنها: هل تقوم القوات الأميركية (وخاصة سلاح المهندسين) بامكانياتها التكنولوجية الكبيرة بدور أساسى فى إزلة آثار الحرب وبدء إعادة بناء الكويت؟

ويترتب على هذا السؤال سؤال آخر: هل ستتحول الكويت بعد «التحرير» إلى قاعدة عسكرية أميركية؟ ثم هناك السؤال عن الدور الذى تعد به الولايات المتحدة بشكل ضمنى منذ أن نقلت قواتها الضخمة إلى الخليج: ما الدور الذى ستلعبه القوات الأميركية بعد الحرب فى «تطوير» الأوضاع السياسية فى دول المنطقة نحو صيغة ديمقراطية.. على الأقل يقتنع الرأى العام الأميركى بأن القوات الأميركية كان لها هدف ديمقراطى فى ذلك الجزء البعيد من العالم.. وأن الحرب لم تكن للدفاع عن حكومات ملكية استبدادية بل متخلفة؟

وعلى ذكر الوعود الضمنية الغامضة فإن أكثر الوعود الأميركية ضمنية وغموضا فى مسار الأزمة هو الوعد بأن مرحلة مابعد الحرب ستكون مرحلة البدء الجديد بالبحث عن حلول أساسية للمسألة الفلسطينية.

وقد كتب المؤرخ والاستراتيجى العسكرى الأميركى تريفور ديبوى تحليلا قال فيه إنه عندما تتم إزالة صدام حسين ونظامه العدوانى سيكون الوقت ملائما لعقد مؤتمر شامل بشأن الشرق الأوسط للتصدى للمشكلات المزمنة فى المنطقة ولمشكلة الأمن الإسرائيلى. لكنه لم يلبث أن أضاف وهل تعاون إسرائيل فى مثل هذا المؤتمر أمر مرجح؟ فلنتذكر أن الاسرائيليين قالوا إنهم مستعدون لبحث المسألة الفلسطينية بالوسائل السياسية شرط وضع نهاية لوباء العنف فى الأراضى العربية المحتلة وفى إسرائيل نفسها وقد يكون بإمكاننا أن نتوقع فى أعقاب انتصار حاسم للتحالف أن يدرك المتطرفون الفلسطينيون أن الانتفاضة قد أدت الغرض منها وأن الوقت قد حان للتحرك صوب تسوية سلمية يريدها كل الأطراف.

وقد غذت هذه الوعود الغامضة بوقود إضافى والأنباء التى تمثلت فى تصريح وزير الخارجية الألمانى جينشر- والتى ترددت فى منتصف فبراير الماضى عن استعداد سوريا، عضو التحالف فى الحرب الراهنة للاعتراف بإسرائيل مقابل إنسحاب اسرائيل من كافة الأراضى العربية التى احتلتها فى حرب ١٩٦٧، وقد رافقت هذا التصريح شائعات عن مفاوضات سرية بين سوريا وإسرائيل حول مستقبل الجولان السورية المحتلة.

ويبنى معظم المحللين الأميركيين آمالا كبيرة على مايعتبرونه استعادة الأمم المتحدة نفوذها وقدرتها على أداء دورها الدولى فى الدفاع عن السلام بالنسبة لاحتمالات الإنطلاق نحو مؤتمر دولى للسلام فى الشرق الأوسط فى إطار المنظمة الدولية.

على أى الأحوال إذا كانت فترة الحرب- وهى لاتزال دائرة حتى كتابة هذه السطور- قد سادتها ظاهرة ضباب الحرب، حسب التسمية العسكرية المعروفة والتى تعبر عن صعوبة الرؤية وسط غبار المعارك ونيرانها.. فإن باستطاعتنا أن نقول إن ضبابا أكثف يحيط بما بعد الحرب. حيث يستحيل تقديم تصور دقيق لما ستكون عليه الأوضاع.

ففى هذه الحرب بالذات. ربما أكثر من أى حرب شهدتها المنطقة- تتعدد القوى وتتضاعف التناقضات والعوامل المؤثرة.

والأهم أنه فيما يخطط العسكريون ويقرر صانعوا القرار لايستطيع أحد أن يعرف بأى درجة من التبعية فى أى اتجاه تتحرك الجماهير فى أوقات الأزمة.. وفى أى وقت تتخذ حركتها قوة الدفع النهائية المؤثرة.. التى تستطيع أرتقاب كل الحسابات العسكرية والسياسية.

من يكفل من .. فى الخليج ؟

محمود المراغى

لست ممن يرون أن نكيل بمكيالين فى أزمة الخليج، فإذا كان منطلقنا عربيا ، وهو كذلك بالفعل، فنحن بين طرفى خصومة يحمل كل منهما نفس الصفة العربية، ويشاركنا كل منهما المستقبل والمصير..

لذلك فعندما نقول: «أخطأ صدام باحتلاله الكويت»... فلابد أن نقول: وأخطأ الخليجيون فى كذا... وكيت»، ولكن دون أن تخلط الأوراق أونبرر واقعة الاحتلال، وكأنها جزاء لازم.. لذا فالحديث عن أخطاء تتصل بالأزمة أمر وارد.. وماعدا ذلك قد يكون مؤجلا إلى أن تنقشع الغمة.. ولكن... وفى كل الأحوال فإنه لامناص من المصارحة المتبادلة إذا كنا نريد علاقة صحية بين الشعب المصرى وشعوب الخليج.. أوبين الشعوب العربية بشكل عام.

المصارحة ضرورية وإن كانت مؤجلة لانشغالنا بحدثى الاحتلال والحرب والمأساة الدائرة.. ولكن.. استثناء من ذلك فإن هناك أمرا عاجلا تفرضه الأحداث الجارية أيضا.

نقل بعض المصريين العاملين فى المملكة السعودية ، أنهم قد حاولوا العودة للقاهرة قبيل الحرب.. وكان البعض منهم فى عطلات رسمية هى عطلة نصف العام.. لكنهم لم يتمكنوا لأن جوازات سفرهم تحتفظ بها جهات العمل وترفض تسليمها لهم..

وقد تكرر الأمر فى جهات حكومية وقطاع خاص.. وقال أصحاب وكالات السفريات فى تحقيق صحفى منشور: «وهل يدفع أصحاب الأعمال تكاليف سفر الموظف وعائلته.. لكى يهرب مع أول صاروخ.. على الناس أن تصبر»

و.. هكذا تجسدت المهزلة بقرار سعودى وأيضا من مندوبى الجهات السعودية فى مصر..

وأقول إنها مهزلة .. لأن المصريين هنا يعاملون وكأنهم رهائن .. ممنوعون من الحركة .. وممنوعون من النجاة ، إذا شاءوا...!

إن حق الانتقال وحق اختيار جهة العمل وحق الهرب من الأخطار (خاصة خطر الحرب).. حقوق إنسانية وقانونية لاينبغى أن يلغيها شئ.. ولكن يبدو أن هذه البديهيات تحتاج إلى مناقشة!

* تبدأ القصة بما يسمى نظام «الكفيل».. وهو نظام سائد فى كل دول الخليج على ما أظن.. بمعنى لكل أجنبى ضامنا- يستقدمه من الخارج.. يكون مسؤولا عنه ..يحتفظ بجواز سفره يسمح له بالخروج أو عدم الخروج.. بل ويمنعه من العمل عند الآخرين لأنه أتى على ذمته وحده!

العلاقة مهينة.. ولا أظن أن مصر تعامل الأجانب بمافيهم العرب على هذا النحو.

والعلاقة شاذة لأنها تقوم على افتراض أن صاحب البلد أو صاحب العمل أو صاحب الثروة يملك كل الفضائل.. وأن الغرباء القادمين يحملون كل الرذائل ويتبغى أن يكونوا رهينة مشيئة الأول فلايتحركون بغير إذن ولايغادرون بغير رضا.. ووثائقهم فى خزينة صاحب العمل.!

جابر الاحمد الصباح

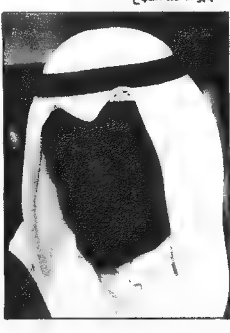

أعلم أن الأمر لايتصل بالحماية السياسية ،فلذلك إجراءاته الأخرى التى تتخذها كل الدول.. ومن حقها أن تفعل..

كذلك فإننى أعلم أن الأمر لايتصل بأمور أمنية عامة، فتلك شؤون تديرها أجهزة الأمن فى كل جهات العالم دون أن يحس أحد..

ولكن الأمر على ما أظن يتصل بالخوف من الأغراب، وهو خوف تعكسه تعليقات بعضهم عندما يقول: «وماذا نفعل لو أن مغتربا قد حصل على مشتريات بالأجل.. ثم غادر البلاد.. أو انه اقترض مبلغا ثم اختفى» وأظن أن هذا الاحتمال وارد أيضا بالنسبة لسعودى أو بحرينى أو عمانى أو كويتى يصل إلى مصر.. وقد حدث ذلك بالنسبة لرجل أعمال سعودى معروف... لكن ذلك لم يدفع مصر لأن تعلن الأحكام العرفية على الضيوف العرب أو أن تنزع منهم جوازات سفرهم خشية أن يغادروا البلاد فجأة.

المخاطر هنا... مخاطر تجارية، ومن حق المنشآت التجارية أو الجهات التى تقوم بالإقراض أو تسلم عهدا مالية لموظفيها أن تتخذ ماتشاء من إجراءات تحفظ حقوقها.. وهو أيضا أمر يحدث فى كل العالم.. دون أخذ رهائن، أشخاصا أو وثائق السفر..

هل تحمل القضية أبعادا أكثر؟

أظن أن العلاقة بين المواطن والوافد.. بين صاحب العمل والثروة .. والمستخدم الأجنبى.. هذه العلاقة تحتاج كلها إلى نظر من منطلق المنفعة المتبادلة.. وليس من منطلق «اليد العليا.. واليد السفلى»..

ولكن كما قلت فإن ذلك حديث مؤجل، والعاجل منه ما أثارته تصرفات فى السعودية (ربما تم العدول عنها بعد ذلك) .. وهى تصرفات تجعلنا نسأل: من يكفل من فى الخليج؟ جيش المليون (أيا كان عدده الآن) والرابض فى مصر وجزء منه فى ساحة القتال.. أم الجيوش الرمزية التى مازالت فى طور النشأة والإعداد فى الخليج؟

لا أقول ذلك للحط من كرامة أحد.. لكننى أقوله إحقاقا للحق...وإذ كان الحق مع زائير- وليست السعودية- فسوف أقول «أصابت زائير وأخطأت مصر».

و..أقول للحكومة المصرية: إذا لم تحافظ على كرامتنا الآن، وقد فرطنا فيها كثيرا .. فمتى نفعل؟

والسؤال لاينبع من إحساس إقليمى فالوطن كله عربى، لكنه الحرص على إقامة علاقات صحية وسليمة يأخذ فيها كل ذى حق حقه..سواء كان سعوديا أو كويتيا أو مصريا.

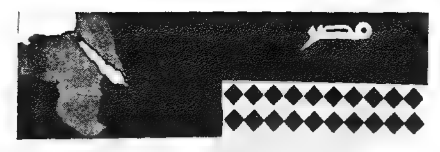

العمال يرفضون قوانين الحكومة ويطالبون بحق الاضراب والاعتصام والمفاوضة الجماعية

بدأت خلال الشهر الماضى بشائر ميلاد مقاومة عمالية لمخططات الحكومة لمزيد من الهيمنة الرأسمالية والعدوان على حقوق العمال..

تمثلت هذه البشائر فى رفض قيادات عمال الصناعات الهندسية مشروعى قانونين حكوميين، وبعدها بعشرة أيام رفضت لجنة القوى العاملة بمجلس الشعب مشروع قانون تقدم به د. عاطف عبيد وزير الدولة للتنمية الإدارية وشئون مجلس الوزراء، وقاد عملية الرفض داخل اللجنة أربعة نواب، أحدهم من حزب التجمع وثلاثة من الحزب الوطنى الحاكم!

فما هى هذه المخططات؟ وما أهدافها ووسائلها؟ وإلى أين وصلت؟

وما هى بشائر المقاومة؟ وأين.. ولماذا بدأت؟

سنحاول الإجابة من خلال هذا التحقيق..

حكومتنا.. تخدم من؟

منذ ثلاث سنوات بدأ الحديث عن لجان حكومية لتعديل قوانين العاملين وهيكل الأجور..

وفى ديسمبر ١٩٨٨ نشرت صحف الحكومة تفاصيل عن تعديلات الأجور، تضمنت زيادة الحد الأدنى إلى ٧٠ جنيها، والحد الأقصى إلى ٤٠٠ جنيه شهريا، وعلاوة دورية بنسبة ٥٪ من أساسى المرتب..

ولقد كشف بيان الحكومة الذى ألقاه رئيس الوزراء د. عاطف صدقى أمام مجلس الشعب يوم ٢٨ يناير الماضى، بسفور عن أن هذه التصريحات المستمرة منذ ثلاث سنوات لم تكن إلا قنابل دخان، أطلقها المسئولون وإعلامهم، ليمرروا من ورائها سلسلة من عمليات تصفية القطاع العام (تصفية وجوده جزئيا ودوره الاجتماعى كليا) وسلسلة من زيادات الأسعار، فى أطار خطة صندوق النقد الدولى المستترة بشعار إصلاح عجز موازنة الحكومة المصرية.. بينما لم تتقدم الحكومة خطوة واحدة لتعديل هيكل الأجور ليتلائم مع أرتفاع نفقات المعيشة..

قال رئيس الوزراء فى بيان حكومته «إن الحكومة قد انتهت من إعداد مشروع قانون جديد للعاملين فى الحكومة والقطاع العام، يهدف إلى تحسين أوضاعهم الوظيفية والمالية بصفة عامة، إلا أن عجز الموارد المالية هو الذى منع من تقديمه لحضراتكم (أى للنواب) حتى الآن، ولن نتردد فى التقدم به للمجلس الموقر عندما تتوافر الظروف التى تمكن من تنفيذه دون تعثر.»

وفى نفس الوقت كانت الحكومة قد قطعت شوطا طويلا فى إشعال نيران الأسعار الملتهبة.. فمن بيانها أيضاً «بدأت الحكومة منذ فترة فى تحرير أسعار السلع والخدمات وتركها تدريجياً لقوى السوق دون تدخل من جانب أجهزة الدولة، وسوف تستمر الحكومة فى تطبيق هذه السياسة.»

ثم قدم البيان سبباً لهذه السياسة لايمكن أن يصدقه طفل فى مصر، عندما أضاف مباشرة للفقرة السابقة «لما تأكد لها (أى للحكومة) من

حسن بدوى

أنها (أى سياستها لتحرير الأسعار) تؤدى إلى رفع جودة المنتجات وتوازن واستقرار الأسعار»

وياله من توازن مرير لاتقلع معه إلا لغة الاضرابات والاعتصامات والتظاهرات العمالية المتزايدة (ومعظمها بسبب الأجور والأسعار) خاصة فى السنوات الأخيرة!!

الهدف والوسائل الحكومية

ادعى البيان الحكومى أن الهدف هو توفير المناخ الملائم لأنطلاقة الانتاج»

«وأن ذلك يتطلب تحرير السياسات الاقتصادية فى شتى مجالاتها لتوسيع دائرة تأثير قوى السوق فى النشاط الاقتصادى، وكذلك تحرير السياسات الادارية والتنظيمية لتنطلق القدرات الانتاجية للقطاعات المختلفة، وتوسيع قاعدة ملكية القطاع الخاص، ومن الواضح أن الأمر يتطلب لتحقيق هذا الهدف مراجعة التشريعات لتتواءم مع هدف التحرير»

وتجاهلت الحكومة عمداً فى بيانها تحرير أهم عنصر من عناصر العملية الانتاجية، وهو العنصر البشرى (أى العمال) من عبودية

الفقر السرطاني المزمن، وترسانة القوانين المقيدة لحرياته وحقوقه في زيادة سعر السلعة الوحيدة التي يملكها، وهي عائد عمله (أي أجره) بمختلف الوسائل المعروفة في كل الدول التي يخضع اقتصادها لقوى السوق.. أي وسائل الأضراب والاعتصام والتظاهر السلمي.

وقبل أن تعلن الحكومة بيانها.. كانت قد أعدت بالفعل ثلاثة مشروعات بقوانين.. سنتعرض لها فيما يلي..

الوظائف القيادية

كان أول مشروع تقدمت به الحكومة إلى لجنة القوى العاملة بمجلس الشعب عن طريق الوزير. عاطف عبيد، بشأن الوظائف المدنية القيادية في الجهاز الاداري للدولة والقطاع العام.. وناقشته اللجنة يوم ١٠ فبراير الماضي.

تصدى أعضاء اللجنة لمشروع القانون، خاصة النواب البدري فرغلي (حزب التجمع) وتوفيق عبده اسماعيل وحسين وشاحي ومصطفى منجي (والثلاثة من الحزب الوطني)

قالوا «اننا لسنا في حاجة إلى ترسانة قوانين جديدة» وطالبوا بالاكتفاء بتعديل القانون الحالي.. وافقت اللجنة على طلبهم، وشكلت لجنة من أعضائها ومن وزارة التنمية الإدارية والجهاز المركزي للتنظيم والإدارة لإعداد هذا التعديل.

* فماذا كان يستهدف المشروع؟

يجيب عبد الغفار شكر عضو الأمانة المركزية لحزب التجمع:

إن هذا المشروع إلى جانب مشروعي القانونين الآخرين للحكومة بشأن شركات القطاع العام (والمقرر عرضه على المجلس هذه الأيام) والعاملين في هذا القطاع (والمؤجل عرضه على المجلس لعجز الحكومة عن توفير الموارد المالية اللازمة لتطبيقه كما أعلن رئيس الوزراء) جميعها تستهدف شيئين أساسيين.

أولاً- إخضاع القطاع العام والجهاز الإداري للدولة لمزيد من الهيمنة الرأسمالية.

ثانياً- إسقاط المبادىء العامة التي استقرت في التشريع المصري بخصوص قواعد العمل والعاملين من صلب القانون، وتركها للوائح تصدر من السلطة التنفيذية، وهذا عدوان على حقوق ومكاسب استقرت وأصبحت مبادىء عامة منذ فترة طويلة.

* كيف؟

بالنسبة لقانون الوظائف القيادية مثلاً- يواصل عبد الغفار شكر- فإنه لم يتضمن نصا صريحا على أن الاختيار للوظائف القيادية للجهاز الإداري للدولة والقطاع العام، سيكون من بين العاملين بهما، الذين تتوافر فيهم شروط شغل هذه الوظائف، وبهذا يفتح هذا القانون- إذا صدر بهذا الشكل- الباب واسعا لإهدار هذه الخبرات الادارية التي تمثل ثروة قومية بما اكتسبته من خبرات وتمرس على الإدارة لسنوات طويلة، والأخطر أنه يفتح الباب واسعا لتعيين قيادات في القطاع العام من عناصر رأسمالية، أو ممن يسمون رجال الأعمال، بحجة توافر الخبرة لديهم، مما يجعل بوضع القطاع العام تحت الهيمنة الرأسمالية ونفس الاتجاه نجده واضحا في مشروع قانون الشركات القابضة الذي تستهدف الحكومة إصداره لتطبيقه على هيئات وشركات القطاع العام.

خطوط المقاومة

لم يأت موقف لجنة القوى العاملة بمجلس الشعب من فراغ.. فقد كانت هناك مقاومة

د.عاطف صدقي

مستمرة من الحركة النقابية والعمالية، والقوى والأحزاب الوطنية، للمحاولات المتواصلة منذ منتصف السبعينيات لتصفية القطاع العام والعدوان على حقوق العمال، نجحت في افشال أكثر من مشروع قانون سابق.. كما أن نواب الحزب الوطني من أعضاء هذه اللجنة، خاصة من قيادات التنظيم النقابي، لايمكنهم تجاهل رؤية الحركة النقابية لهذه الأمور مهما اختلفت مع الحزب ينتمون إليه.. مما يؤدي إلى وجود اتفاق بينهم وبين نواب حزب التجمع بهذا الشأن.

وقبل هذا الموقف للجنة القوى العاملة بعشرة أيام، كانت هناك مقاومة أخرى في صفوف التنظيم النقابي لمشروع قانون آخر تتعجل الحكومة عرضه على البرلمان، وهو مشروع قانون الهيئات العامة القابضة **وشركاتها.. الذي تتعجل الحكومة عرضه على المجلس..**

*** فماذا يستهدف هذا المشروع؟**

زيادة الملكية الخاصة

جاءت أهداف هذا المشروع على لسان رئيس الوزراء عند عرض بيان حكومته يوم ٢٨ يناير الماضي، كالتالي:

* «وجود قواعد واحدة تحكم أداء النشاط الاقتصادي للقطاعين العام والخاص.
* تحقيق الحرية الكاملة للإدارة في وحدات القطاع العام وذلك دون تدخل من أية جهة حكومية.
* عدم التمسك بالملكية الكاملة للدولة إلا في عدد محدود من المشروعات، وهي المشروعات الاستراتيجية أو ذات الطابع القومي. ولذلك يسمح للإدارة بزيادة رؤوس الأموال وطرحها للاكتتاب العام، وبيع جزء من الأسهم القائمة للقطاع الخاص من خلال بورصة الأوراق المالية مع احتفاظ الدولة بنسبة ٥١٪ في رأسمال شركة القطاع العام كمرحلة أولى.

الحكومة تتعجل تصفية القطاع العام... استجابة لضغوط أجنبية ومحلية وتترك تعديل الأجور للظروف بحجة الموارد

البدرى فرغلى

* إنشاء شركات قابضة تقوم بدور المالك، ويكون دورها هو المحاسبة السنوية لإدارة الشركات التابعة لها على النتائج دون التدخل فى تسيير العملية الانتاجية.»

وبعد ذلك بيومين فقط كان نحو ٢٠٠ ألف من عمال الصناعات الهندسية والمعدنية والكهربائية يعلنون رفضهم لهذا المشروع

مشروع بديل

فى يومى ٣٠، ٣١ يناير الماضى، انعقدت الجمعية العمومية للنقابة العامة لعمال الصناعات الهندسية برئاسة سعيد جمعه رئيس النقابة العامة ونائب رئيس اتحاد العمال.. تضم الجمعية حوالى ٥٠٠ نقابى، وعقب جلسة الافتتاح مباشرة، كان مشروعا القانونين الحكوميين بشأن القطاع العام وعماله قد تسربا إلى أيدى النقابيين.. وكان المفروض أن المشروعين أرسلتهما الحكومة إلى قيادة الاتحاد العام لنقابات العمال لأبداء ملاحظاتها عليهما..وما أن تسربا إلى قيادات عمال الصناعات الهندسية حتى بدأت مناقشات ساخنة فى اللجان انتهت إلى التوصيات التالية:

* رفض المشروع المعد بمعرفة الأجهزة التنفيذية ومحاولة تمريره فى غفلة من القيادات العمالية، لما ينطوى عليه من مخاطر تهدد القطاع العام كركيزة أساسية للاقتصاد القومى.

* تكليف مجلس إدارة النقابة العامة بتشكيل لجنة مع الاستعانة بمتخصصين لوضع مشروع قانون جديد يهدف إلى تطوير وتدعيم وتحرير شركات القطاع العام من أجل دعم الاقتصاد القومى وتنميته.

* مطالبة الاتحاد العام لنقابات العمال بتعميم المشروع بعد إعداده لإيجاد تيار موحد من الحركة النقابية تجاهه.

وأكدت الجمعية العمومية على أن هذا المشروع يستهدف تقنين توجهات تتناقض والدستور المصرى والتنمية الوطنية المستقلة، وأنه سيكون - فى حالة صدوره- ارتداداً عن كل منجزات ثورة يوليو فى المجال الاقتصادى والاجتماعى، وتراجعا عن الملكية العامة وتحويلها كلها إلى مشروعات خاصة.

كانت هذه توصيات لجنة الشئون الاقتصادية والانتاج برئاسة فايز الكارتة عضو مجلس إدارة النقابة العامة ورئيس نقابة الشركة العامة للبطاريات، بعد مناقشات جادة شارك فيها عدد كبير من أعضاء اللجنة من بينهم سيد عبد الراضى عضو نقابة شركة الحديد والصلب، وأحمد محمد أحمد أمين عام نقابة شركة النحاس المصرية.. ومحمد الزيتى عضو نقابة شركة النصر للمواسير الصلب وعضو مجلس الإدارة المنتخب.. وأقرتها الجمعية العمومية بالإجماع.

سيادة الرأسمالية

ويرى عبد الغفار شكر أن هذا المشروع جزء من سياسة الحكومة لتحرير الاقتصاد المصرى، أى لإطلاق العنان لآليات السوق لتحكم كل جوانب العملية الاقتصادية فى مصر، بما فى ذلك إعلاء شأن القطاع الخاص، والحد من دور القطاع العام، وتهيئة الظروف التى تجعله فى خدمة النشاط الرأسمالى. ومواد القانون صريحة فى تجزئة القطاع العام وإنهاء الترابط أو التكامل بين وحداته، وعدم خضوعه لتوجهات عامة، أو ما كان يسمى بخطة التنمية. فهو يسمح للقطاع الخاص بالمساهمة فى شركات القطاع العام بنسبة تصل إلى ٤٩٪ من رأسمالها، ويمنح مجلس إدارة الهيئة القابضة حق طرح أسهم الشركة للبيع والتداول العام. وتشكل مجالس ادارات الهيئات والشركات القابضة من عناصر غير متفرغة من ذوى الخبرة أى أن منبعها الأساسى سيكون ممن يسمون برجال الأعمال أى الرأسماليين، وليس من ذوى الخبرة من العاملين بالقطاع العام. ولمجالس الإدارات تلك الحق فى تدوير رأس المال بهدف تعظيم الربح، سواء ببيع الأسهم أو تداولها فى البورصة أو بيع وحدات أو تصفية وحدات ،، ولها حق قبول الهبات والمنح والقروض المحلية والأجنبية دون الرجوع للدولة، مما يفتح الباب أمام التعامل مع الرأسمالية المحلية والهيئات الرأسمالية الأجنبية بشروط سوف تؤدى إلى زيادة نفوذها على القطاع العام.

ويتفق سيد عبد الراضى مع هذه الملاحظات ويضيف أن مشروع القانون استبعد

تمثيل النقابة العامة فى مجلس إدارة الهيئة بغرض عزل التمثيل النقابى عن المشاركة فى قرارات هذا المستوى. كما أغفل تمثيل العمال فى الجمعيات العمومية، وهو ما ادعى بيان الحكومة أنه أحد مستهدفات تطوير القطاع العام!!

ماهى المشكلة؟

ويتساءل عبد الحميد الشيخ أمين مكتب العمال بمؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر: ماهى المشكلة؟ ولماذا تسعى حكومات الحزب الوطنى أكثر من مرة لفرض هذه القوانين؟

إن واقع القطاع-وفقا لأرقام بيان الحكومة ومرفقاته

يقول:

حققت شركات الصناعة والتعدين انتاجا قيمته ٢٥,٦ مليار جنيه زيادة نحو ٧,١٪ عن العام السابق.

بلغت المبيعات المحلية لشركات وزارة الصناعة ١٣ مليار جنيه بزيادة ١٣٪ عن العام السابق.

بلغت قيمة صادرات هذه الشركات ٢٢١٨ مليون جنيه بزيادة ١١٪ عن العام الماضى.

قل عدد شركات وزارة الصناعة الخاسرة من ١٧ شركة إلى ١٠ شركات، وقلت الخسائر من ١٥٧ مليون جنيه إلى ٦٠ مليون جنيه.

بلغت أرباح القطاع العام الصناعى ١٦٦٠ مليون جنيه بزيادة ١٠٪ عن العام الماضى.

المشكلة إذن- يواصل عبد الحميد الشيخ- أن الحكومة تريد بإلحاح تصفية القطاع العام دون سبب غير ما تعلنه صراحة، وهو توسيع قاعدة الملكية الخاصة، والاستجابة لطلبات صندوق النقد والبنك الدوليين فى تسييد القطاع الخاص المصرى، ولايستطيع أى انسان وطنى يدرك مسئوليته أن يوافق على خطة الحكومة فى تصفية القطاع العام، لأنه ضرورة حتمية للنهوض بالتنمية فى البلدان المتخلفة. وإذا رجعنا بالذاكرة قليلاً سنتذكر دور القطاع العام خلال فترات الحصار الاقتصادى التى تعرضت لها مصر، ودوره خلال حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر ١٩٧٣ وكيف كان الدعامة التى حمت ظهر الجنود.

والثابت حسب أرقام الحكومة أن القطاع العام يحقق تقدما مستمراً، وأرباحا متزايدة عاما بعد آخر.. وعلى العكس من ذلك فهناك آلاف المشروعات الخاصة التى أعلنت إفلاسها لسبب أو لآخر خلال السنوات الماضية، ولايمكن بأى حال أن يكون شكل الملكية هو العامل المؤثر فى الربح والخسارة.. ولهذا فإن موقفنا هو الدعوة لتطوير القطاع العام وليس تصفيته، وتوسيع رقابة القواعد العمالية عليه من خلال الجمعيات العمومية للشركات، باعطائها صلاحيات محاسبة رؤساء مجالس الادارة وعزلهم.

وكذلك بتعديل الهياكل التمويلية للشركات المتعثرة بتحويل ديون بنوك القطاع العام الدائنة إلى أسهم فى الشركات المدينة، ووضع برامج لعمليات الإحلال والتجديد بصفة منتظمة.. وتحسين أجور العاملين بما يتناسب مع زيادة نفقات المعيشة. الخلاصة.. أننا نرفض هذا المشروع المؤامرة.. ونرى ضرورة منع رؤساء ومديرى الشركات من الجمع بين عملهم فى القطاع العام، وبين

القطاع الخاص والاستثمارى، ولأن هذا الجمع فتح الباب واسعا للانحراف والفساد..

ملاحظات الاتحاد

وفى مناقشات لجنة علاقات العمل والأجور بالجمعية العمومية للنقابة العامة لعمال الكيماويات، والتى عقدت يوم ٧ فبراير الماضى، تحدث أحمد العماوى رئيس الجمعية العمومية ورئيس الاتحاد العام لنقابات العمال، فقال:

إننا نوافق على إعطاء مجالس الإدارات حرية إدارة المشروعات العامة وفقا للمعايير الاقتصادية، وحرية تسعير منتجاتها وفقا لتكلفتها الاقتصادية، بشرط أن تتولى الدولة واجب تحقيق العدالة الاجتماعية، من خلال دعم السلع والخدمات الأساسية فى مرحلة التوزيع النهائى. وموافقتنا على حرية القرار لمجالس الادارات فى تسيير العملية الانتاجية تعنى محاسبتها على النتائج لا الإجراءات، كما تشترط عدم المساس بالملكية العامة لهذه المشروعات، وأن تكون الإدارة ممثلة لهذه الملكية، بما يضمن فعالية المشاركة العمالية فى الادارة من خلال مجالس الادارات والجمعيات العمومية.

وفى الملاحظات الأولية على مشروع القانون، التى سجلتها لجنة من المتخصصين المكلفين من قبل الاتحاد العام بدراسة المشروع.. انتقدت اللجنة اغفال مشاركة النقابات العامة فى مجالس ادارات الهيئات القابضة، واعطاء مجالس الادارات مسئولية التنفيذ، والتوجيه والرقابة والمحاسبة، وهى

مسئوليات متعارضة لايصح اعطاؤها جميعا لجهة واحدة، واغفال مشاركة العاملين فى الجمعيات العمومية للهيئات القابضة والشركات التابعة لها. والسماح للادارات بإلغاء توزيع الأرباح إذا ترتب على ذلك منع الشركة من أداء التزاماتها النقدية.

ويضيف عبد الغفار شكر لهذه الملاحظة الأخيرة، أن مشروع القانون أهدر حقا مكتسبا للعمال، بانقاص نسبة أرباحهم من ١٠٪ توزع نقداً، و١٥٪ كخدمات، إلى ١٠٪ نقداً فقط!

إهدار حقوق العمال

مشروع القانون الحكومي الثالث الذى وصل إلى «اليسار» هو مشروع قانون العاملين بالشركات القابضة (الشكل الحكومى المقترح للقطاع العام) والشركات التابعة لها.

ويرى عبد الغفار شكر أن هذا المشروع يسقط كل الحقوق المستقرة للعاملين، والتى تحققت من خلال نضال العمال طوال القرن العشرين، فقد أحال إلى مجلس إدارة كل شركة وضع اللوائح المتعلقة بنظام العاملين بها، ودون الرجوع إلى التنظيم النقابى. وهو يسقط من الاعتبار وجود جدول للأجور يسترشد به من حيث الحد الأدنى للأجور، ومبدأ العلاوات الدورية، ونسبتها إلى الأجر، وهو يفتح الباب أمام تفاوت أوضاع العاملين المالية من شركة لأخرى، ليضعف المصالح المشتركة للطبقة العاملة، والأساس المشترك لنضالها النقابى، ويعيدها مرة أخرى للنضال فى كل شركة ضد مجلس الادارة أو صاحب العمل. كما يفتح الباب أمام تفاوت الأوضاع الوظيفية للعاملين، وخاصة فيما يتعلق بالترقيات والحوافز والحقوق الوظيفية الأخرى، بحيث سيكون هناك قطاعات من العمال تتمتع بميزات نسبية عن القطاعات الأخرى، بسبب ظروف خارجة عن إراداتهم، مثل العمل فى شركة تحقق أرباحاً عالية للغاية بسبب احتكارها لنشاط فى مجال متميز، بخلاف العاملين فى قطاعات تحقق أرباحاً محدودة مثل شركات الغزل والنسيج التى تضم عمالة كثيفة وانتاجيتها غير عالية.

مشروع مشوه

ويرى عبد الحميد الشيخ أن هذا المشروع مشوه، لأنه لم يضع الضوابط الضرورية والحقوق الأساسية التى يجب أن تنطلق منها اللوائح (التى فوض القانون مجالس الإدارات منفردة بوضعها ودون مشاركة التنظيم النقابى) ويؤكد أمين العمال بحزب التجمع أن التشريع العام للعاملين بالقطاع العام يجب أن يتضمن:

* حداً أدنى للأجور لايقل عن ١٢٠ جنيها.
* علاوة سنوية للعامل مقابل الخبرة المكتسبة يجب ألا تقل عن ٧٪
* مبدأ الأجر المتساوى للعمل المتساوى بحيث لايتقاضى عامل النسيج فى المحلة مثلاً ١٠٠٠ جنيه بينما عامل النسيج فى حلوان يتقاضى مثلا ٢٠٠ جنيه.
* ضرورة النص على ربط الأجور بالأسعار عبر نظام السلم المتحرك للأجور، والذى ينطلق مع الزيادات المتتالية للأسعار.

فايز الكرته

* حق العامل فى الترقى والحصول على الخدمات الضرورية كالعلاج والوجبة الغذائية وغيرها.
* النص على عدم جواز تشغيل العامل أكثر من ٧ ساعات يوميا.

وعندما يؤكد القانون على هذه المبادىء والحقوق الأساسية، ويترك للوائح النوعية والمفاوضات الجماعية مسألة تحسين شروط العمل من صناعة إلى أخرى حسب نوعية الصناعة ومخاطرها، والجهد المبذول فيها، فإن هذا سيكون أمراً مقبولاً.

أسلحة المفاوضة

ومبدأ اقتصار قانون العاملين بالقطاع العام على مواد محدودة تتناول الحقوق الأساسية والحدود العامة التى لايمكن تجاوزها، مع ترك تفاصيل قضية الأجور وشروط العمل للتفاوض الجماعى، كرره أكثر من مرة أحمد العماوى فى كل الجمعيات العمومية للنقابات العامة والاتحاد العام والندوات المخصصة لهذا الشأن.

إلا أن هذا المبدأ محفوف بمخاطر عديدة كما يقول كثير من النقابيين بينهم مصطفى سلطان عضو مجلس نقابة شركة الحديد والصلب، وزميله سيد عبد الراضى، وأحمد الصياد أمين عام نقابة شركة النصر لمنتجات الكاوتشوك (ناروبين) ففى ظل القوانين الحالية، فإن هناك ضمانات قانونية للحقوق الأساسية للعمال، وفى حالة الإخلال بها يمكن اللجوء للقضاء. أما ترك هذه الأمور للتفاوض فى ظل أوضاع غير ديمقراطية، وحالة طوارئ،

مطالب العمال:

* **رفع الحد الأدنى للأجور الى ١٢٠ جنيه**
* **علاوة سنوية لاتقل عن ٧٪**
* **ترقية العامل مقابل عدد من سنوات الخبرة**
* **الاضراب والاعتصام والمفاوضة الجماعية**

دائمة وترسانة قوانين مقيدة للحريات، والمعاقبة على حقوق مستقرة دوليا، كالإضراب والتظاهر والاعتصام، كل هذا يجعل المفاوضة غير متكافئة بالمرة، إذ تفقد العمال وتنظيمهم النقابي أسلحتهم الوحيدة في التفاوض، وبالتالي لايكون هناك إلا الاستجداء من مجالس الإدارات التي يصبح بيدها كل شيء».

ويطالب أحمد الصياد، وأمين عبد المنعم، أمين نقابة شركة الشرق الأوسط لصناعة الزجاج (قطاع استثماري) بضرورة إقرار هذه الوسائل كأساليب ضغط في حالة التفاوض، وحتى تصبح الحركة النقابية المصرية، جماعة ضغط في مواجهة جماعات الضغط الرأسمالية.

تحرير العمال

وينبه مصطفى سلطان وعبد الحميد الشيخ إلى أن الاضراب والاعتصام يمارسان فعلا في مصر، وتحت أية ظروف، وأصبحت مسألة اقرارهما تشريعيا ضرورة ملحة حضاريا وديمقراطيا ولصالح المجتمع كله، خاصة وأنهما من الحقوق الأساسية التي تتضمنها الاتفاقيات الدولية بشأن الحقوق والحريات النقابية، والتي وافقت عليها الحكومة المصرية وأقرها مجلس الشعب أصبحت قانونا يستوجب التطبيق محلياً.

ويضيف عبد الحميد الشيخ «لقد جاء الوقت لتنظيم ممارسة هذه الحقوق، خاصة وأن

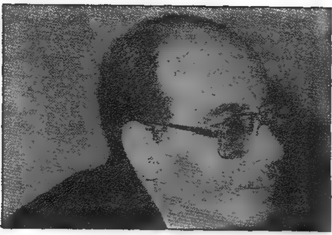
عبد الغفار شكر

هناك حريات واسعة للقطاع الخاص والاستثماري، وهناك طوابير من العمال الذين يتم الاستغناء عنهم يوميا وتهدد حقوقهم بشكل متواصل، ولايمكن للانسان أن يفهم، أن تكون هناك حرية في فصل العمال وإهدار حقوقهم، وفي رفع الأسعار، وحرية في الاستيراد والتصدير، بينما تحجب حرية العمال في الاضراب.. ولابد من إزالة كل ما يتعارض مع هذا الحق في القوانين المصرية الحالية».

شرطان للتفاوض

ويعلق عبد الغفار شكر وعبد الحميد الشيخ مع أحمد العماوي حول مبدأ التفاوض حول الأجور والاتفاقيات الجماعية، كمبدأ سليم وهام لتحسين شروط العمل وزيادة الانتاج بالتالي بشرط أن يتم ذلك في إطار قاعدتين:

* احترام الحد الأدنى للأجور والزيادة الدورية للمرتب بنسبة معينة وترقية العامل بعد مدة محددة من سنوات الخبرة كحقوق أساسية يجب أن يتضمنها القانون ولاتترك للتفاوض. وأن يترك للمفاوضة والاتفاقيات الجماعية ميزات جديدة إلى هذه الحقوق.

* تقنين حق العمال في الاضراب والامتناع عن العمل..

والغاء كافة القوانين والمواد القانونية المتعارضة مع هذا الحق.

حكومة لاتدرك

ويلفت عبد الحميد الشيخ النظر إلى الدلالات الخطيرة لما جاء على لسان رئيس الوزراء من أن قانون العاملين متروك للظروف لعدم وجود موارد تغطي تكاليفه المالية.. فأصحاب الأجور يتعرضون لانخفاض متواصل في مستويات معيشتهم خاصة خلال السنوات الخمس الأخيرة.. ولم يعد بالامكان احتمال الحالة الراهنة لارتفاع الأسعار.. بينما اتسعت إلى حد كبير جداً الفوارق الطبقية، مما يجعل الأمر بالغ الخطورة على المستوى السياسي والاجتماعي.

احتمالات الانفجار واردة...

فكيف لاتستطيع الحكومة أن تدرك ذلك؟

وهل ترى معنا عزيزي القارىء أنها لن تستطيع أن تتمادى في مواصلة إهدار حقوق العاملين.. أم ننتظر جميعا انفجارات قادمة لامحالة؟!

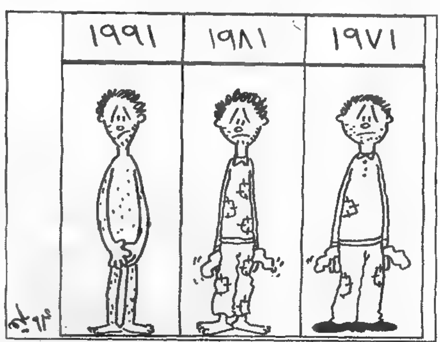

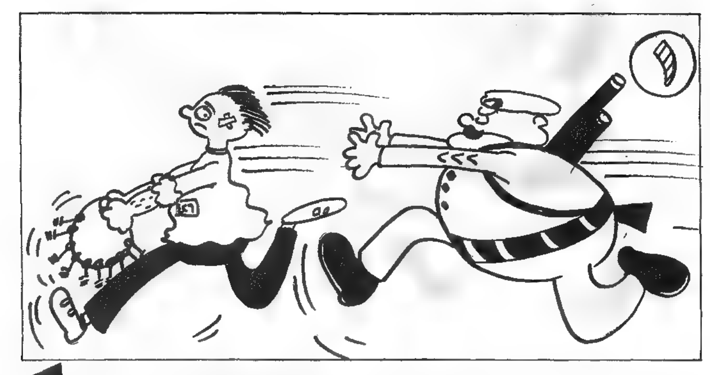

جوع كافر يهدد فقراء مصر اسمه "تحرير الزراعة"

مصباح قطب

فى عالم متشابك ومتداخل، كما يقولون. نحن على طرفى نقيض.. فالدكتور على نويجى عضو الأمانة العامة للتجمع يؤكد أن تحرير الزراعة المصرية لامعنى له سوى تحريرها من الفقراء واستعبادها من قبل الموسرين.. الذين سيوجهونها سعريا وتركيبيا لتلبية رغباتهم. على حين يؤكد المستر مارشال بروان مدير المعونة الأمريكية، فى التقرير الأخير، الصادر بالإنجليزية منذ أسابيع، أن الاقتصاد المصرى عانى من سلاسل الجبال التى وضعها ناصر فى طريقه، أنه كان كالمربوط فى زريبة أواسطبل -stalled- بتعبيره، ولا سبيل لانطلاقه سوى التحرير وآليات السوق فى الزراعة وغيرها. على تلك الأرضية تدور المعركة فى غمار موجة بالغة الضجاجة «لابتذال» كلمة تحرير بكل معناها الانسانى والتقدمى الرفيع، وضمن ممارسات «تحريرية» محجلة للحكومة المصرية تمتد من «تحرير» الكويت بالمباوءة إلى «تحرير» الاقتصاد بالألف يوم.

ذهبت السكرة وجاء التحرير

وفى هذا التحقيق، فإننا لانعتزم فض الاشتباك كما يقولون - ولعلنا نستهدف ترسيمه- لكننا سنقدم صورة تفصيلية للمعركة، وآلياتها السياسية، على جبهة «التحرير» وعلى الجبهة المناوئة، وأرضها الجغرافية والديموجرافية والاجتماعية وهى الريف المصرى، وتفاصيلها الفنية والاقتصادية المطروحة من كل طرف.

* فعلى أرض المعركة تحديدا مصريا عادت إليه مؤخرا، الى جانب الجرائم التى يرصدها تقرير الأمين العام وإتلاف المزروعات وتسميم المواشى، عادت ظواهر كانت قد اختفت ومنها قيام الفقراء ببيع شاى التموين وسكره، ومعاودة الانخراط فى الجماعات الصوفية وأخذ العهد على أيدى مشايخها، كحيلة لضمان القوت المجانى لدى «الطريقة» أكثر من أى هدف آخر. ويوسعى من مشاهداتى ومعلوماتى من قريتى والقرى المجاورة لها بمركز قطور غربية أن أشير إلى تفشى الدعارة بين الاجراء فى الريف المصرى ويجعل من ٢-٣ جنيها لاأكثر مع ارتفاع أسعار الحبوب على نحو فاحش فى السنتين الأخيرتين، وانخفاض أجور العامل الزراعى لزيادة العرض، الى نحو النصف. كما شاعت مؤخرا جرائم مثل سرقة البط والماعز من الشوارع، وسرقة ماكينات المياه والخراطيم من على المراوى، وسرقة الحبوب من الصوامع الطينية الرابضة فوق الأسطح. وقد انحسرت نسبيا تجارة التجزئة فى المخدرات، غير أن ذلك واكبه ارتفاع معدلات الجرائم الأخرى، وشيوع ألعاب القمار، وأعمال الوساطة الطفيلية على حلقات الانتاج والتوزيع (فى قريتى قفز عدد محال

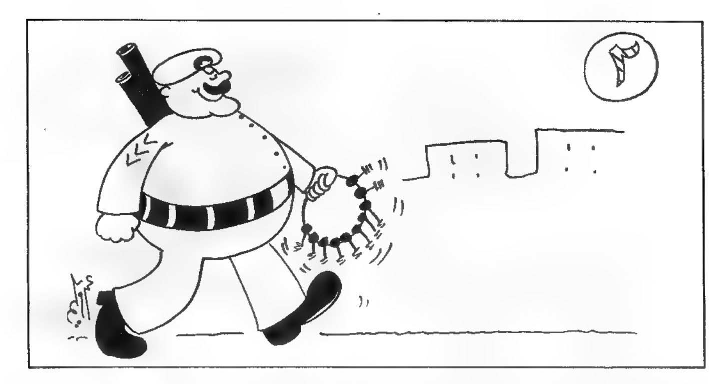

البطالة من ٣ الى ١٠ فى غضون خمس سنوات) .وتبطل المتجدين والنجارين على مهاومة أعمال البناء بسبب الكساد. وزاد التطالب على العمل فى شرطة الدرك، وضمن المخبرين السريين من قبل الفلاحين.. وتلك أعمال كان من المستحيل تصور الإقبال عليها من أهل القرى- ولم يكن يمارسها سوى أولاد الغرازى والمداحين- نظرا للعلاقة المأزومة تاريخيا بين الفلاحين وممثلى السلطة المباشرين.

* ومن ملاحظاتى المباشرة أيضا تزايد ظاهرة «طيران» الموتى وعقد الموالد والليالى، بعد تراجعات ملموسة خلال الأعوام السابقة، وانتشار الجرب بشكل واسع النطاق، بسبب الزحام وسوء التغذية، ومن المشاهدة إلى المعلومات التى توضح صورة الريف أكثر.

– يؤكد محمد إدريس- سكرتير الاتحاد التعاونى الزراعى- أن نسبة البطالة بالريف تخطت الـ ٢٠٪ بعد عودة المصريين من الخليج. ومن السهل أن ندرك أن أغلب المتعطلين من المعدمين أساسا. وتقدر قوة العمل فى الريف حاليا بنحو ١٠ مليون مواطن. كما كما تقدر نسبة الأمية فى الريف بنحو ٦٢٪ متوقع زيادتها مع «تحرير» التعليم.- واستقاءً من بيانات مصادر مختلفة منها جهاز التعبئة والإحصاء، ومعهد التخطيط ووزارة الزراعة فإنه يمكن القول إن أكثر من ٨ مليون مواطن من بين ٣٥ مليونا، هم جملة سكان الريف، ممن لايملكون أية أراضى زراعية أو حتى يستأجرونها بالنظام النقدى. يذكر أن الحيازات تحت ٥ أفدنة تشكل نحو ٩٥٪ من جملة الحائزين، ونحو ٥٣٪ من الأرض. ويبلغ عدد المستأجرين طبقا لقوانين الإصلاح الزراعى نحو ١ر٢ مليون مستأجر، يستأجرون ٤ر٢٤٪ من إجمالى المساحات المزروعة.

وللمعدمين كانت الحكومة قد قدمت لنحو ٨٠٠ ألف معيل منهم، معاش السادات، الذى أقرا ستثنائيا، ومرحليا لامتصاص غضب الفقراء حيال تدهور أوضاعهم مع بدء الانفتاح. والآن توقف منح هذا المعاش وتجرى تصفية (كان ٥ر٧ جنيه شهريا) . ولم يعد أمام الراغب فى حماية سوى اللجوء لنظام التأمين الشامل بسداد اشتراك ٣٠ قرشا شهريا، مقابل الحصول على مبلغ من ٥ر٧-١٠ جنيه شهريا عند الاستحقاق. ويستفيد من هذا النظام الآن ٨١٥ ألف مواطن من بين ٧ر٤ مليون مشترك يبدأون من أصحاب حيازات ١٠ أفدنة ونازل، ويشمل العدد المشتركين فى المدن كذلك. لقد رأيت كيف أن اطفالا فقراء يجلسون أمام محال البقالة انتظارا لجمع أوراق بسكويت الشمعدان لإرسالها إلى المسابقة إياها تمنيا بالفوز بجوائزها.

– وشهد الريف المصرى، طبقا لبيان الحكومة فحص ٥ر٩ مليون حالة مرضية بالوحدات الصحية و المستشفيات الريفية وفحص ٦ر٥ مليون تلميذ من المصابين بالبلهارسيا والطفيليات المعدية وعلاجهم عام ٨٩/٩٠ وحده.

– هذه هى بعض اللقطات الاجتماعية للريف الذى يريدون تحرير زراعته..

إنه مع تزويد القرى بالتيار الكهربى، تدخل الحكومة إلى كل مسجد رئيسى واعظا رسميا من الأوقاف ربما ليحد من تأثيرات النور والتحرير معا!!

وماذا عن الآليات؟

فى إطار توازن الكل المؤسس فى واحد، الذى تمارسه السلطة المصرية، تم توزيع أدوار أدوات التأثير على النحو التالى:

– إسناد رئاسة لجنة الزراعة فى الحزب الوطنى إلى المهندس أحمد عبد الآخر وهو سليل الأسرة التى شملت التأميمات مطحنالها فى طهطا بسوهاج لازال يحمل اسم عبد الآخر حتى الآن. ومن العناصر التى برزت للعمل السياسى بالاتحاد الاشتراكى عام ٦٨- لاحظوا التاريخ جيدا- ثم كان له دور بارز فى الوقوف مع السادات ضد مجموعة ١٥ مايو، وفى إطلاق سعار الجماعات الدينية ضد اليسار، فى الجامعات، بالتنسيق مع محمد عثمان اسماعيل ويوسف مكاوى وعثمان أحمد عثمان. ويتصل تاريخ أسرة عبد الآخر السياسى، بالأحرار الدستوريين ، حزب كبار الباشوات وغلاة الاقطاعيين. والآن فإن المهندس أحمد عضو مجلس الشورى بالتزكية عن دائرة طهطا، وتحوز أسرته مساحة واسعة من الأراضى المستصلحة بغرب طهطا. المهم أن هذه اللجنة مع كل ما يطرحه صندوق النقد والمعونة فى مجال الزراعة، مع إضافة ضرورة النقد والمعونة فى مجال الزراعة، مع إضافة ضرورة الطرد التدريجى للمستأجرين من الأرض، تحت دعاوى مختلفة، برزت فى مشروع القانون الذى قدموه منذ سنوات وأبدوا فيه التمسح بالدين فى مجال أنه لايجوز توريث العقود.

* المحور الثانى هو لجنة الزراعة فى مجلس الشعب ورئيسها الحالى

والسابق المهندس أبو بكر حمد الباسل، وهو أيضا قد دخل العمل السياسي عام ١٩٦٨ (!!) وقد أتى به المحافظ الفيومي- وقتها- أحمد توفيق السيد، ورشحه لمجلس الأمة ضد المرحوم صالح رماح مرشح الاتحاد الاشتراكي إو أجبر المحافظ الأخير على التنازل بعد أن قال له إن الاتجاه الرسمي في الدولة هو إعادة مجد العائلات القديمة!. من يومها والمهندس ابو بكر لم يغادر البرلمان (ولم يفه بكلمة قبل توليه اللجنة ونادرا بعدها) وكان قد دخل حزب العمل عام ١٩٧٩ مع مجموعة أبو وافية، التي دفع بها السادات، بغية اجتذاب زعماء القبائل البدو العرب. ومن الطريف أن أحدا لايجب أن يرشح نفسه لأي مجال، دون العودة إلى قصر الباسل، واستئذان المهندس ابو بكر، باعتباره كبير العائلة.. ويتم تقفيل كل القرى التابعة لقصر الباسل، لصالح ابو بكر، في أي انتخابات، بنسب حضور تصل إلى ١٠٠٪ منها ٩٩٪ لأبي بكر ... والباقي «لأسماء»؟! رغم ان العضو المذكور نادرا مايذهب إلى الفيوم، ولايعقد أية مؤتمرات انتخابية، وليست له أي علامة خدمية تزكية.. كل مافي الأمر أنه ابن الباشا حمد الباسل الوفدي الشهير، المهم أن لجنة الزراعة الآن بمجلس الشعب تتطابق مع لجنة الوطن في مسألة التحرير وإن كانت لاتضغط بقوة ظاهرة في مسألة الايجارات الزراعية.

- يخفف من هذا الغلواء اليميني إسناد لجنة الزراعة في الشورى الى المهندس سعد هجرس نقيب الزراعيين، وأحد تكنوقراط يوليو، وكان من قبل رئيسا للجنة الزراعة في الشعب. وعندما استشعرت السلطة اختلال توازن..ها باستبعاده، اسندت إليه لجنة الشورى، ووجهة نظرها أقرب إلى بيان الحكومة وصنيعة الوسط الرسمية الشهيرة التي تعمل بمعادلة «إصلاح مصري» وكلنا مصريون» ولايمين.. ولايسار».

- وهناك أيضا محمود أبو غريب أمين الفلاحين في الوطني وهو من العناصر التي استفادت- بعد عدم- من الاصلاح الزراعي، وانخرط في التنظيم الطليعي، ويبدو انه كان مناوئا لمجموعة السادات، فقد أبعد عن العمل السياسي طوال حكم السادات. والآن فان من المفروض انه يمثل مصالح الفلاحين الفقراء في مواجهة ضغوط لجنة الزراعة، غير ان ملكية أسرته في أراضي الصالحية الجديدة تجاوزت ١٥ فدانا، وهو صاحب منزل فخيم في ناطورة بكفر صقر شرقية، ومتهم في عدة قضايا بط بكيني وتجريف يجري التحقيق فيها حاليا. فهل سينجح في مهمته؟!!

- يوازي ذلك الاتحاد التعاوني الزراعي، والطريف أن موقفه المتقدم نسبيا في مسألة الإيجارات، والمطالب بزيادة الإيجار، وقصر الأراضي المؤجرة على ممارسي الزراعة الفعليين ،يأتي على الرغم من أن اغلب قياداته اعضاء في لجنة الزراعة وشعبة التعاون بالوطن او يجيء الموقف المتميز نسبيا، ونقول نسبيا لأنهم يطالبون أيضا باعادة النظر في مسألة الـ ٥٠٪ عمال وفلاحين وعدم تحديد نسبة للفئات في إدارات الجمعيات الزراعية، حيث النسبة الآن ٢٠٪ يريدون إطلاقها، وذلك عائد إلى أنهم منتخبون، وهذه ميزة الديموقراطية وحدودها، رغم كل المآخذ على الحركة التعاونية وانتخاباتها.

الوسائل البرانية

* وتأتي وسائل الضغط الأجنبي، من بين آليات التحرير السياسي للتحرير، المشهرة، بإرادة الحكومة ومن هذه الأدوات.

*- هيئة المعونة الأمريكية، وتمول، مع وزارة الزراعة الأمريكية أكبر مشروع بحثي زراعي، في أفريقيا والشرق ، واسمه «النارب» ومرصود له أكثر من ٣٠٠ مليون دولار وقد أحيل بسببه رئيس مركز البحوث الزراعية الى النيابة للتحقيق. وان كانت بعض المصادر تؤكد ان التحقيق، والابعاد من المركز، مديرين من د. والي، المشرف الفعلي على البحوث، لامتصاص غضب الرأي العام، بعد تدهور محصول القطن والطماطم . وفي تقديري فإن الأيام ستكشف عن فضائح أبعد من ذلك.. وأن الضحية الحقيقية التي أطاح بها يوسف والي هي د. سمير مدير معهد بحوث القطن الذي لاناقة له ولاجمل في التدهور.

على كل فتقرير المستر بروان الأخير يؤكد أن المعونة قدمت لقطاع الزراعة نحو مليار دولار في ١٦ عاما، أقل من ثلثها قليلا للبحوث، وأغلب البحوث لقطاع المعلومات، وتفاصيل ذلك وهي عندي مرعبة بالفعل... غير أن السفه كشف نفسه فإن المخصص للبحوث لم ينفق منه إلا القليل في إطار البحوث المعلوماتية وراء مشروعات غريبة أطرفها مثلا:«تقدير قيمة المحاصيل قبل حصادها» وتستهدف المعونة الأمريكية من قطاع الزراعة كما يقول تقريرها إطلاق أسعار السوق، وزيادة الائتمان ، وإلغاء التوريد، والتركيز على المحاصيل النقدية (التصديرية في رواية أخرى) وتحسين التكنولوجيا والري. وهناك مشروعات مثل الانتاج الزراعي والائتمان، مع بنك الائتمان الزراعي مرصودٌ لها ٢٨٣ مليون دولار من ٨٦ الى ٩٥ بهدف الوصول الى ٣٨٠ بنك قرية و١٫٥ مليون فلاح (عدا مشروعات المحليات وتنمية القرية). ومن ملاحظاتي فإن الأمريكيين يستهدفون مصمصة عظم الفلاح الصغير ، بحثه على شراء التكنولوجيا الأمريكية، حتى آخر نفس وآخر مليم، تبدأ بعد ذلك مرحلة أخرى، لتركيز الملكية، بهدف توسيع دائرة الموسرين، المستهدف الحقيقي، للرغبة الأمريكية الهائجة بحثا عن أسواق ومشترين. وعلى خلاف ذلك مثلا تركز رأسمالية عريقة، كالمانيا ، على قطاع التعاون الزراعي والمنظمات الفلاحية، ولها مؤسسة هي «فريدرش ناومان» تمارس دورا يحتاج لتقييم واسع في الاسماعيلية. وإن كانت قد فشلت حتى الآن في «اختراق» الاتحاد التعاوني، رغم أن سكرتيره، محمد إدريس ، ممثل الوطنية الفلاحية البارز في الحزب الوطني، من الاسماعلية.

«ناومان» بدأت بمصر عام ١٩٨٠ ، وتركز على الندوات والرحلات والدورات، والتعاون مع إفريقيا- من مدخل مصر- والمشروعات الانتاجية والخدمة التعاونية. وعلى حين يقدر د. ابراهيم محرم، الخبير بـ «ناومان» وأستاذ الاجتماع الريفي ان نسبة المستفيدين من الخدمات التعاونية كانت ٢٫٤٪ على مستوى الجمهورية في ٨٧، في مجال المستلزمات، فقد كانت النسبة ٢٦٫٣٪ في الاسماعيلية في نفس العام. ويؤكد في كتيب صادر منذ أيام عن «ناومان» والتنمية الريفية ان تحرير الفول السوداني من التوريد أدى إلى انخفاض المسوق تعاونيا منه من ٧٣٫٢ ألف أردب في ٨٦ الى ٣٨٫٧ ألف أردب في ٨٧ على المستوى القومي بانخفاض ٤٧٪ على مستوى الجمهورية و٤٣٪ في الاسماعيلية (بفضل ناومان كمايود القول) فهل يمكن التعويل على ما يسمى الآن بدخول التعاونيات منافسة للقطاع الخاص في الشراء اذا كان الحال كذلك؟!

بعد الأهم

* هاتان هما أهم جهتين، وبعدها كندا وهولندا، واسرائيل، في مجال التأثير الخارجي، المزيد من «داخل» في الزراعة المصرية. وتبقى هيئة المعونة بجهازها الرهيب هي الآلة الأقوى، نفوذا وقدرة. وفي كتيب

محمد عراقى: حزار من العبث باستفزاز العلاقة الإيجارية

أصدرته المعونة مؤخرا بهدف الرد على ماتسميه المفاهيم الخاطئة. تقول بعد غمز طريف فى علاقة مصر بالسوفيت ان الهيئة لاتهدف إلى بناء «النصب التذكارية» (تذكر نصب الصداقة بالسد العالى) وإنما إلى التعاون مع الحكومة المصرية لتحسين معيشة الشعب المصرى.. وأنها دعمت مايقرب من ٢ مليون مزارع مصرى، بإدخال المحاصيل عالية الانتاجية والمزارع السمكية. وقامت بتدريب أكثر من ٩ آلاف مصرى فى الولايات المتحدة أغلبهم فى مجال الزراعة، والصحة والتعليم. ونفهم من الكتيب أيضا ماشبه الاعتذار عن عدم المشاركة فى استصلاح الأراضى فى الفترة الماضية، بسبب مشاكل المياه، غير أنها تعتزم ذلك مستقبلا. وأن المساعدات الفنية لاتستهلك من المعونة أكثر من ١٥٪ سنويا- فيما عدا أجور من تستعين بهم مصر من الخبراء (ولاتقول تفرضهم المعونة).

والسؤال: لماذا تعمل المعونة- بخبرائها الأمريكيين والمصريين- فى سرية تفوق سرية المواقع العسكرية؟ ولماذا ترفض تمويل استصلاح الأراضى ومشاريع زيادة انتاج القمح والحبوب وربط أى مشروعات لها بأهداف تصديرية؟.. إن تقرير المستر بروان يؤكد أن الزراعة المصرية تقدم ٢١٪ من الناتج المحلى و٣٠٪ من قوة العمل، و١٠٪ من الصادرات السلعية.. فهل هذه النسب تصلح لبلد يؤكد الأمريكيون أنفسهم أنه زراعى بالأساس؟

رحمه ونور على جهاز السادات للفول والطعمية.

* ثم نصل إلى السلطة التنفيذية، ويمكننى القول بلامبالغة أن الأيام القادمة ستجعل خصوم السادات يترحمون عليه، رغم أن شكل السلطة المصرية الحالى، الوسطية الفنية غير السياسية فى الجهاز التنفيذى، التى يتولاها «أبناء يوليو»، تحت التوجيه السياسى للرئاسة، أكثر انضباطا واحتراما من أيام السادات... ومن ممثلى تلك الفئة الرجل الطيب د. عاطف صدقى رئيس الوزراء فماذا قدم فى بيانه الأخير. يقول البيان: إن الحكومة تستهدف تخفيض مساحة البرسيم بـ ٨٠ ألف فدان لصالح العدس، وتحقيق معدل نمو ٣,٤٪ هذا العام فى الزراعة وزيادة إنتاج القطن الزهر ١٥٪ وفى مجال «التحرير» فهى تهدف إلى إلغاء الدعم والتوريد خلال ٣ سنوات من الآن، وإطلاق يد القطاع الخاص فى استيراد وتجارة المستلزمات لتنافس القطاعين العام والتعاونى، وتطوير أهداف بنك الائتمان، وإتباع سياسة التصدير بالهدف لا بالفائض، وبيع شركات أراضى وزارة الزراعة للعاملين أو القطاع الخاص. وأشار البيان إلى أن الحكومة تدرس بعمق مشروع العلاقة بين المالك والمستأجر. هذه الإشارة ووجهت بحملة صاخبة فى البرلمان والحزب الحاكم، مما اضطر رئيس الوزراء إلى التصريح فى اليوم التالى بأن قانون العلاقة بين المالك والمستأجر بالزراعة ضمن خطة الألف يوم. وعلمت أن مسئولين رسميين قالوا لكبار الوطنى: احمدوا ربنا إن القانون لم يصدر من زمان، كان زمانكم بعتم الأرض وحطيتوا الفلوس فى شركات التوظيف ورحتم فى أبو نكله.. إنما كده الأرض منصانه لكم!!

وكان سؤالى الأولى والمحورى لكل المسئولين، بل والمعارضين هو ماذا ستفعل هذه السياسة أولاً بالمعدمين.. وكل مرة أقسم لمن أحدثه بالله أن الموت جوعاً، يتهدد هؤلاء، من واقع رؤيتى، بسبب أسعار الحبوب والقوت وقلة فرص العمل والأجور.. والتوسع فى الميكنة وبصراحة لم أجد أجابة مطمئنة، وتذكرت ما قاله لى الأستاذ ماهر محمد على، عضو الشورى وطنى، من أن السادات، كان ناصحا، فقد أشار بفكرة جهاز الفول والطعمية، ليجد كل من معه بريزة ثلاث وجبات يأكلها..» ألم أقل لكم أننا سنترحم عليه؟!

«أعداء» التحرير

* فى الجهة المضادة لوجهة النظر الرسمية يبرز حزب التجمع الوحيد بين الأحزاب المعارضة الذى له مكتب فلاحين، ويعمل على محورين: ميدانى وله جناحان د. على نويجى، وثلاثى اتحاد الفلاحين محمد عراقى وشاهنده مقلد وعريان نصيف، والمحور الثانى أكاديمى ويقوده د. محمد أبو مندور الديب أستاذ الاقتصاد الزراعى (الطريف أن الحزب الوحيد فى مصر الذى يصدر جريدة للفلاحين هو حزب الأحرار!!). فماذا لديهم؟

يرى الشيخ عراقى أن «التحرير» سيقضى نهائيا على الجمعيات التعاونية ودورها، خاصة بعد أن حولتها الحكومة إلى مجرد مخازن، فأبعدتها عن ممارسة دور فى تخطيط الدورة الزراعية وفض المنازعات وفى التسليف والرقابة على أعمال الموظفين. كما أن تحرير المدخلات الزراعية كالأسمدة والبذور لم يقترن بتحرير أسعار المحاصيل، إذ القطن والقصب- وجزء من الأرز- تورد للحكومة بنحو نصف ثمنها. وغاب دور التعاونيات فى تسويق المحاصيل تماما مما حدا بأن يحصل المنتج فقط على ٤٠٪ من الثمن النهائى لانتاجه من الخضر والفاكهة.

ويطالب التجمع، يقول الشيخ عراقى بـ:

- إنشاء بنك التعاون وتنشيط الجمعيات وتخفيف شروط عضوية إدارتها لتضم فلاحين حقيقيين.

-توزيع الأراضى المستصلحة على المعدمين وصغار الزراع بآجال ميسرة، بدلا من بيعها بالمزاد، أو للأجانب أو توزيعها سياسيا على الخريجين مقابل تنازلهم عن الحق فى التعيين، أو تركها لضباط الجيش والشرطة والشركات.

-إشراك الفلاحين فى وضع سياسة التركيب المحصولى والدورة الزراعية بدلا من زجرهم بالعصا على قبول التركيب المفروض (٣,٤ مليون قضية مخالفة دورة فى العام).

-إعادة النظر فى التركيب المحصولى لتحقيق التوازن بين الحبوب وبين الخضر والفاكهة وربط أية أبحاث بذلك فى الأساس.

-وضع سياسة لتلافى كوارث القطن والطماطم فى السنوات السابقة.

-تقديم خدمات الميكنة تعاونيا بدلا من المحطات الحالية التى تخدم ١٠٪ من الزراع فقط

- وضع خطة لاستيعاب تعاقدات مشروع التبلو وإنقاذ الثروة الداجنة.

وفيما يتعلق بالعلاقة بين المالك والمستأجر فإن الحزب يحذر من التمسح بالدين فى مسألة العقود وإهمال الدور الأجتماعى للملكية الزراعية. ولذا يحذر من آثار العبث غير المسئول بهذه العلاقة على حياة أكثر من ٧ مليون فلاح، ويؤكد التجمع أنه ضد طرد الفلاحين أو إلغاء العقود، أو تحويلها إلى نظام المزارعة، ويقترح تحديد القيمة الايجارية على أساس تكاليف الانتاج وأسعار المحاصيل وقيمة قوة العمل. وإنشاء صندوق لتمويل شراء المستأجرين للأرض يمول من فروق أسعار محاصيل لتوريد، ويمكن للحكومة أن تقدم للمالك الصغير الراغب فى استرداد أرضه لزراعتها بنفسه، مساحة مناسبة من الأراضى فى الأراضى الجديدة بشروط بسيطة، هذا هو جوهر رد الفلاحين التجمعيين على بيان الحكومة وللحقيقة فقد نجح التجمع على مرار سنوات فى منع صدور قانون يعصف بالعلاقات الحالية. غير أن النجاح لايعزى كله للتجمع. فالمتتبع للتطورات فى السلطة المصرية يدرك أن تأجيل إصدار مثل هذا القانون يتم حتى تتمكن السياسات الحالية من تحقيق وجود طبقة عازلة من كبار ومتوسطى الملاك فى الريف، ودعمها لتكون مصدا ضد الهبات المتوقعة من واغش الريف الجوعى والمشردين. إذ أن تاريخ الريف المصرى بطوله، هو تاريخ ثورات جامحة فى أزمنة المجاعات لم تكن تبقى أو تذر- حتى المعابد كان يتم نهبها- وهذا هو بالضبط ماترمى إليه السياسة الأمريكية لتحقيق «الاستقرار» فى مصر، وما ترمى إليه الحكومة بتأجيلها صدور القانون إلى اخر يوم فى الألف يوم. ولذا فإن قانون العلاقة فى الاسكان قد يصدر أولاً، وقد تحدث تعديلات تبدو هامة فى مسار السلطة، مثل إبعاد د. والى من وزارة الزراعة والحزب الحاكم، وإبعاد د. مصطفى خليل، من منصب نائب رئيس الحزب، بكل مايمثلانه، بعد اتمام الأطاحة بعثمان أحمد عثمان فى نقابة المهندسين- ومن قبلها فى الأسماعيلية- لكن ذلك لن يعنى للمعدمين والفقراء شيئا، إذ أنه داخل فى إطار عمليات تجديد وتوسيع الطبقة المتوسطة فى الحكم.

أكل الفقراء

ويرى د. على نويجى أن تحرير الزراعة معناه إلغاء التركيب المحصولى والدورة الزراعية. فمن الذى سيفرض التركيب الجديد الذى سيقال أنه ابن قوى السوق؟ ويجيب: هم من معهم الفلوس بالطبع، وسيترتب على تركيبهم هذا إغفال زراعة أكل الفقراء. ولذا ففى رأيه أن الموت جوعا لايتهدد المعدمين فحسب، بل وما اسميهم أنا الطبقة العازلة، إذ أن تحرير أسعار الفائدة سيجعل أغلب هؤلاء العازلين أمام تفاليس حقيقية بسبب مديونياتهم المتراكمة. وأشار إلى أن الرقم المعلن فى بنك الأئتمان، والذى يؤكد أن متوسط السداد ٩٢٪ بشكل عام غير ذى

د. على نويجى: الموت جوعا يهدد الفقراء

معنى إلا فى شقة المتعلق بالسلف الزراعية القصيرة الأجل فبالفعل تحصيلها ٩٩,٥٪. أما السلف الاستثمارية فالسداد يتم بقروض جديدة باسماء الزوجة أو الأقارب وهى عملية يعرفها كل من الريف.

* المحرر: بلغت القروض المدعمة من بنك الائتمان ٨٨٩ مليون جنيه فى ٨٩/٨٨ مقابل ٢٢٢٨ مليون لغير المدعمة (فائدة ١٥٪) وبلغت جملة القروض المدعمة وغير المدعمة التى تمت جدولتها بسبب التعثر ١٤٢ مليون جنيه من نهاية ٨٥ إلى ٨٩/٦/٣٠. وللتذكرة فإن حجم الدعم على السلف الزراعية القصيرة الآن هو ٨٠ مليون جنية فقط كما يؤكد د. ابراهيم صديق خبير الائتمان، ببنك الائتمان، ويقول أن هذا الدعم لن يلغى فجأة!.. د. ابراهيم وآخرون يرون أهمية أن نتحظ من حال القطاع الزراعى فى الدول «الشمولية» وفى نفس الوقت تراعى ظروفنا.

* ويواصل د. على نويجى تفنيد المزاعم الرسمية حول زيادة محاصيل القمح والذرة والفول والقصب والعدس بعد الاتجاه للتحرير فيقول أن زيادة القمح تمت بالأساس بسبب تحسين الأصناف وتحسين التربة وهى مسائل يمكن أن تتم فى أى نظام، علاوة على زيادة السعر فى المجمعات الاختيارية الذى ترتب عليه زيادته فى السوق «السوداء» وهو مايدفع ثمنه الفقراء والمعدمون (تشترى الحكومة الأردب من القمح بـ ٧٣ جنيها هذا العام ويبلغ سعره خارج التجميع نفس الرقم وكان قد وصل إلى ١٢٠ فى نهاية الموسم الماضى، ونفس الشىء ينطبق على الفول والذرة. أما القصب فتؤكد البيانات التعاونية أن انتاجيته انخفضت رغم رفع سعره، بينما يقول د. إبراهيم صديق أن انخفاض الانتاجية ظاهرى بسبب تهريبه للعصارات أما د. على نويجى فيقول: الجوهرى هو أن استهلاك الفرد للسكر زاد من ٨ إلى ٣٠كجم فى نحو ٢٠ عاما بسبب تشجيع السفه وعادات الطبقات الجديدة. مما اضطرنا لزراعة ٣٣٠ ألف فدان من أجود الأرضى - قصبا لسد ٥٥٪ من احتياجاتنا من السكر، بكلفة مائية رهيبة.. فماذا يفعل التحرير فى هذا الصدد غير المزيد من دعم اتجاهات الزراعة لصالح استهلاك القادرين ولو بخراب البلد؟!

ويواصل بانفعال: الحكومة شكلت خلال عام واحد حوالى ١٥ لجنة على مستوى وزارة الزراعة لتحسين انتاجية التفاح وأصنافه فأين هذا من الاهتمام بأكل الفقراء فى بلد لايجد ما يأكله ولايجد من يستورد منه الفراولة بل والبرتقال الذى ينتجه، والذى يسوق القطاع الخاص بنفسه؟. وأخيرا يقول د. على: إنهم نجحوا فى أن يصورونا أمام الناس وكأننا ضد الحوافز وضد ارتفاع مداخل الفلاحين وهذا كذب صراح.

-س: فى بنك الائتمان يؤكدون أنه يمكن التعاونيات أن تشترى ماتشاء من أسهم، عند تعلية رأس مال البنك، التى ستتم قريبا وبذا يشكلون نسبة عالية فى مجلس الإدارة والجمعية العمومية ويصرفون النظر عن بنك التعاون ما رأيك؟

-قال د. على:... وسيقولون أن بنوك التعاون انتهت فى الدول الشرقية. وأن الموظفين فى التعاونيات سيعجزون عن إدارة مثل هذا البنك، وأن الفساد «التعاونى» سيتفاقم إلى آخره. الجوهرى فى الأمر هو كيف يمكن تقديم خدمة تعاونية، يتم من خلالها عزل القطاع الريفى عن التأثيرات الخطرة للتضخم والائتمان التجارى؟ هذا هو الهدف فليختاروا له ما شاءوا من وسائل... يجب أن يكون الناس أصحاب مصالح مباشرة لينجح أى نظام.

* ويرى د. أبو مندور أن «التحرير ورفع سعر الفائدة سيؤديان على المدى البعيد إلى زيادة تركز الملكية فى الريف المصرى، وإلى قيام صغار الفلاحين ببيع أراضيهم لسد الرمق.. كما سيقوم الملاك الذين من المحتمل أن يستردوا أراضيهم ببيعها.. كل ذلك سيؤدى إلى مزيد من الاستقطاب فى الريف المصرى، والتدمير للقيم الأجتماعية التكافلية التى سادت فيه طويلا (اللبن ملكية مشاعية فى الريف وبالذات فى القرى الصغيرة حتى الآن إذ من حق أى معدم أن يطلبه ممن لديهم فى أى وقت للغموس أو عمل أنواع من الفطائر الفقرية).

ولايتوقع د. أبو مندور أن يحقق التحرير أيا من أهدافه المعلنة فى مجال زيادة الانتاج والانتاجية بشكل عام، وفى الحد من الواردات، وإلغاء القدرة على سد الفجوة الغذائية.. الخ. بل ويقول إن مايسمى التصدير بالأهداف لن يعدو أن يكون على حساب احتياجات السوق المحلى لصالح قلة من المصدرين والتجار. كما إنه من المشكوك فيه أصلا أن تزيد الصادرات الزراعية فى ضوء الأوضاع الدولية الراهنة.

معلومات غير «تحريرية» ولاغنى عنها.

* قررت الحكومة أن يكون سعر القطن عام ٩٢ مساويا ٦٦٪ من سعره العالمى. مصر ستحتاج ١٠ مليون قنطار عام ٢٠٠٠ للصناعات المحلية. والانتاج الراهن نقص من ٨,٥ مليون قنطار عام ٨٢ إلى ٤,٨ مليون قنطار عام ٩٠ برغم تقارب المساحات. مصدر مطلع قال: إذا كان الأمريكيون قد ضغطوا على عبد الناصر، فى عز جبروته عام ١٩٦٤؛ كما كشف هيكل، لتقليص مساحة القطن بمقدار ١٠٠ ألف فدان، لصالح المزارعين الأمريكيين، وهو مالم يقبله ناصر، فعاقبوه بوقف معونات القمح، فما يدرينا أن يكون الحاصل حاليا لمحصولنا الرئيسى عائد إلى «إملاء» اميركى حديث الطابع خاصة وأن العلاقات السرية بين مصر والولايات المتحدة فى قطاع الزراعة، متكتمة داخل دوائر قليلة فى الرئاسة والأمن، وغير معلوم بدقة دور د. والى فيها.

سعد هجرس

تلهب الزراعيين!!

* فقى عدد من المسئولين ومنهم كمال ناصر رئيس قطاع الائتمان والتسويق ببنك الائتمان، والمشرف على مشروع .A.P.C.P مع هيئة المعونة أن يكون الأمريكيون قد فرضوا على الجانب المصرى مالم يختره أو يقبله. وقال كمال ناصر إن فكرتنا عن اختراق الزراعة المصرية ساذجة. وأن مصر يمكنها استخدام الأدوات الأمريكية + تطعيمها بالقيم المصرية، من أجل زيادة الانتاج وتحسين أوضاع صغار الزراع، بينما قال محمد إدريس أن أخوف مايخافه من التحرير هو «اختراق» الزراعة المصرية وإتاحة تمليك الأرض للأجانب دون قيود فالزراعة برأيه ليست مجرد حرفة ولكنها ميراث حضارى اجتماعى ثقافى، شديد الخصوصية فى التأثير على المجتمع المصرى. بالمناسبة A.P.C.P لديها عدة مشروعات منها واحد لزيادة انتاجية العدس ويؤكد كمال ناصر أن المشروع رفع ائتمان الفدن من ٢.٥ إلى ١٧٠ جنيها، وحسن نمط الزراعة (بالسطارات) وطريقة الرى فزادت الأنتاجية ٣٠٪.

* يخطط بنك الائتمان لرفع نصيب الفدان من الائتمان إلى ١٠٠٠ جنيه خلال بداية «التحرير» نصيب الفدان فى الوقت الراهن لايتجاوز ٢٠٠ جنيها. وردا على مخاوفى من أن يجد بنك الائتمان نفسه مضطرا لابتداع أنشطة، يصرف فيها طاقته الائتمانية ويحقق عائدا مناسبا، لكنها لا تتلاءم مع متطلبات التنمية الشاملة العادلة بالريف قال د. ابراهيم صديق هذا لن يحدث.. ولم يحدث..وأكد أن الفدان يستوعب ٣٠٠٠ جنيه كائتمان لا آلفاً فقط. وأشار إلى جدية البنك بقوله أنه الوحيد فى مصر، حتى الآن الذى يمول عمليات استصلاح الأراضى. أما المعدمون فقال إنه يصعب مدهم بقروض بلاضمان= فالبنك بنك وليس جهاز شئون اجتماعية.

* تجدد الصراع بين القيادات التعاونية وقيادات بنك الائتمان. والفريق الأول يتهم البنك بأنه تاجر.. ويعمل على جثث التعاونيات. والبنك يتهم التعاونيات بأنها هى الأخرى مجرد «تاجر» وأنها حركة فوقية بيروقراطية. يذكر أن ٥٠٠ جمعية فقط تمارس الآن تقديم المستلزمات لأعضائها من بين ٦٠٠٠ جمعية. الطريف أن أول جمعية استردت اختصاصها فى تقديم المستلزمات، كانت بالإسماعيلية، وبفضل «ناومان». وكأنه لايمكن أن نعود تعاونيين إلا بوصاية أجنبية!!

* قد دعم عراقى الفرق بين سعر القطن الرسمى وسعره العالمى بنحو ٧٥٠ مليون جنيه فى ٨٩/ ٩٠ فى أضعف التقديرات. برغم هذا فقد تضاعفت (بعد التحرير) أسعار الأسمدة والمبيدات والبذور ووقف دعم السلف الزراعية عند ٨٠ مليون جنيه منذ ٨٥ وحتى الآن.

* انتشرت فى الريف شائعات أن غرامة مخالفة الدورة ستكون ٥٠٠ جنيه فى العام القادم، بعد ٢٠ جنيها حاليا عن يقين فإن أكثر من ٧٠٪ من فلاحى القرى التى عايشتها سيخالفون دورة القطن رغم كل شئ!.

* أخوف ماتخافه من «التحرير» هو شيوع المبيدات الفاسدة بعد الأغذية الفاسدة. مسئول رسمى أكد لى فضيحة استيراد «الجاليكرون» المسبب للسرطان والمحظور دوليا، قد مرت بسلام، وهى تقبل التكرار.المسئول من مؤيدى أن يقوم القطاع الخاص باستيراد المبيدات، بشرط الرقابة الحكومية الصارمة. وقد اعتبر أن قرار وزير الزراعة بتعيين مهندس زراعى فى كل متجر مبيدات عمل مظهرى، ولن يؤدى إلا إلى تشغيل بعض المهندسين.. وقال ضاحكا: «هوه المهندس حيفهم فى الكيماويات وتحاليله إيه.. أنا شفت مبيدات خوخ و كمثرى لدى باعة قنا وسوهاج وهما محافظتان لاتزرعان الخوخ أو الكمثرى!!.»

* هناك شكوك قانونية، تحوط قيام وزير الزراعة بتمليك أراضى شركة وسط الدلتا الزراعية لعمالها، بعد استقالتهم، فى إطار خطة الوزارة لتصفية أراضى شركاتها خلال الألف يوم.

* يقدم الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء بيانات غاية فى الخطورة حول القطاع الزراعى لايمكن أن يكون من فكروا فى التحرير قد قرأوها ومنها:

١- ٩٥.٣ من الحائزين يقعون فى شريحة تحت ٥ أفدنة ويحوزون نحو ٥٣.٥٪ من المساحة المزروعة.

٢- زادت مساحة الجنائن ٥٢/٥٪ بين عامى ٨٣و١٩٨٧.

ووصلت إلى ٦١٦ ألف فدان. وكانت أعلى زيادة فى مساحة التين (٤٢٥٪) والزيتون ٣٦٠٪، والخوخ ٢٢٦.٧٪ والموز٨٨٪ والتفاح٨٣٪ وفى نفس المدة نقص الكرنب ٣,٥٪ ونقصت اللوبيا ٢٠٪ ونقصت الكوسة ٨.٣٪ (وزادت السياسة!).

والبطاطا- ٢٥٪ والفجل- ٢٥٪ والجزر- ٩.١٪ وزاد الخرشوف ١٠٠٪ والبطيخ الامريكى ٦٧.٥٪ وكوز العسل +٢٠٠٪ والشهد +٢٠٠٪ فهل هذا هو الهيكل التحريرى الذى يريدونه؟ والأدهى فى نفس الفترة أن الأرز نقصت مساحته ٣٪ والذرة الرفيعة- ١٨.٥٪ والشامية- ٣.١٪ وفول الصويا- ٢٣.١٪ والشعير- ٧.٤٪ والكتان- ١٠.٣٪ والبصل- ١٩.٤٪ والترمس- ١١.١٪ وزادت الفراولة ٥٠٪.

إننا بصراحة- وبالتحرير- إزاء مصر غير التى عرفناها فى القرآن بفولها وعدسها وبصلها. ولا أريد أن استطرد فى إيراد النقص الذى طرأ على انتاجية المحاصيل الرئيسية فالصورة كئيبة ولمن يشاء الرجوع إلى كتاب الإحصاء السنوى الأخير.

* وفق دراسة خطيرة للدكتور أحمد حسن مستشار معهد التخطيط، عن الضرائب العقارية فى مصر فإن أصحاب الملكيات أقل من ٣ أفدنة انخفض مجموع حيازاتهم من ١.٩٧ مليون فدان فى ٨٢ إلى ١.٦ مليون فى ١٩٨٥ بسبب البناء والتجريف والبيع والتفتت واتجاهات تركيز الملكية!! وتقدر الدراسة أن اعفاءات صغار الزراع تحت ٣ فدادين من ضريبة الأطيان- التى باعها السادات للفلاحين مقابل الحصول على تأييدهم لكامب ديفيد- لم تتعد ٦.١١ مليون جنيه فى عام ٨٥. ويستخلص الباحث من بيانات مرفوعات التخفيف بالضرائب العقارية أن المساحات التى رفعت أو خفضت عنها الضريبة العقارية بسبب تدهور الانتاجية تضاعفت ٨ مرات بين ٨٠ إلى ١٩٨٥، وقد بلغت عوائد حقوق التملك من الزراعة ٤٨٥٧ مليون جنيه عام ٨٥، ربطت عليها ضرائب أطيان بنحو ٣٦.٥ مليون جنيه ومع هذا لم يسدد منها سوى ٦١.٥٪ من الربط. الباحث يطالب بإلغاء إعفاء السادات والعودة لنظام الضريبة التصاعدية على الدخل الزراعى، بعد إعفاء مبلغ معين لنفقات المعيشة، ذلكم هو الريف.. وهى الصورة.. وهذا هو بالتحرير والابلاش!!

اتفقت الحكومة والصندوق وتركت الفقراء للطوفان !

زيادة أسعار السلع الخدمية سوا

موجة جديدة من الغلاء تهدد بانقلاب السوق المصرى

محمود الخضرى

تكاد الخطوط العامة لاتفاق مصر مع صندوق النقد الدولى تكون جاهزة الآن.

وقد تشهد الأيام القادمة التوقيع على الاتفاق بالحروف النهائية، بعد جولة ساخنة من المباحثات استمرت مايقرب من ٢٠ يوماً خلال فبراير الماضى، شارك فيها من الجانب المصرى د. صلاح حامد محافظ البنك المركزى، ود. محمد الرزاز وزير المالية وخمسة من الخبراء بالمالية والاقتصاد ومجلس الوزراء ومن جانب الصندوق د. عبد الشكور شعلان مدير عمليات الشرق الأوسط بالصندوق، ومديره مشيل كامديسو.

وفى نفس الوقت الذى كانت تجرى فيه المباحثات فى واشنطن كان هناك خط ساخن مع القاهرة التى شهدت اجتماعاً شبه دائم برئاسة د. عاطف صدقى مع المجموعة الوزارية الاقتصادية، لمتابعة المباحثات لحظة بلحظة، لإصدار التعليمات أحياناً وتقرير حجم التنازلات الحكومية عندما يشتد الجدل بإصرار الصندوق على مطلب محدد وهى تنازلات تنتهى بتفاوت ملحوظ فى وجهات النظر داخل الحكومة خاصة حول سؤال محدد طرحه أحد خبراء الاقتصاد.. إلى متى تستمر هذه التنازلات دون دراسة واضحة لآثارها على محدودى الدخل؟ ووصل الأمر إلى مطالبة البعض إلى ضرورة تزامن تحرير الأجور للعاملين مع تحرير الاقتصاد، بنفس النظام الذى ورد فى خطاب النوايا الذى تقدمت به الحكومة للصندوق.

بنت الحكومة خطة الإصلاح التى تعهدت بها أمام الصندوق على هدف أساسى هو تحرير الاقتصاد بشكل عام، بما فيه أسعار الفائدة وأسعار الصرف، والسلع بكافة أنواعها، وتحرير القطاع العام عن طريق تحويله لشركات قابضة. على أن يتم هذا البرنامج خلال فترة لاتتجاوز يوليو ١٩٩٣.

تضمن مشروع الحكومة خطوطاً عامة للسياسات الاقتصادية المقترح تنفيذها خلال الفترة القادمة ، والتى سبق أن تم البدء فيها. وكلها تستهدف تخفيض عجز الموازنة إلى أقل نسبة ممكنة بما يصل إلى ٤٪. وكان اعتراض الصندوق على هذا أن العجز الكلى فى الحساب الختامى يصل إلى مايقارب ١٥ مليار جنيه، وطلب الصندوق تأكيدات ملزمة بخفض هذا العجز. وتركز رد الحكومة أنها بدأت فى اتخاذ إجراءات لتمويل العجز من موارد حقيقية، عن طريق طرح أذون خزانة للهيئات المالية والشركات تتمتع بميزات نسبية، وبسعر فائدة لايقل عن ١٦٪ ويرتفع بشكل تدريجى حسب العرض والطلب بطرحها للمزايدات من خلال بنك الاستثمار القومى.

كما اشتمل رد الحكومة على أنها تسعى لاستبدال ضريبة الاستهلاك بضريبة المبيعات، ويستهدف هذا زيادة موارد الدولة السيادية خاصة من الضرائب، بالإضافة إلى الزيادة المترقعة من الجمارك حتى يغطى تلك الزيادات مالايقل عن ٤٠٪ من نسبة العجز.

ومن بين الإجراءات التى وردت ضمن تعهدات الحكومة البدء فى وضع جدول زمنى لتحريك أسعار السلع، يبدأ بالسلع التى لاتتمتع باستهلاك شعبى أو السلع غير المنظورة... ويأتى على رأسها السجائر والسلع الكهربائية ، على أن تكون الزيادة متدرجة حتى تصل للأسعار العالمية، وقالت الحكومة أن ٧٠٪ من تلك الزيادة ستحصل عليها خزينة الدولة، والباقى للشركة المنتجة لهذه السلع والقائمة الثانية تشمل سلعا غذائية خاصة المنتجة من شركات القطاع العام. ثم تأتى السلع المحصولية، والحصص المربوطة على البطاقات التموينية. وأكدت الحكومة أنها اتخذت خطوات فعلية فى هذا الاتجاه ستحقق عائدا سنوياً لن يقل عن مليارى جنيه.

وجاء بمذكرة ملحقة بالاتفاق أن الحكومة المصرية ملتزمة بتعهدها السابق بالوصول لأسعار الكهرباء، ومشتقات البترول (خاصة البنزين والكيروسين والسولار) للأسعار العالمية وأشارت المذكرة إلى أن الخطوات السابقة حققت حتى الآن مايقرب من ٦٠٪ من المستهدف، وأكدت على أنها رفعت أسعار الكهرباء أول العام الحالى ١٩٩١ بنسبة تتفاوت بين ١٥٪ و٢٥٪، حسب نوع الاستهلاك ولم تعلن عن ذلك خشية ردود فعل اجتماعية، كما أنها ولنفس السبب لم تعلن عن زيادات أخرى فى بعض السلع وحذف البعض الآخر من بطاقات التموين. ورفعت أيضا رسوم ثلاث خدمات هى التليفونات، وعدادات الكهرباء والمياه.

وبخصوص مجموعة أخرى من الخدمات ،

هى توصيل المياه ورصف الطرق ومد خطوط الصرف الصحى الفرعية والنظافة قالت الحكومة إن المحليات مفوضة فى إنشاء ومد هذه الخدمات، دون تحميل ميزانية الدولة تكلفة مباشرة، على أن تقتصر على البنية الأساسية، وبشرط أن تكون المشاركة الذاتية (الجهود الذاتية) هى الأساس ، وبتكلفة تتراوح بين ٥٠ و٧٥٪ من إجمالى التكاليف.

إصلاحات وتضخم

اعترفت الحكومة صراحة فى أوراقها أن معدلات التضخم فى ارتفاع مستمر حتى بلغت مايقرب من ٢٥٪ فى بداية هذا العام، ورغم الحاجة لضرورة تعديل شامل فى هياكل الأجور للفئات الدنيا (كما قالت الحكومة) إلا أن الظروف غير مواتية لتنفيذ هذا الإجراء، ولكن نظرا للضغط الاجتماعى فإن هذا الموضوع محل دراسة من كافة النواحى خاصة التمويل حتى لاتقع فى محظور قد يؤدى لإفشال كافة الإجراءات المتبعة لتخفيض العجز، وأخطرت الحكومة الصندوق أنها من المرجح أن تمنح علاوة اجتماعية لاتتعدى تكلفتها الفعلية عن ٧٥٠ مليون جنيه وتمويلها محدد سلفاً.

ومن المعروف أن الصندوق كان قد اعترض على أى تعديل شامل للأجور

وتضيف الحكومة أن البلاد مواجهة بأزمة حادة منذ بداية مشكلة الخليج، أخطرها عودة العمالة، والنقص الحاد فى تحويلات العاملين، وصعوبة إنتقال الأموال للداخل ، إلى جانب خسائر إقتصادية كبيرة. ولهذا فإن سياسة الدولة مقتنعة تماماً بأن الحل هو التحرير الشامل للاقتصاد ووفقا للنصائح المالية الدولية وضعت الحكومة مشروع الألف يوم لتحرير الاقتصاد وتسعى بكافة الوسائل لإصدار عدد من التشريعات والقرارات التى تؤدى هذا الغرض، كما سبق أن صدر عدد منها..

وعددت الحكومة بعض هذه الإجراءات مثل قانون جديد للقطاع العام والعاملين يمنح الحرية لتحديد حجم ونوع المنتج وأجر العامل، وتعديل قانون الشركات المساهمة ، وقانون جديد للبنوك والائتمان المصرفى بعد إنشاء سوقين للصرف، سوق أساسية تتعامل فى أسعار السلع الأساسية ودخل قناة السويس وخط أنابيب «سوميد» وسوق ثانوية تتعامل فى مدخرات العاملين وحائزى النقد الأجنبى، ومفتوحة للمشاركة بنفس نظام عمل الصيارفة.

ولم تتوقف الحكومة عند ذلك بل زادت رضوخها لشروط الاتفاق مع الصندوق، بفتح مجال الاستيراد على مصراعيه على مدى زمنى خمس سنوات، لإطلاق قوى السوق للعرض والطلب على السلع... وعلى حد تعبير إقتصادى كبير «لليسار» فإن الدولة فى طريقها لطوفان فى الأسعار وانهيار فى الإنتاج، قد يؤدى لتوقف العديد من الأنشطة الاستثمارية فى القطاعين العام والخاص معاً دون تفرقة وربما يؤدى الأمر لإغلاق عدد من البنوك المتخصصة مثل بنك الإسكان والتعمير، وبنك الائتمان الزراعى فى ظل النظام المصرفى الجديد. ويؤكد أنها لعبة الكبار تدخل فيها مصر دون إمتلاكها مؤهلات ذلك ولن يفلت الفقراء من التضحية بهم.

وفى حوار مع مستشار إقتصادى كبير بالحكومة حول خطوات الإصلاح قال ألا يكفى أن تعلم أن أحد كبار المسئولين قال بالحرف الواحد «اللى مايقدرش يتواكب ويستمر مع الأوضاع الجديدة، عليه أن يبحث عن مكان آخر».. فرد عليه آخر «ومعنى هذا أن كل واحد معلق من رقبته» فقاله حاجة زى كده.

نترك هذا الحوار الذى يحمل دلالة خطيرة- ونرى باقى سياسات الدولة كما وردت بأوراقها.. التأكيد على مبدأ أن إلغاء الديون وجدولة الباقى منها جزء أساس لحل المشكلة والأزمة ، والتنسيق لاستخدام القروض الجديد.. وحصر الديون التى تستخدم حتى الآن، ويبدو أن الحكومة !! ليس لديها رقم محدد عن هذا والسير بخطوات متلاحقة إلى شيوع الملكية الخاصة، وتخلى الدولة تدريجيا عن دورها فى التخطيط والاستثمار. على أن تقوم الدولة بإصلاح كل المشروعات والشركات الخاسرة قبل التنازلات عنها للقطاع الخاص.

وتقول الأوراق أن الدولة تسعى لتحسين وتطوير كافة الخدمات المقدمة لهيئات أجنبية، حتى تساهم فى حل أزمة العجز فى ميزان المدفوعات. وفى المقابل الحد من القروض الميسرة للمواطنين، خاصة فى مجال المشروعات الصغيرة، أو الخدمات مثل الإسكان.. بل وصل الأمر للقروض القصيرة الأجل من البنوك مثل بنك ناصر الاجتماعى وبعض البنوك الحكومية بفرض رسوم على الخدمات المجانية خاصة فى التعليم على أن تقتصر المجانية عند مرحلة معينة، والتوسع فى إنشاء المدارس والمعاهد الخاصة، ونظام التعليم المفتوح، وضرورة إنشاء جامعة أهلية خاصة، هذا بالإضافة إلى خدمات أخرى تعهدت الحكومة بإلغاء المجانية نهائيا فيها خلال مرحلة لم تحددها وهى «العلاج» بالتوسع فى نظام العلاج الاقتصادى ونظام التأمين الصحى. ونفس الشئ بالنسبة لخدمات عامة أخرى (مياه-صرف-طرق)

وعن البطالة التى اعترفت الحكومة فى مفاوضاتها مع الصندوق أنها تمثل مشكلة كبرى، خاصة بعد عودة أعداد كبيرة بسبب أزمة الخليج، فإن كافة الأوراق التى تحت أيدينا لم تشر لحل مباشر سوى أن الحل يكمن فى استصلاح الأراضى والتوسع فيها وتمليكها للشباب، والتوسع فى المشروعات الصغيرة من خلال خطة طويلة المدى.. تحتاج لتمويل وقروض أجنبية وتقول الحكومة إنها أعدت برامج لإعادة تأهيل الخريجين على مهن متعددة يستوعبها القطاع الخاص، دون الارتباط بنوع المؤهل.

وخلال أيام يبدأ وفد اقتصادى مباحثاته مع نادى باريس للتفاوض حول جدولة مايقرب من ١٦ مليار دولار ،فى نفس الوقت يبحث عن قروض جديدة.. ويصبح السؤال هل سيبدأ العداد من جديد فى رصد الديون الجديدة ، لتبدأ مفاوضات جديدة قد تستمر سنوات أخرى ، لفرض مزيد من الشروط... أم أن الصندوق وهيئاته والمؤسسات المالية قد وصلوا للهدف الذى سعوا إليه، الوصول بالاقتصاد المصرى للهاوية ..؟

يجيب أحد الخبراء - من الحكومة أيضا- أن الأمل مازال موجوداً، فأزمة الخليج التى استخدمتها الحكومة فى مفاوضاتها، والتى قالت إنها سببت لها خسائر تصل فى بعض التقديرات إلى ٣٦ مليار... لابد أن نتعلم منها درسا آخر وهو أن الاقتصاد إن لم يقم على أسس نابعة من إحتياجاتها وتنمية محلية حقيقية، لن تنفع معه كافة الإصلاحات «والروشتات»فالإصلاح مطلوب لكن الفرق واضح بين إصلاح منا وإصلاح من غيرنا..

وفى آخر كلامه قال إن ما فى نفوسنا كثير ومانريده أكثر... لكن صناعة السياسة شئ آخر.

كان هذا ما استطعنا تجميعه من المعلومات موثقة عن خطة الإصلاح الحكومى، ويبدو أن هناك من الأسرار الكثير، سيفاجأ بها المواطنون، دون استثناء، وكما يقول مسئول اقتصادى إن الأزمة كبيرة.. بينما يؤكد وزير الاقتصاد د. يسرى مصطفى أن لاخوف من سياسة التحرير فلن يحدث انفلات فى الأسعار.. فأيهما تصدق الواقع أم وزير الاقتصاد.

الدين .. وحرب الخليج

د. جلال أمين

مرة أخرى يقحم الدين بغير حق فى مسألة سياسية بحت، وهى حرب الخليج، فيتخاصم فريقان حول ما إذا كان صدام على حق فى غزو الكويت، أو السعودية على حق فى استدعاء القوات الأمريكية لطرده، ويتبادل الفريقان أقسى الاتهامات وأعنفها، يقحم فيها كلها الإسلام والله ورسوله والقرآن الكريم، فلايصاب فى كل هذا بالأذى إلا الاسلام والله ورسوله والقرآن الكريم.

هذه بالطبع ليست المرة الأولى. فتاريخ الاسلام السياسى كما يعرف الجميع، منذ مقتل عثمان، هو تاريخ صراع سياسى يحارب فيه كل طرف ضد الآخر باسم الدين، ولكن الصراع لم ينشأ فى الأصل بسبب الاختلاف فى تفسير الدين، بل نشأ الاختلاف فى تفسير الدين من أجل الصراع، لاأقول أن الصراع كان دائما مدفوعا بأغراض شخصية، فقد كان بعض الأطراف أحيانا مدفوعا بأنبل الدوافع، مثل على بن أبى طالب فى خلافه مع معاوية، ولكن هذا لاينفى أن الاختلاف فى تفسير الدين، ربما فى جميع الأحوال، يأتى لاحقا على اختلاف آخر: إما لاحقا على أختلاف فى المصالح الشخصية أو السياسية أو فى تقرير لما تكمن فيه مصلحة المسلمين. إنى إذن أربأ بأحد أن يظن أن الشيخ متولى الشعراوى أو الدكتور خلف الله مثلا جلسا أولا، قبل تكوين رأى فى موضوع غزو الكويت، فقراء القرآن مرة أخرى وراجعا كتب السنة، وتوصلاً بعد تقليب فى كتب التفسير والفقه، إلى أن الإسلام يؤيد استدعاء القوات الأمريكية،-رجالاً ونساء- إلى حفر الباطن، فى الحالة الأولى، أو إلى أن هذا الاستدعاء كفر صريح وخروج تام عن الإسلام، فى الحالة الثانية، وإنما الأرجح أن كلا منهما قد أتخذ موقفه بناء على أسباب أخرى ثم شرعا فى البحث عن موقف الدين بعد ذلك.

إقحام الدين فى السياسة ليس جديدا، ولكن إقحامه فى الخلاف الراهن حول حرب الخليج يبدو لى أشد قبحاً وأكثر فجاجة من كثير من الحالات السابقة، ربما باستثناء الخلاف حول ما إذا كان الإسلام يقرّ أو لايقرّ توقيع اتفاقية كامب دافيد فى ١٩٧٩. ذلك أن بعض أطراف الخلاف الراهن، بل وبعض زعمائه، لم يعرف عنهم ورع شديد، بل وكانوا حتى وقت قريب أقرب بكثير إلى العلمانية منهم إلى التدين. ولكن الأفدح من ذلك، أن نفس هؤلاء سبق لهم، منذ وقت قريب جداً، أن دافعوا عن عكس مايدافعون عنه الآن، وباسم الدين أيضاً. فالذين يقولون اليوم إن الإسلام

الشيخ محمد متولى الشعراوى

يقرّ غزو صدام حسين للكويت كانوا يقرّون منذ وقت قريب ضرب صدام حسين لثورة إيران الإسلامية. وفي الطرف الآخر، نجد أن الذين يقولون اليوم أن الإسلام يقرّ ضرب صدام حسين واستدعاء الأمريكيين لضربه، كانوا يقرّون منذ وقت قريب إعطاء المعونات السخية لصدام حسين لمحاربة الثورة الإسلامية في إيران. معنى هذا أننا لوسايرنا هؤلاء أو هؤلاء لكنا بذلك نضع الإسلام في موقف لايحسد عليه بالمرّة: إذ يبدو الإسلام، في يد المتحمسين لصدام حسين، وكأنه مع العراق عندما حارب الثورة الإسلامية باسم العروبة، وهو أيضا مع العراق عندما يحارب العرب باسم الإسلام، والإسلام في يد المتحمسين للحكومة السعودية يبدو وكأنه يؤيد الحكومة السعودية عندما تساعد العراق بالأموال الغفيرة لضرب الثورة الإسلامية في إيران، ويؤيدها أيضا عندما تستدعي الأمريكيين لضرب العراق.

أما الإسلام في يد المتحمسين للحكومة المصرية، فإنه يبدو وكأنه يقف دائما مع السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط: عندما لاترى هذه السياسة أي غضاضة في أن تشترك مصر مع العراق في تكوين مجلس التعاون العربي، وعندما ترسل قواتها لضرب العراق، في الكويت.. الخ

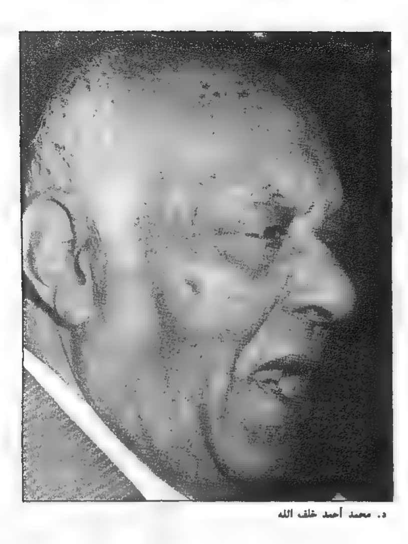

د. محمد أحمد خلف الله

* * *

نحن الآن لانتكلم في السياسة، وإنما فقط نطلب بعض الاحترام للدين. فاقحام الدين على هذا النحو لايسيء إلا إليه. وأنا أريد أن أزعم أن الموقف العلماني هو أكثر احتراما للدين، مائة مرة، من هذا الموقف الذي نصفه الآن، فالعلماني يريد أن يحتفظ لنفسه بحرية التصرف فيما يتعلق بمصالح الناس اليومية دون تدخل مستمر ممن يزعم بأنه ظل الله على الأرض، ولكنه في نفس الوقت يعترف بحق كل صاحب دين في أن يمارس دينه بمطلق الحرية أيضا، بل ولايمنع موقفه العلماني هذا من أن يكون هو نفسه متدينا وورعاً بينما يلجأ أولئك الذين يقحمون الدين في كل صغيرة وكبيرة من شئون الحياة اليومية إلى وضع الدين في الصفوف الأمامية في كل معركة دنيوية يخوضونها، ويختفون وراء الدين بأطماعهم الشخصية التي هي في معظم الأحيان أطماع مادية صرف، فلا يصيب الحجارة وتمزيق الثياب إلا الدين نفسه، ويبقون هم، هؤلاء المتظاهرين بالتدين والورع، في مأمن، يحتجون بادعائهم أنهم لايقولون قولهم هم بل قول الله. أما القول بأن الإسلام «دين ودنيا» فإنني أفهم الجانب الدنيوي فيه بمعنى «الأخلاق» وليس بمعنى أتخاذ موقف من استدعاء الأمريكيين إلى حفر الباطن أو عدم استدعائهم.

* * *

عندما تأملت مايقال اليوم باسم الدين في المعركة الدائرة بين صدام حسين وخصومه تذكرت مقالاً كتبه منذ بضعة شهور أحد المشتركين في هذا الصراع الدائر اليوم، وكان يتكلم حينئذ في موضوع اقتصادي ، وتطرق لسبب لا أذكره إلى التقسيم الشائع بين الاقتصاديين لعناصر الانتاج إلى ثلاثة: الأرض والعمل ورأس المال، بينما يقسّمها البعض إلى أربعة: الأرض والعمل ورأس المال والتنظيم: فقال كاتبنا المتحدث باسم الإسلام، إن عناصر الانتاج في الحقيقة خمسة، وأضاف «الله» كعامل من عوامل الانتاج، زاعما أن هؤلاء الذين يقسمون عناصر الانتاج إلى ثلاثة أو أربعة ينسون أن الله هو أيضا عنصر فعّال من عناصر الانتاج. لقد أصابني وقتها من الذعر والدهشة ماجعلني أعود فأتذكرّ هذا الكلام الغريب كلما وجدت الدين يقحم بغير حق في مسائل دنيوية بحت. وقلت لنفسي: هل وصل الأمر بنا إذن إلى حد أن نظن أننا نحسن إلى الله ونمجده بجعله العنصر الرابع أو الخامس من عناصر الانتاج؟ بل لا أخفي على القارىء أن ذهني انصرف مباشرة إلى الجاهلية، وسألت نفسي عما إذا كانت هذه هي الجاهلية بعينها: تجسيد فكرة الألوهية في المحسوسات، وتصويرها في صور المخلوقات، والهبوط بها إلى مشاغل البشر اليومية التافهة، واستخدامها لإضفاء المشروعية على أحقر الدوافع ولمباركة أسفل الحروب. فها نحن بدورنا نستخدم الدين لتبرير أسفل الأعمال ولمباركة أحقر المعارك.

فهل نسيء بذلك إلى أحد أكثر مما نسيء إلى الإسلام؟ أليس الأجدر بنا أن نخوض معاركنا السياسية بحجج سياسية ونصفي حساباتنا الشخصية بأنفسنا، ونسوّي مشاكلنا، بين بعضنا البعض، كالرجال، دون أن نتخذ من الدين ستاراً لأطماعنا وأهوائنا؟

المرأة والإبداع العلمى

نماذج من النساء .. لانعرفها !

د. ليلى الشربينى

الحديث عن المرأة والابداع العلمى لابد أن يبدأ بالرائدة مانيسا سكلودفسكى التى عرفها العالم باسم «مارى كورى». ولكى يوضع الحديث فى إطاره السليم وجب علينا الارتكاز على ماتقدمت به «سيمون دى بوفوار» وقدمته من أفكار فيما يخص قضية المرأة. ففى حوار لها مع «سارتر» سألته عما يراه ملائما من خطوات كى تأخذ المرأة مكانتها فى المجتمع وتتمتع بحقوقها الكاملة. وحين رد سارتر قائلا: إن المرأة يجب أن تصل إلى المراكز المرموقة من مديرة ووزيرة ونائبة الخ... قاطعته قائلة. إن كل تلك المناصب وراءها إعتراف الرجل وقد يحجب هذا الاعتراف، فالخيط فى يده. واستطردت قائلة إنها ترى انه على المرأة أن تفرض نفسها بالانجاز مما يحررها من مسألة الإعتراف الرجالى ويفرضها فرضا.

وبالطبع فانجاز «مارى كورى» ليس نموذجا وحيدا يؤكد صحة ماذهبت إليه «سيمون دى بوفوار»

رشحت مارى كورى أستاذا بالجامعة لأنه لم يكن هناك رجل أكفأ منها لشغل هذا المنصب بعد وفاة زوجها بيير كورى. أى أنها لم تصل إلى موقعها بفضل مطالب نسائية أو سياسية ، إنما بفضل انجازها العلمى فمارى كورى لم تكن بحسب فتاة أرادت مواصلة تعليمها العالى فى وقت لم تكن الجامعات الأوروبية تفتح أبوابها إلا للشباب من الرجال عدا جامعتى باريس وبرلين... إنما كانت أيضا عالمة دؤوبة سهرت الليالى بحثاً عن تلك المادة التى اكتشفتها ولقبتها «الراديوم»

إذا بحثنا عن هذا النموذج من النساء فى مصر لوجدنا أكثر من مثل نذكر منهن «سيدة موسى» أول عالمة ذرة مصرية،«أمينة الحفنى» أول مهندسة مصرية «فتية نوفل» أول عالمة رياضة بحته مصرية «مارى نجيب» أول فلكية مصرية...

لكننا لن نكتفى بذكر الرائدات فهناك سيدات هن موضوع هذا الحديث اقتحمن مجالات علمية جديدة على الجامعة المصرية وكان لهن شرف الريادة على المستوى المحلى فهناك «إجلال رفاعى» التى درست الجيوفيزيقا ولم تكن دراستها الجامعية تؤهلها لطرق هذا المجال ولم تكن الرياضيات قد أصبحت بعد ضرورة وأداة لاغنى عنها لطرق العديد من المجالات العلمية لم تتردد إجلال رفاعى فى عبور هذا الباب ودرست الرياضيات كمدخل ضرورى لدراسة الجيوفيزيقا كما درست اللغة الألمانية وذهبت إلى البعثة وعادت لتكمل مشوارها وتعلم الباحثين وترأس فيما بعد قسم الجيوفيزيقا

نذكر أيضا «تغريد عنبر» التى أدخلت اللسانيات الحاسوبية فى كلية الألسن بعد أن درست الصوتيات التجريبية وقامت بدراسات صوتية على أربعين لغة افريقية وكانت لها الريادة فى ذلك.

كما يمكن ذكر الدكتورة «سلوى الجمل» التى لها ريادة فى الطب الحاسوبى خاصة بما أنجزته فى وحدة الكُلى بجامعة المنصورة . وقد نالت عليه جائزة الدولة التشجيعية و«دكتوره ميرفت غيث» التى طبقت أدوات

الذكاء الصناعي على اللغة العربية ود. مديحة دوس» التي أدخلت الأدوات البحثية المعاصرة في دراسة المخطوطات الصعبة؛ ود. رشيقة الريدي» التي أنشأت قسم المناعة ود. ناهد يوسف» التي أدت أعمالها إلى تصنيع الزجاج الطبي في مصر.

نحن هنا نرى نساء اقتحمن مجالات لم تكن مطروقة في موطنهن ولم تتردد تلك النساء تحت بند أنهن نساء، أو تحت بند أن تلك الفروع التي لم تطرق بعد في حياتهن وهي حكر على الدول المتقدمة أي إننا هنا بصدد مقدرة ذهنية رفيعة المستوى تجاوزت التبعية وفرضت نفسها بإنجازتها كإنسان ومواطن، حاملا المسئولية العلمية في مجاله والمسئولية القومية ليكون لهذا الجديد جذور في موطنه.

هذه النقلة الحضارية هي النقطة التي تفوقت فيها نسائنا الباحثات حيث إنهن وإن لم يناظرن «ماري كوري» في خصوبتها البحثية التي آلت بها إلى جائزة نوبل-فإنهن فقنها بحفر جذور علمية في مواطنهن. «فماري كوري» لم تعد إلى «وارسو» لتدعيم البحث العلمي ولكنها وهذا جزء من فرصتها آثرت الانتماء للمنظومة البحثية الفرنسية وبقاءها في فرنسا وزواجها من «بيير كوري». وهذا ليس نقدا لها ولكنه إبراز لنقطتين:

١- إن الابداع العلمي عند المرأة لم يعد قاصرا على بعض فلتات الطبيعة من العباقرة، انما أصبح شيئا عاديا أن تمارس المرأة البحث العلمي وأن تتفوق وأن تقود شباباً من الباحثين في مجالها. «وماري كوري» وإن كانت قد فتحت الباب لكنها لم تعد العملة التي ينظر إليها على أنها فريدة من نوعها.

٢- بروز البعد الاجتماعي أو السياسي وإن كان أحيانا ضمنياً- فالعالمات رغم سهولة إبراز وإنماء أبحاثهن بإنتمائهن إلى منظومة بحثية متطورة أو متقدمة في الخارج، تراهن يعدن إلى موطنهن لغرس وتطوير أفرع تخصصهن في موطنهن هذا رغم تأكدهن أن المنظومة البحثية المحلية مازالت تعاني من ثغرات عديدة قد تعرقهن ولاتتيح لهن الفرص الحقيقية، ليس فقط في فعالية وجدوى الأبحاث وإنما أيضا في توظيف قدرتهن وأدائهن العلمي رفيع المستوى ومن ثم إبرازهن كعالمات ذوات انتاج يماثل مالديهن من رصيد علمي وطاقة خلاقة فعلية. لكنهن عدن وبطريقة أو بأخرى لنقل العلم إلى المنظومة القومية. فالانتماء إلى المنظومة القومية لايقتصر على المحور السياسي السافر، بل يمكن أن ينطلق من محاور سياسية

د. إجلال الرفاعي

استاذ الجيولوجيا/ جامعة القاهرة(جيوفيزيقا)

د. مديحة دوس

استاذ اللغة الفرنسية/جامعة القاهرة

(القريات)

ضمنية حيث الإسهام في المنظومة العلمية، سواء انصب في الانتاج القومي مثل ناهد وميرفت أورشيقة أو إجلال، اقتصر على الارتقاء بالمنظومة العلمية المحلية إلى مستوى المنظومة (العلمية العالمية فهو إسهام ذو بعد سياسي، يقتضى انه موقف موجب له أثره أو بصمته في المسيرة الحضارية للمنظومة ككل

وهناك سؤال يطرح نفسه: ماهو تأثير تلك

د. رشيقة الريدي

استاذ المناعة/جامعة القاهرة

المرأة المبدعة أو المنجزة علميا على المجتمع؟

يعرف المجتمع المبدعة الأدبية فقد يعد لها كتاب أو تذيل قصة لها باسمها، يعرف الفنانة التشكيلية أو أخرى، فالمبدعات البارزات منهن تتمتعن بقدر من النجومية فيعرفها الآخرون، فتكون مؤثرة عبر عملها الابداعي وعبر صورتها أما تلك المنكبة على المخبر والأوراق فلا يعلم عنها أحد شيئا إلا القليل من العلماء ذوي التخصص الذي اختارته تلك المرأة مجالا لحركتها الذهنية، هي إذن ليست نجمة ولاتبرز كقدوة أو مثل يقتدى به أو عامل مؤثر.

وأظن أن الأوان قد آن للحديث عنها وإبرازها ليس فقط ليقتدى بها علميا ولكن أيضا اجتماعيا. فتلك المرأة المبدعة تئول إلى تأقلم ديناميكي مع العصر. اذ يمكننا تصور السهولة التي يمكن أن تتمتع بها تلك المرأة المبدعة علميا في التحرر من أي مفهوم يلحقها بالمجتمع الاستهلاكي، اذن تلك المرأة أو ذلك الانسان هو بغير شك في مستوى انتقائي في الاختيار وفي الأداء، أي انه في توظيفه كعنصر في منظومة أيا كانت المنظومة: الأسرية المهنية الاجتماعية السياسية يؤول إلى اداء رفيع المستوى ورغم أن بعض العلماء يقولون إن قضية المرأة تلازمها أجيال لكن العلم جاء وتطور بإيقاع سريع، واشتركت المرأة في هذا الإيقاع السريع، مما فرضها في موكب التطور وهذا يؤيد كلام سيمون دي بوفوار في فرضيتها التي لم تأت من فراغ.

والدة أيمن حسن:
«ابنى لم يفعل جريمة بل كان يدافع عن الوطن وأنا فخورة به»
والد أيمن:
«ابنى ليس متهمًا لأن اسرائيل قتلت الكثير من العرب والمسلمين»

عبد الحميد كمال

قبل أن أدخل قاعة المحكمة العسكرية العليا بالسويس لفت نظرى فى قاعة انتظار هيئة الدفاع عن الجندى «أيمن حسن» هذه السيدة التى تلبس الرداء الأسود وتضع إيشاربا أسودًا على وجهها... ملامحها صامتة فى كبرياء وشموخ ..هادئة، غير منكسرة، وغير متكلفة، ودودة فى حديثها، ومجاملة لمن يتحدث معها فى أدب جم واحترام، تعرف كيف تختار كلماتها فى لباقة وذكاء، سيدة قوية الشخصية متواضعة.

عرفت من الاستاذ «جودة العزب» المحامى والذى كان يجلس بجوار د. جلال رجب و سيد ابو زيد وآمال عبد الوهاب.. من هيئة الدفاع... أنها والدة الجندى البطل «أيمن حسن» كانت معى مجلة اليسار فى عددها الثانى عشر وفيه مقال عن أيمن للزميل «هشام مبارك» أعطيت العدد لأيمن وقررت المغامرة بمحاولة إجراء حديث مع والدة «أيمن حسن» ، رغم معرفتى أنها رفضت الأدلاء بأية أحاديث للصحافة. ومع الحاحى ومساعدة والد أيمن الحاج «محمد حسن» كان هذا الحديث لليسار اللى يعتبر الأول مع والدى «أيمن»

قلب الأم

ماكادت الحاجة «زاهية احمد بيومى» التى «تسكن قرية «الرحمانية» مركز ابو كبير، تنتهى من صلاة الفجر حتى أخذت تعد لأولادها الأفطار والسندوتشات والشاى قبل ذهابهم إلى المدرسة

وعندما إقتربت الساعة من السادسة والنصف صباحاً شعرت الأم بانقباض فى قلبها، وقالت بصوت مرتفع (خير اللهم اجعله خير).

وتوقف الحاج محمد حسن الذى كان يستعد للذهاب لعمله بشركة اتوبيس شرق الدلتا بالزقازيق وقال خير ياأم أيمن قالت قلبى انقبض ياحاج اللهم اجعله خير... ورد عليها قائلا.. ماتخديش فى بالك، وصلى على النبى، كان ذلك صباح يوم الثلاثاء ١٩٩٠/١١/٢٥

وفى تلك اللحظة كان الجندى أيمن حسن الأبن الأكبر للحاجه زاهية قد قام وتسلل عند التبه الصفراء بسهل القمر فى سيناء وتخطى الحدود وأشتبك مع مجموعة اسرائيلية فقتل خمسة منهم وأصاب ٢٧ أخرين وكانت دورية أسرائيلية تجرى ورائه وترشه بوابل من الأعيرة النارية أصابته إحداها فى رأسه.. وأستطاع الهرب عبر الحدود المصرية)

تقول الحاجة زاهيه «حين انقبض قلبى افتكرت أيمن ابنى ودعيت له من كل قلبى (الله يسترها معاك يابنى انت واللى زيك ولايرميك فى إيد حاكم ظالم ويكرمك ولايفضحك ويفتمك السلاة، ياأيمن يابنى انت واللى زيك»..

«وذهب ابو أيمن للعمل والأولاد للمدارس لكن قلبى كان مشغول.. لحدما عرفت الخبر بعد كده..»

....

- انا أم مصرية شعرت بإحساس أى أم مصرية عرفت إن ابنها قتل اسرائيليين.

اسرائيل يابنى قتلت قبل كده ولادنا فى بحر البقر واولاد مسلمين كتير حتى فى العيله، مات لنا كتير فى الحروب... سلفى عم الاولاد وابن عمتى.. وغيرهم من المسلمين كتير راحوا وماتوا بسبب حروب اسرائيل وعدوانها علينا.

....

- كل جيرانى بيساعدونى وبيشدوا ازرى ومبسوطين بأيمن لأنه ابن البلد كلها والناس بتحبه.

....

- إحساسى إن ابنى لم يفعل جريمة بل كان يدافع عن الوطن وعن حق من ماتوا على يد اسرائيل. واسرائيل عملت كتير فى العرب والمسلمين.

....

- انا أتمنى البراءة بإذن الله لأيمن وربنا مايرميه فى إيد حاكم ظالم ولاهو ولاغيره وأنا بحس أن كل شاب فى مصر هو ابنى وربنا يحرس شباب مصر ويحفظها من كل سوء.

....

- أيمن ابنى الكبير وهو ابن عمرى ومستقبل حياتى وانا كنت فخوره بيه.. لما دخل الجيش ولما سافر وحدته العسكرية فى سيناء رغم قلقى عليه كنت دائما أدعو له بالسلامه وأنا أسأل مامصير من قتل أولادنا وفيه ناس كتير اتقتلت على يد اسرائيل

....

-أيمن هو الكبير وفيه أخواته أولادى (احمد) بالمعهد الفنى الصناعى و(حسن) بالمعهد الثانوى الأزهرى و(راوية) بالصناعات

الثانوية بنات و(مصطفى) قدامك آهو ٥ سنوات (كان مصطفى الذى يحضر المحكمة ليسأل ويشاهد ويطمئن على شقيقة ايمن يلاغى فى ذكاء كافة الجنود والضباط ويلعب فى براءة ويكسر حاجز المحكمة بحركاته البريئة والعفوية» وينادى «وله ياعسكرى تاكل بسكويت.. أجيبلكم رز باللبن) وكانت ضحكاته تجلجل قاعة المحكمة وصالة المحامين»)

....

- المحكمة العسكرية بتساعدنا وانا بزور أيمن فى السجن ويحاول اطمئن عليه.. انا أصلى وادعى لأيمن كل وقت وأدعى لكل مظلوم أن يخرج من ظلمه وانا لا أتمنى الحبس لأحد وربنا يفك كل مضايق.

....

- كل أمنياتى أن يكون أيمن بخير وبسلام ولايصيبه مكروه

....

- كان ميعاد خروجه من الجيش فى ١٩٩١/٧/١ وكان يستعد للحياة المدنية والعمل وكان يفكر فى الزواج بعد خروجه من الجيش

■■■

يشبه أيمن ملامح والده الحاج محمد حسن محمد مصطفى فالرجل متواضع، زكى، بشوش الوجه يختار كلماته بدقة فائقة يملأ قلبه الثقة صامد ومتمسك بالأمل حينما أقتربت منه وتحدثت معه وطلبت منه الحديث مع الحاجة قال يا ابنى لاتريد ان تتحدث إطلاقاً مع الصحفيين، حاولوا معها كثير من قبلك ورفضت، قلت ربما توافق وساعدنى الرجل وبعدها كان حديثى معه...

- محمد حسن محمد مصطفى ٤٧ سنة أعمل بأتوبيس شرق الدلتا

....

- أيمن ابنى اعتبره غير متهم لأن اسرائيل قتلت كثير من العرب والمسلمين

....

- شعورى بالفخر والاعزاز بابنى لانه قام بعمل بطولى انتقاماً ممن قتلوا أهله واقاربه على يد الأسرائيليين ورداً لاعتبار كل المسلمين فى العالم الذين ماتوا على يد اليهود.

....

- انا أخاف عليه وأمامى مصير من سبقوه مثل سليمان خاطر أوبعض الناس التى تحاول اسرائيل الانتقام منهم سواء كانوا علماء فى أى مجال من مجالات الحياة أو أبطال مارسوا الحياة العسكرية.

أيمن حسن

....

- بعد أن اطمئن قلبى على إجراءات الأمن المفروضة لحماية ابنى وبعد أن وجدت القلوب الرحيمة التى تتعامل مع ابنى ، أصبحت لا أشعر بأى قلق.

....

- انا مطمئن لأمانة كل المصريين بدءا من رئيس الجمهورية الذى كان جندياً مصريا وقائداً للقوات الجوية وحارب اسرائيل فى ١٩٧٣ وحتى آخر رجل فى مصر.

....

- ليس لى تعليق حول اتهام ابنى بالجنون!!

....

- اسرائيل قتلت الكثير من عائلتى منهم شقيقى المرحوم مصطفى الذى استشهد عام ١٩٧٣ كذلك الشهيد احمد محمد سعيد فى نفس الحرب، وهناك اثنان من أبناء العمومة هما ابراهيم احمد عطيه وسعيد عيد عبد الفتاح أثناء حروب الاستنزاف ابن العمة الشهيد محمد سعيد الشرادفى الذى ترفى فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨..

....

- اتمنى من كل قلبى أن ينصرنا الله على اسرائيل واتمنى أن يكون العرب يدا واحدة وكلمة واحدة من أجل مستقبل أولادنا وبلادنا وأتمنى حكما عادلا مشرفا لابنى على يد القضاء المصرى..

انقطع الحديث على الصوت الجهورى القوى من حاجب المحكمة الجندى المصرى «محكمه» وقفنا جميعاً احتراماً... وهمست الحاجة زاهية والدة أيمن «خير اللهم اجعله خير»...

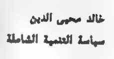

قراءة في برنامجي التجمع والحزب الشيوعي

إنهاء الدولة البوليسية وشمولية الحكم ليست دعوة للتشدّد

حسين عبد الرازق

في الاعداد الثلاثة الأخيرة من «اليسار» قام كل من «محمد شومان» و«عبد الغفار شكر» و«محمود أمين العالم» على التوالي، بقراءة نقدية جادة لبرنامجي «حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي» و«الحزب الشيوعي المصري»، اللذين طرحا في إنتخابات مجلس الشعب (نوفمبر- ديسمبر ١٩٩٠).

وتأتي أهمية هذه القراءة النقدية وتواصلها، من كون البرنامجين يقدمان رؤية قوتين أساسيتين من قوى اليسار المصري، للبديل الذي يطرحه كل منهما لسياسات الحكم، خلال السنوات الخمس القادمة (مدة مجلس الشعب). وبلاشك فإن هذه القراءة النقدية كانت ستصبح أكثر أهمية لو امتدت الى كل قوى اليسار في مصر، لولا أن القوى الأخرى لم تصدر أية برامج خلال الانتخابات.

وتثير هذه القراءات الثلاثة العديد من القضايا الهامة، حول نقاط الاتفاق والاختلاف او التمايز بين البرنامجين، والنقائص والإيجابيات. كما تطرح عديدا من التساؤلات تحتاج إلى إجابات قيادات الحزبين.

ادعاء الثورية

وقد إستوقفني في هذا النقاش قضية أعتقد أنها محورية في تفكير القوى اليسارية المصرية الآن (أغلبها على الأقل)، ويدور حولها دائما خلافات واسعة داخل صفوفها.

يقول «محمد شومان» حول البرنامج الانتخابي للحزب الشيوعي المصري، أنه يدعو لأهداف مماثلة لبرنامج حزب التجمع.. «ولكن مع إستخدام كلمات أكثر تشددا في وصف أزمة الحكم، والقيود المفروضة على العملية الانتخابية، إضافة إلى عناوين تدعي الثورية، مثل برنامجنا للتغيير الشامل. وخوض معركة الانتخابات دفاعا عن الديمقراطية... من أجل إنهاء وتغيير النظام، الشمولي القائم، وإقامة نظام ديمقراطي متكامل يفتح الباب للتغيير الشامل»..

ويقول «محمود أمين العالم» في مقارنته بين البرنامجين، أن برنامج التجمع يدعو إلى إحداث إصلاحات في بنية الحكم القائم وسياساته «على حين أن برنامج الحزب الشيوعي يدعو إلى تغيير بنية الحكم نفسه، وهذا مايفسر لغته المتشددة من حيث الأسلوب، أو من حيث وسيلة تحقيق الهدف»

وبعد أن يشير إلى فقرة من مقدمة البرنامج، يقول.. «إن هذا المدخل للبرنامج هو مدخل إستراتيجي عام، وهو دعوة جهيرة إلى تغيير بنيوي شامل». ويضيف في مكان آخر قائلا، أن الحزب الشيوعي «يحرص في برنامجه الانتخابي على إبراز وتأكيد هدفه الاستراتيجي وهو إنهاء الحكم القائم، وتأسيس حكم جديد، تتداخل فيه مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ومهام الثورة الاشتراكية..» ويقول أيضا.. إن برنامج الحزب الشيوعي لايميز «بين دعوته إلى التغيير الشامل، وبين برنامجه التكتيكي المباشر».

التكتيك.. والتغيير الشامل

وتقودنا هذه الفقرات من المقالتين إلى القضية المحورية، التي أشعر بأهمية مناقشتها.. وهي قضية التشدد، كما يراها الكاتبان. أو إدعاء الثورية في رأي محمد شومان- أو التغيير البنيوي بإنهاء الحكم القائم، والخلط بين التغيير الشامل وبين البرنامج التكتيكي المباشر، في رأي محمود أمين العالم.

وبعيدا عن الدخول في تفاصيل البرنامجين، أو مايراه الاستاذ العالم خلطا بين مهام الثورة الوطنية الديمقراطية والثورة الاشتراكية.. فلا أجد أي تشدد أو إدعاء للثورية، أو خلط بين البرنامج التكتيكي المباشر والتغيير الشامل، في المطالبة.. «بإنهاء وتغيير النظام الشمولي القائم، وإقامة نظام ديمقراطي متكامل يفتح الباب للتغيير الشامل»، أو الدعوة «لاستخلاص الوطن من براثن حكم الفرد والدولة البوليسية وشمولية الحكم، وسيادة العنف، ووقف موجة الغلاء المتصاعد، وإستشراء البطالة وانخفاض وتردي مستوى معيشة الغالبية العظمى من المواطنين».. كما ورد في برنامج الحزب الشيوعي.

فهذه الدعوة، ليست قاصرة على الحزب الشيوعي المصري، بل تكاد تتكرر- أحيانا بنفس العبارات- في أدبيات أحزاب وقوى عديدة يسارية في مقدمتها أدبيات «حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي»، ومن أهمها «برنامج الاصلاح الديمقراطي» الصادر عن الحزب في أول نوفمبر ١٩٨٩. وفي إجتماعات ممثلي الأحزاب والقوى السياسية خلال عامي ١٩٨٩ و١٩٩٠ والتي شاركت في عدد منها ممثلا لحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، أو نائبا عن أمينه العام، كان هناك إتفاق على ضرورة التغيير الديمقراطي، بإنهاء النظام الشمولي القائم وإلغاء حكم الفرد، والدولة البوليسية، وسيادة العنف. وقد شاركت في هذه الاجتماعات أحزاب التجمع والوفد والعمل والأحرار والاخوان المسلمون والشيوعيون.

أهمية السلطة

وليسمح لي من يرى في هذا تشددا، أو إدعاء للثورية بسؤال بسيط.

كيف يمكن لأي حزب أن يطبق برنامجه (التكتيكي أو المرحلي) مالم يصل منفردا- أو ضمن تحالف- للسلطة؟!

وكيف يصل أي حزب- أو مجموعة أحزاب- للسلطة في ظل تقنين الحكم القائم لإحتكار حزب واحد، هو حزب الرئيس، للسلطة.. سواء كان «حزب مصر العربي الاشتراكي» في الماضي، أو الحزب الوطني الديمقراطي حاليا؟!

وكيف يمكن أن يكون هناك تداول ديمقراطي للسلطة عبر البرلمان، في ظل «تأكد الطابع البوليسي للدولة» وحكم مصر منذ السادس من أكتوبر «بقانون الأحكام العرفية المسمى بقانون الطوارئ،» و...و... (طبقا لأدبيات حزب التجمع)؟!

وهل يمكن لحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي- مثلا- أن يحقق البرنامج الإصلاحي العاجل الذي يركز على «إنتهاج سياسة التنمية الشاملة بالإعتماد على النفس، كشرط جوهري للتحرر من التبعية.. وتحقيق العدالة الاجتماعية..» في ظل السلطة السياسية القائمة والحكم القائم؟!

أو أن يتم تحقيق ما دعى إليه الحزب الشيوعي من التأكيد «على تحرير الاقتصاد المصري من سيطرة تحكم الرأسمال الأجنبي وتصفية البنوك وشركات التأمين الأجنبية» أو موقفه من الخلاص من «التبعية السياسية والاقتصادية والعسكرية للأمريكان..» والذي رأى فيه الاستاذ العالم- بحق- حسما ضروريا «وليس مجرد تشدد في التعابير اللغوية»..

هل يمكن تحقيق ذلك في ظل الحكم القائم ودون تغيير؟!

وحتى لايكون هناك أي لبس، فالحديث هنا لايدور حول النظام القائم، أي الدستور ومؤسساته المختلفة. فالجميع- في حدود علمي- يعلن تمسكه بالشرعية الدستورية والالتزام بالوسائل والأساليب الديمقراطية. وحتى عندما تطرح تعديلات جذرية في الدستور، تطرح طبقا لما قرره الدستور من أساليب لتعديله. والحكم هنا- كما أفهم- ينصرف إلى الحزب الحاكم وشخوصه وتحالفه الطبقي، والذي يصر على الإنفراد بالسلطة غصبا، وبانتهاك سافر للدستور، وعدوان متكرر على السلطات المختلفة للدولة، بل والاجتراء على القانون.

وتشمل أجهزة الحكم: منصب رئيس الجمهورية، ومجلس الوزراء، والمجالس التمثيلية المختلفة.. وجميعها مؤسسات ومواقع تتنافس الأحزاب- في ظل التعددية- للوصول إليها والحصول على الأغلبية فيها.

فأي حزب يقبل بالتداول الديمقراطي للسلطة، يسعى للحصول على الأغلبية

محمود أمين العالم

دعوة للتغيير

منفردا أو متحالفا مع غيره، في مجلس الشعب والمجالس المحلية، وبالتالي تشكيل مجلس الوزراء، وتسمية رئيس الجمهورية والحصول على إختيار الناخبين له.

وإذ لم يكن حزب التجمع مثلا يسعى كغيره من الأحزاب إلى ذلك.. فلماذا أعلن حزب التجمع في ١١ أكتوبر ١٩٨١ معارضته لترشيح (الرئيس) «محمد حسني مبارك» لرئاسة الجمهورية، بعد إغتيال الرئيس السابق «أنور السادات»؟!

ولماذا عارض انتخاب الرئيس حسني مبارك لولاية ثانية في بيانه يوم ٢ ديسمبر ١٩٨٧؟!

حسني مبارك

دولة بوليسية

ولماذا خاض معارك إنتخابات ١٩٨٤ و١٩٨٧ داعيا المواطنين لانتخاب قوائمه.. إن لم يكن من أجل التغيير الشامل، وإنهاء حكم الفرد والحزب الواحد، والدولة البوليسية وشمولية الحكم؟!

نحن.. أو الآخرون

فليحسم اليسار- بكل فصائله- تردده، ويطرح نفسه بشجاعة ووضوح كبديل للحكم القائم، ولكل سياساته التي قادت المجتمع إلى أزمته الشاملة، الاقتصادية والإجتماعية والوطنية والقومية والسياسية..

وليتصدَّ لخوض معارك الوطن ومعارك منتخبيه، ويتقدم لقيادتها، بالبذل والعطاء والمبادرة الشجاعة، وتسمية الأشياء بأسمائها.. وبممارسة أساليب العمل الديمقراطي، والتي تشمل بالإضافة للانتخابات البرلمانية وانتخابات المحليات، النشاط النقابي، وممارسة حق التظاهر والإضراب والاعتصام السلمي، والعمل الخدمي والانتاجي..

وليس صحيحا أن الجماهير مستسلمة أو عازفة عن التغيير. بل العكس هو الصحيح. ولم تكن صدفة أنها صوتت- رغم التزوير والتدخلات- لحزب الوفد في انتخابات عام ١٩٨٤ بنسبة كبيرة، عندما تصورته البديل للحكم القائم. ثم صوتت لتحالف «العمل والاخوان المسلمون»، عندما طرح نفسه كبديل للحكم في انتخابات ١٩٨٧، وصوتت للتجمع والمستقلين في انتخابات ١٩٩٠ في مواجهة الحزب الوطني.

فمن الواضح أن الجماهير- ورغم القمع الإعلامي والبوليسي والمعيشي- ترفض الحكم القائم، وتتطلع إلى البديل. وعدم وجود حالة ثورية بين الجماهير، لايعني أنها لاتريد التغيير الشامل، وإنما هو دليل على تقاعس اليسار عن القيام بدوره.

وإذ لم يحسم اليسار تردده، ويتخلى عن إنقساماته وخلافاته، وتقليله من شأن نفسه.. ويرفض بقوة الأوهام التي تصدر له حول تحالفات مع أجنحة في السلطة، أو حول دور إيجابي لمؤسسة الرئاسة، والفصل المصطنع بين الرئيس وحزبه وحكومته.. فلا يلومن إلا نفسه، إذا ما تقدمت قوى أخرى تنتمي إلى اليمين، سواء كانت قوى ظلامية معادية للعقل، أو قوى إنقلابية مغامرة، أو قوى رأسمالية طفيلية رثة تنافس الحكم الحالي على السلطة.. لتقود الجماهير في طريقها المسدود.

اغتيال شهدى عطية الشافعى

القتل فى تشريفة الحليف الوطنى

ورغم قسوتها البالغة، فإن «التشريفة» لم تكن أقسى طقوس التعذيب فى «الأوردى»، لأن نطاقها كان محددا فى إشعار القادمين بأن قانون العالم الذى يدلفون إليه، لاصلة له بالقوانين أو الأعراف الانسانية، وإخطارهم بأنهم قد أصبحوا سبايا، بلا أية حقوق انسانية، فهى جرعة مفاجئة ومكثفة من العذاب، هدفها إحداث صدمة تنقلهم فورا إلى الحالة «الأوردية» وتنبههم إلى أنها حالة مختلفة تماما، عما تعودوا عليه من معاملة، ومن ردود أفعال، فى السجون المختلفة قبل ذلك، فتنقلهم من الحالة الانسانية الاجتماعية، التى تفترض الاحتكام إلى القانون، أو البحث فى لائحة السجون، أو الضغط بالإضراب عن الطعام، إلى الحالة البدائية التى قانونها: أنا الأقوى... فأنا على حق...

أما العذاب الحقيقى، فسوف تحمله إليهم، الشهور والطقوس التالية.

كان اختيار «الاوردى» لممارسة هذه الطقوس البدائية فى تصفية البشر، اختيارا موفقا، فمع أنه كان لايبعد عن القاهرة، سوى ٤٠ كيلو مترا، إلا أنه كان معزلاً مثاليا، تحيطه الصحراء، وجبال الهازلت من كل جانب، مما يسهل عزل المقيمين فيه عن كل اتصال بدنيا البشر، يأتيهم بنجدة، أو يُسمع صرخاتهم لأحد، وبذلك تتحقق فكرة إشعارهم بأنهم لم يعودوا بشراً، وأنهم وحيدون بلا نصير ولا ذاكر، وبلا منجد أو مدافع، فيفقدون جانبا كبيراً من عناصر القوة الخفية التى يأخذها الانسان من شعوره بالانتماء إلى جماعة انسانية، لها أعرافها وقوانينها وتقاليدها الخلقية والاجتماعية، ويرتدون إلى حالة من الفردية النازعة إلى حماية الذات، مما يضرب فى الصميم تركيبتهم النفسية كسياسيين، وكشيوعيين.

وحتى من ناحية التصميم الهندسى، كان الأوردى، مكانا مثاليا، للسيطرة على المقيمين فيه، ولإخضاعهم لتلك التجربة المعملية الشريرة التى هدفها تصفية البشر، إذ كان كل واحد من عنابره الستة، على شكل مستطيل متوسط، طوله ٢٨ مترا وعرضه ٥ أمتار، وفى ضلعه المستعرض باب، تواجهه من الناحية الأخرى دورة مياه، وفى أعلى كل من جداريه الطوليين ثمانى نوافذ ترتفع كل منها عن الأرض مترين ونصف، وتبلغ مساحة كل نافذة ١٢٠ سم عرضا و٦٠ سم طولا، وبها تسعة قضبان حديدية طولية، واثنان مستعرضان.

وفضلا عن أن هذه النوافذ -التى تشكل مايقرب من ربع مساحة الحوائط -سوف تحمل إلى المقيمين فى العنبر رياح ليالى الشتاء العاصفة، وأمطاره الغزيرة، فقد كانت تجعلهم كالمقيمين فى العراء، وتتيح لضباط السجن وجنوده، إبقاءهم طوال الوقت فى مرمى عيونهم المتلصصة، وآذانهم المتنصتة، فلا يجسرون على مخالفة التعليمات المشددة، بألا يغير أىٌ منهم مكان نومه. أو يجتمع مع غيره أو يتحدث إليه، أو يرفع صوته بكلمة فى السياسة أو فى غيرها، إذ الجلد والضرب بالشوم،هو العقوبة التى تنفذ فورا ضد أى مخالف للتعليمات، وبهذا يفقدون أدنى درجة من الخصوصية الانسانية.

كان العنبر أقرب مايكون إلى أسطبل

خيول أو عنبر عبيد، تمتد على جداريه الطوليين مصطبتان من الأسمنت، بارتفاع ١٥سم. ويتوالى الايراد الجديد- الذى نقل إلى الأوردى، بعد تشغيله فى ٨ نوفمبر ١٩٥٩، من معتقلات القلعة والعزب والمحاريق- ارتفعت كثافة العنبر إلى ٦٠ معتقلا، فانخفضت المساحة المخصصة لنوم الواحد منهم على المصطبة الاسمنتية إلى أقل من نصف متر، وكانت حصائر الليف المجدول من سعف النخيل -المعروفة باسم البرش- أتفه من أن تكون حشية حقيقية، وأعجز من أن تحمى أجسادهم من الرطوبة التى يشعها الاسمنت، أما الغطاء- وهو بطانية مستهلكة -فقد كان أعجز من أن يدفئ أجساما مقرورة، كان محرما على أصحابها، ارتداء الاحذية، أو الملابس الداخلية.

وكان على المقيمين فى «الاوردى» أن يخضعوا لمعاملة ثابتة، تقوم على القسوة المجردة، والعنف المستمر، والإهانة الدائمة والإذلال المتواصل، على امتداد ساعات الليل والنهار وعلى تعاقب الأيام والليالى...

تستيقظ فيكون أول ماتفعله، أن تلف الفراش، وتجلس القرفصاء بجوار الحائط ليفرى البرد عظامك. يفتح باب العنبر ليدخل السجانة وجنود من الكتيبة التى تحرس السجن، وعلى رأسهم أحد الضباط، فيجدونك واقفا ووجهك إلى الحائط. وما أن يصيح «عبد اللطيف رشدى» أو «يونس مرعى» أو «مرجان»: لف للتفتيش. فقد كان فالواجب عليك أن تحنى رأسك، وتدور حول نفسك بينما الضرب بجريد النخيل ينهال عليك، فيصيب رأسك أو كتفك أو أحد أجنابك، وهى طريقة مبتكرة، هدفها تخفيف العناء على أسيادك الجلادين، فلا يدورون حولك لكى يضربوك، بل تدور أمامهم حول نفسك، لكى يشرفك شومهم المقدس بضرباته، وهم ثابتون حيث هم.

فى الخطوة التالية تخرج لطابور الرياضة، وتنتظم مع زملائك فى صفوف أربعة، لتجرى حول سور الأوردى نصف ساعة، تمر خلالها على أسيادك ليضربوك بشومهم الشريف، قبل أن يصدر إليك الأمر بالقيام بتمرين من تمارين الرياضة العنيفة، فتمد جسدك مرتكزا على أصابع قدميك ويديك، ثم تهبط بجسمك حتى يلاصق صدرك الأرض، وتعود إلى الارتفاع مستندا على ذراعيك، وسوف يتركونك تكرر هذا التمرين عشر مرات وعشرين وخمسين، وينسونك، لتواصل التمرن على العذاب، إذ لو توقفت فسوف تلعق السياط، ويصطخب الشوم.

أما طقس الختام فى طابور الرياضة القاتل ذاك، فهو تمرين الزحف المقدس، فتجلس القرفصاء معتمداً على أصابع قدميك، وكفاك مشبكتان بخصرك، لتقطع الفناء جيئة وذهاباً عشرمرات، والعصى تطاردك، لأنك لاتتحمس لذلك الزحف المقدس، الذى ابتكر خيال حسن منير الركيك ليسخر به من الزحف الذى نقل ماوتسى تونغ وملايين من أنصاره عبر آلاف الأميال من شمال الصين إلى جنوبها.

وعندما يحين وقت الأفطار، فسوف تجد «الأروانة» مصفوفا بجوار باب السجن، فإذا ماانطلقت الصفارة، فعليك أن تعدو والعصى تطاردك، لتخطف لك «أروانه» بها قطعة جبن مقددة، أو قليل من العسل الأسود، الذى يختلط طعمه، بطعم الخل..

ثم يأتى أوان الخروج إلى الجبل، فرغم أنك معتقل، أو مجرد محبوس احتياطى على ذمة قضية لم يصدر فيها حكم بعد، فذلك أمر لايهمهم، لأن القانون موضوع معك فى الزنزانة ويضرب هو الآخر بالسوط، ولذلك فأنت مطالب بأن تخرج حافياً، لكى تقطع كيلو مترين ونصفا على قدميك، وأنت تحمل كتلة ضخمة من الحجر الجيرى، لتسلمها إلى ورشة تتولى شطفها لتصلح للبناء.. أما بعد ذلك، فإن الحظوظ تختلف بين العنابر، إذ يكون على بعضها أن يعمل على التراب، فينقل كمية ضخمة من الأتربة، صنعت خلال أسابيع سوراً طوله مائتا متر، وارتفاعه خمسة، وعرضه سبعة أمتار، ليفصل بين المكان المخصص فى الجبل للمعتقلين، والمكان الذى يعمل فيه آلاف من نزلاء الليمان.. ويكون على العنبر الآخر أن يعمل على الدبورة، فيهبط بأقدامه العارية إلى حفرة هائلة فى باطن الارض، وإلى عمق يصل إلى ٣٥ متراً، ليقوم بتحطيم أحجار البازلت القاسية، وهو فى مرمى نيران المدافع الرشاشة التى تطل عليه من خلال منصات أقيمت على أركان فوهة الحفرة، حتى لاتهرب من الجحيم، أما القسم الثالث، فسوف يكون عليه أن يكسر الأحجار التى حطمها المعذبون فى باطن الحوت، إلى قطع صغيرة، ليسهل طحنها وتحويلها إلى المواد التى تسفلت بها الشوارع.

سوف تفعل ذلك فى المطر والبرد وفى الحر والشرد، وسوف تفعله بقانون المسخرين، فسواء كنت صحيحاً أو مريضاً، فعليك أن تقوم بعمل لايقل عن ثمانية مقاطف من التراب أوالبازلت الذى يقطع أو يفتت، وفى صعودك أو هبوطك، وفى مرورك أو سكونك، فسوف يكرم الشوم جسدك، وتشرفه السياط، ذلك أن «قانون الأوردى» يتكون من مادة واحدة، نصها «طأطئ رأسك»، فأنت مطالب فى كل وقت، بألاّ ترفع عينيك فى شئ أو أحد، وقدرك فى لوح الأوردى المحفوظ هو أن تتراجع فى سلم التطور، من كائن مستقيم الظهر ينتمى إلى الفقريات العليا، إلى كائن مقوس الظهر محنى الرأس ينتمى إلى الفقريات الدنيا، لذلك فأنت مأمور بأن تنفذ كل شئ ورأسك إلى الأرض، ومقهور على أن يمر عليك كل زمن دون أن ترفع قامتك.

يطاردك قدر الانحناء الوطنى فى تفتيش الصباح، وفى طابور الرياضة، وأثناء العمل فى الجبل، وحين يتواضع آلهة الأوردى، فيخاطبونك بعبارتهم الشريفة، ونطقهم الكريم «ياولد يابقرة كلنا»، فعليك أن تحث الخطو- وأنت محنى القامة- وتقف بين أيديهم ذليلاً، كما يتوجب على عبد لا اسم له، ولكنه مجرد رقم كتب بالبوية السوداء على ملابسك الممزقة، وسواء كان المنادى سجانا أو صولاً أو ضابطاً أو مأموراً، فأنت مأمور بألا تخاطبهم إلا بلفظ الجلالة: ياأفندم!

فإذا ما استدعاك الرائد حسن منير- مأمور الأوردى- فى ذلك الصباح الممطر القارص البرودة- أول يناير ١٩٦٠- ضمن الأولاد من نمرة واحد إلى نمرة ١٥- وأصدر إليك أمره المجنون، بأن تنزح مياه الأمطار الكثيفة التى تجمعت فى بحيرة أمام مكتبه، بكوز صفيحى صغير، لتلقى بها فى قناة شقت على جانب الطريق لتروى أحواض الزهور المحيطة بمدخل الأوردى، حيث تجرى طقوس التشريفة، فسوف يقنعك الشوم بالامتثال لأحكام القدر السادى المجنون، وسوف تظل على إمتداد سبع ساعات تتلقى المطر الغزير على جسدك شبه العارى، وتخوض- بأقدامك الحافية- فى بحيراته، نازحاً مابها من ماء بكوزك الصفيحى الصغير، إلى القناة، فلا البحيرات تجف ولا المطر يتوقف، أما الشيطان، فهو يطل عليك من خلف زجاج مكتبه المحكم الإغلاق، يشرب شاياً ساخناً، ويدخن، وبين اقدامه مدفأة كهربائية، لكنه لايضن عليك بكلمات تشجيع يقولها إذا ما انقطع المطر، فيخرج إلى الشرفة، ليتابع العمل ثم يهز رأسه راضياً، وهو يقول: - براڤو... ياولاد...

قدر الانحناء الوطنى فى لوح الأوردى المحفوظ، يفرض عليك أن تنفذ الأوامر دون أن تتبرم أو تشكو أو تعترض أو تطالب، فإذا ما استقبلك «الصول مطاوع» وزبانيته

شهدى عطيه

يوما، وأنت عائد من الجبل، بطريحة من الشوم أصابت واحدة منها كليتك اليسرى، وسألك حسن منير عن طلباتك، فطلبت علاجاً لكليتك المصابة،فسوف يأمر الصول بأن يصفعك على قفاك خمسين صفعة، كنوع من العلاج لألم كلتيك، يقوم على تذكرة حسن منير الطبية التى تقول بأن توزيع الألم على أجزاء الجسم كفيل بأحداث نوع من التعادل، ينهيه تماما، ويذهب بأثره!!.

٢١

سيبدو تعذيب الشيوعيين المصريين في الأوردى، بعد كل تلك السنوات، كما بدا وقتذاك، عملية عبثية تماما... إذ لم يكن لدى من يقومون به أى مبرر عملى من أى نوع يدعوهم للتفنن فى أساليبه، والتجديد فيها، ومواصلتها بتلك القسوة المجردة، وذلك التوحش المجنون..

لم يكن هدفهم هو الضغط على الشيوعيين للحصول على معلومات حول تنظيماتهم السرية، لصد خطر ماحق قد تتعرض له الدولة أو النظام من استمرار هذه التنظيمات فى العمل، إذ كان معروفاً عن الشيوعيين المصريين،أنهم لايستخدمون السلاح فى مقاومتهم للنظم التى يعارضونها، ولايمارسون مايوصف عادة بأنه إرهاب، كما كان الظن الشائع عن الاخوان المسلمين، أو غيرها من التيارات المعارضة، كما أنه كان شائعاً عنهم، أنهم يأخذون بقاعدة الدفاع السياسى، وهى تقضى بأن يعترف من تتوفر منهم ضده أدلة أتهام قانونية بعضوية الحزب ويشرح خطه السياسى، ويدافع عنه أمام سلطات الاتهام والتحقيق والمحاكمة.

ومع أن قاعدة «الدفاع السياسى» لم تكن تبيح للعضو الحق فى أن يعترف بتفاصيل أخرى تضر أمن التنظيم أو تكشف عن أسراره، إلا أن الحصول على هذه الأسرار، لم يكن الهدف من التعذيب الذى وقع فى الأوردى، فمن ناحية، كانت معظم أسرار التنظيمات الشيوعية، قد افتضحت، ووصلت إلى أجهزة الأمن، خلال سنوات التحالف مع عبد الناصر بين ١٩٥٥-١٩٥٨، عندما كانت هذه التنظيمات تنشط بشكل شبه علنى، وعلى إثر مفاوضات الوحدة بينها، التى دفعت كل تنظيم إلى تقديم بيان بأسماء كل كوادره، للدمج بينها فى المستويات المتناظرة، وهو ما أتاح للعناصر البوليسية التى كانت مندسة داخل تلك التنظيمات، مزيداً من الحركة الحرة، كشفت لهم كثيراً من أسرارها وخباياها.. ثم تكفل الخلاف العلنى الذى حدث داخل الحزب الشيوعى الواحد، إلى كشف بقية الأسرار..

بل إن توقيت افتتاح الأوردى ذاته، تكشف عن أن الحصول على المعلومات لم يكن الهدف من التعذيب الذى جرى فيه، فقد افتتح فى ٨ نوفمبر ١٩٥٩، وبعد انتهاء محاكمة المتهمين فى القضية الأولى من قضايا حملة يناير ١٩٥٩،- وهى قضية الحزب الشيوعى المصرى الواحد، التى كان المتهم الأول فيها الدكتور فؤاد مرسى-، وكان المتهمون فى هذه القضية - وعددهم ٦٣ متهما- هم أولى الدفعات التى جرت عليهم تشريفة الأوردى...

ولو كان الهدف من التعذيب، هو الحصول على معلومات، لجرى قبل المحاكمة لا بعدها، ولنقل المتهمون فى القضية الثانية-، التى عرفت باسم قضية حدتو،- وكان المتهم الأول فيها هو شهدى عطية الشافعى- إلى الأوردى لتعذيبهم للحصول على هذه المعلومات منهم، ولكنهم نقلوا من الواحات إلى سجن القناطر، حيث ظلوا يقيمون به، إلى أن انتهت محاكمة زملائهم بالاسكندرية، ثم رحلوا إليها ليحاكموا هم أيضا.. ولم يتقرر نقلهم الى الأوردى إلا بعد انتهاء المحاكمةالأوردى.....

ولم يكن الهدف من التعذيب فى الأوردى، هو معاقبة الشيوعيين المتشددين، كما بدا ظاهرياً عندما اختيرت مجموعة الحزب لتفتتحه، إذ سرعان ما اقتيد إليه خلال الشهور التسعة التالية، عشرات من المعتقلين الأعضاء فى مجموعة «حدتو»،

الذين لم يشملهم قرار الاتهام في قضيتها، مع أن «حدتو» كانت موصوفه بالاعتدال في نظرتها إلى حكم عبد الناصر، بل وكانت دعوتها إلى تغليب وجه التحالف معه- باعتباره حكماً وطنياً معادياً للاستعمار- على أي تناقض ثانوي معه، حتى ذلك الذي يتعلق بالحريات الديمقراطية، هي أحد أهم الأسباب المعلنه لانسحابها من الحزب الشيوعي الواحد الذي أعلن ٨ يناير ١٩٥٨....

وفضلاً عن ذلك، فإن الخلاف بين الشيوعيين الموصوفين بالتشددوالشيوعيين الموصوفين بالاعتدال، كان يدور ، حول أمور ليس من بينها رفض التحالف مع عبد الناصر، أو عدم الاعتراف بوطنية نظامة.

لم يكن الهدف من عملية الأوردي إذن هو الحصول على المعلومات، ولم يكن دفع المتشددين إلى الاعتدال، بل كان الهدف الرئيسي منه، هو تحطيم ذاتية الشيوعيين، وتصفية اعتدادهم الشخصي والسياسي والايديولوجي بأنفسهم، بتطويع إرادتهم الصلبة- عبر التعذيب والتجويع والإذلال- لتنفيذ كل ماهو عبثي ولامعقول وجنوني من الأوامر والتعليمات، وإشعارهم- بالعزل الكامل في المنافي القريبة والبعيدة- بأنهم جنرالات بلاجنود، ومهاجرون بلا أنصار وسبايا بلا حقوق من أي نوع، ليتنازلوا عن حقوقهم في التدخل في شئون وطنهم، أو إبداء رأي في سياساته، فيتحولون من «مواطنين» إلى «رعايا»، ومن «جماعة» إلى «أفراد». وكان الظن السائد - آنذاك- أن الشيوعيين هم الجماعة السياسية المصرية الوحيدة، التي ماتزال تحتفظ بكيانها التنظيمي ونشاطها السياسي المستقل، بعد أن انفرط عقد الاحزاب التقليدية التي كانت قائمة قبل الثورة، وفي مقدمتها «حزب الوفد»، وانفرط عقد التيارات الجديدة التي اشتد عودها بعد الحرب العالمية الثانية، وفي مقدمتها «الاخوان المسلمون».. ومصر الفتاة». لذلك تكثف العذاب عليهم، باعتبار أن فرط عقدهم، يحقق للعسكرتاريا التي تقود حركة التحرر الوطني، هدفها في دمج الكل في واحد، يقود الوطن إلى تحقيق أهدافه، بلاخلاف في الرأي، أو تردد في اتخاذ القرار..

وكان أخطر ماحدث خلال سنوات العذاب تلك، أن الشيوعيين المصريين، رغم صلابتهم الشخصية والسياسية النادرة المثال، عجزوا عن فهم هذا الهدف، ولهذا اختلفوا في تقييمه، إلى حد الصراع فيما بينهم وهو يتلقون سياط العذاب، ويشربونه كئوساً وأباريق. فقد ذهب المعتدلون إلى تفسير عملية الأوردي بأنها رد فعل مباشر لتطرف المتشددين، الذي قوّى من نفوذ الجناح اليميني في حكم عبد الناصر، وهو تحليل دفعهم إلى رفع شعار «التمايز السياسي عن المتشددين» ،فقادهم إلى خنوع لايليق لقدر الأوردي الظالم، فت في عضد مقاومتهم لما كان يجري عليهم فيه بينما دفع العذاب المتشددين إلى مزيد من التشدد، وأعادهم ذهنيا وروحيا إلى أجواء التحليل القائل بأن حكم عبد الناصر يمثل فاشية عسكرية، لن تتورع عن اغتيالهم وتصفيتهم بدنيا لو قاوموا قدر الأوردي.. وبهذا تأخرت المقاومة أطول مما كان ينبغي..

وكان لابد وأن يسقط شهدي عطية الشافعي في تشريفة الأوردي الأخيرة، ليدرك الجميع،أن ماكان يدور في الأوردي لم يكن يجري دون علم عبد الناصر، بل كان يتم بأمر منه، وكان الموت هو الخط الأحمر الذي أعطى عبد الناصر رجاله تعليمات بعدم تجاوزه، ذلك أن خطة الأوردي، كانت تقضي بإبقاء العهدة حية، أي تكهينها دون إعدامها ليظل للحكم بريقه كحكم وطني، ومتحضر، وحتى لاتستغل الدعاية المضادة الموت كدليل على التعذيب.

والواقع أن شهدي قتل بعد الأوان. صحيح أن قتلته قد أوقفت التعذيب، ولكن العهدة كانت قد تكهنت فعلاً

٢٢

قبل نصف ساعة من منتصف ليلة الأربعاء ١٥ يونيو ١٩٦٠، تحركت من «سجن الحدرة» بالاسكندرية، إلى «ليمان أبي زعبل» على مشارف القاهرة قافلة من سيارات مصلحة السجون، تضم المتهمين السبعة والأربعين في قضية الحزب الشيوعي المصري، (فريق حدتو)، الذين كان المجلس العسكري العالي، برئاسة الفريق «هلال عبد الله هلال»- وعضوية العميد (أ.ح) «يحيى أحمد فؤاد» والعقيد «أحمد فهمي طويله»- قد انتهى من محاكمتهم في الثاني من الشهر نفسه، وحجز القضية للحكم.

كانت القافلة تضم عدة سيارات على شكل زنازين، أودع داخلها المتهمون، بينما وزع الضباط المشرفون عليها أنفسهم على كبائن القيادة، ومن بينهم العقيد «محمد عبد النبي الحلواني»- ٤٥ سنه- مأمور «سجن الحدره» ، الذي اختار أن يصاحب الترحيلة، ليحل بعض المشاكل الإدارية الخاصة بالمرحلين، ولينهي أعمالاً أخرى في مصلحة السجون، بدلاً من الأنتقال إلى القاهرة باستمارات سفر أميرية على حساب المصلحة.

كان المعتقلون السبعة والأربعون، قد نقلوا إلى سجن الحدره، ومعهم أبراشاً وبطاطين جاءوا بها معهم من سجن القناطر الخيرية، حيث كانوا يقيمون به قبل نقلهم إلى الاسكندرية، وكان لابد من إقناع إدارة ليمان أبو زعبل بقبول دخولهم بها أولاً، ثم بنقلها- دفتريا- من عهدة سجن الحدرة إلى عهدة الليمان ثانيا، وثالثا- وأخيراً- خصمها من عهدة سجن القناطر.

وسوف يبدو حرص «العقيد الحلواني» على الاطمئنان إلى دقة دفاتر العهدة المصلحية ، وإخلاء مسئوليته عن أبراش وبطاطين سجن القناطر الخيرية، باعث على السخرية في ضوء ماتلا ذلك من أحداث الأربعاء الدامي.. والغالب أن الرجل أراد أن يجامل اللواء «اسماعيل همت»، وكيل مصلحة السجون، والنجم اللامع في سماء المصلحة، باعتباره- كما وصف نفسه بعد ذلك- «المهيمن على كل مايتعلق بشئون المسجونين والمعتقلين الشيوعيين في المصلحة»، في تلك السنوات التي كانت المركزة ضدهم هي أساس الصعود في مدارج الرقي.. فاستأذنه في أن يصاحب الترحيلة، ولعله تمنى عليه أن يأذن له بالحضور معها ليشاهد بنفسه، واحدة من ابتكارات الوكيل الصاعد، في التعامل مع المسجونين، وهي «تشريفة الاستقبال»، وتلك أمنية ستكبد الرجل بعد ذلك قلقاً على مستقبله، وستدفعه إلى ذعر يتنكب به السبل.

لم يبق خبر ترحيل المتهمين في قضية «حدتو» سراً على المعنيين به.. ففي اليوم السابق لوصولهم، أخطر «اللواء همت» إدارة ليمان أبو زعبل بموعد وصولهم بخطاب عاجل.. ولأن مدير الليمان كان في أجازة، فإن القائم بعمله- وهو المقدم «زغلول عطيه شلبي»، مأمور أول الليمان- قد أحال الخطاب إلى الرائد «حسن منير» مأمور الاوردي للاختصاص، لمنع أن الأوردي كان تابعا لمنطقة سجون أبو زعبل، إلا أن تلك التبعية كانت قاصرة على تموينه باحتياجاته من الخبز والطعام والأدوات، ومن الحرس والسجانه، طبقا لأمر عسكري رقمه ١٤ صدر في عام ١٩٥٦، لينظم العمل في المعتقلات،فأعطى لها شبه استقلال عن «مصلحة السجون»،

وأتاح نفوذاً واسعا عليها للمباحث العامه.

وأخطر الرائد «حسن منير»، النقيب«كمال رشاد» -قائد كتيبة الحراسة الخاصة بالليمان. بالاستعداد بجنوده وضباطه،- لمساعدة قوة الأوردى» ، فى استلام وحراسة المعتقلين، بإعداد كردون يحيط بهم منذ نزولهم من السيارات، وحتى دخولهم إلى «الأوردى»...

ويبدو أن التعليمات والاستعدادات الخاصة باستقبال ومعاملة المعتقلين الجدد ، قد تعالت على الأوردى فى أوقات متفاوتة خلال ذلك النهار ذاته. فقد لاحظ المعتقلون المقيمون فى الأوردى، عقب عودتهم -ظهر ذلك اليوم- من رحلة العمل الشاقة فى محاجر البازلت، وجود كمية ضخمة من جريد النخيل أمام مخزن يقع على يسار الداخل من الباب الرئيسى، ولما كان هذا الجريد معروفا لهم، لكثرة استخدامه فى ضربهم، بعد أن قل استخدام الشوم الذى أسفر استخدامه عن مقتل الدكتور فريد حداد فى تشريفة ٢٨ نوفمبر ١٩٥٩، فقد تبادر إلى ذهنهم على الفور إلى أن الاستعدادات تجرى لتشريفة جديدة، لكنهم لم يتوقعوا أن تكون سريعة، إذ كان اليوم السابق - ١٣ يونيو ١٩٦٠- قد شهد تشريفة لعدد من المعتقلين الذين وصلوا إلى الأوردى قادمين من معتقل الواحات.

وبعد أقل من ساعة على ذلك، تلقوا إشارة أخرى على أن موعد التشريفة الجديدة، قد أصبح وشيكاً ، إذ استدعى النقيب «عبد اللطيف رشدى»، عدداً كبيراً منهم، وقادهم إلى خارج «الأوردى» حيث أمرهم بأن يمهدوا طريقا يصل طوله إلى نصف كيلو متر، يربط بين المعتقل والطريق الذى يقود إلى الليمان، بتسوية بعض مرتفعاته، وسد بعض حفره، وفرشه بالرمال، وبعد عدة ساعات من العمل الشاق، وقرب نهايته، طلبوا إليهم أن يرسموا -بالجير الأبيض- حدودا للطريق، وأن يحددوا منحدراته ومنعطفاته بأسهم كبيرة.. وآنئذ أدركوا أن سيارات ما ستأتى ليلاً إلى الأوردى، وأنها لابد وأن تكون محملة بمعتقلين جدد..

وعندما غربت الشمس بعد السابعة، لم يكن العمل فى الطريق قد انتهى فحسب، بل وكان «تمام المساء» قد أجرى كذلك: أحصى سجان كل عنبر ما به من معتقلين، وأغلق عليهم أبواب العنبر، وسلم مفتاحه إلى الضابط النوبتجى، ووصل خفراء الليل الثلاثة المسئولون عن حراسة المعتقل إلى أن يعود السجانة فى الصباح..

وقبل أن ينصرف السجانة إلى بيوتهم فى عزبة السجانة القريبة من الليمان، صدرت إليهم التعليمات بأن يعودوا فى الثالثة فجراً ، بدلاً من موعدهم العادى فى السابعة صباحاً، وبذا تأكد أن شحنة المعتقلين الجدد ، ستصل فى موعد مبكر من الصباح..

فى منتصف الليل تماما، فتحت كل العنابر فجأة، وأخلى عنبر ٢ من سكانه الستين، ليوزعوا على العنابر الخمسة الأخرى، فيزيد عدد سكان كل عنبر منها إلى السبعين ، وينقص نصيب الفرد من مساحته إلى أقل من ربع متر، حتى أصبح النوم على الظهر حلما تضن به المساحة، وساد الارتباك فى كل عنابر المعتقل، وساد معه القلق، إذ جاء إخلاء العنبر ليشير الى أن الشحنة القادمة يجمعها شئ مشترك ، دفع إلى اتخاذ قرار بتسكينها فى عنبر خاص بها ، بدلاً من توزيعها على العنابر، وهو ما رجح الظن بأن القادمين هم المتهمين فى قضية «حدتو» ، الذين كان معروفاً أن محاكمتهم فى الاسكندرية قد أوشكت على نهايتها..

٢٣

قطعت العرحيلة المسافة بين سجن الحدره، وأوردى أبو زعبل، خلال أكثر من خمس ساعات، فقد توقفت فى الطريق عند ايتاى البارود ، لكى تتزود بالوقود ، وتوقفت فى القناطر الخيرية لتترك فى سجنها ، سبعة من المتهمين، شاء حسن حظهم ألا يقعوا بين براثن

سلطات الأمن، إلا بعد أسابيع من حمله أول يناير ١٩٥٩، فلم تشملهم قرارات الإعتقال التي صدرت في ذلك اليوم، وظلوا- من الناحية القانونية الشكلية-محبوسين احتياطيا فقط، بينما كان الآخرون محبوسين احتياطيا ومعتقلين في الوقت نفسه، وقد حمى ذلك هؤلاء المحظوظون السبعة، من شهود تشريفة الحليف الوطني في طبعتها الأخيرة: طبعة الاربعاء الدامي...

في الخامسة وصلت القافلة إلى مدخل منطقة سجون أبو زعبل، وتوقفت هناك قليلاً، لينهي العقيد «محمد عبد النبي الحلواني» مشكلة الأبراش والبطاطين التي كانت تزعجه، ثم واصلت صعودها في اتجاه الأوردي، على مبعدة ثلاثة كيلو مترات، دون حاجة إلى اتباع العلامات البيضاء التي تحدد الطريق، فمع أن الشمس لم تكن قد أشرقت بعد، إلا أن الظلام كان قد رحل، وبهذا لم تكن القافلة في حاجة إلا إلى تلك العلامات التي كانت قد وضعت من قبل خلف مبنى مخازن الأوردي الخارجية، لتحدد مكان إنزال المعتقلين، وهكذا دلفت السيارة إلى يمين القنطاس الذي يغذي الأوردي بالمياه، لتنزل حمولتها في أرض خالية وواسعة مليئة بالحفر تقع على مبعدة ٣٠٠ متر من الباب الرئيسي للمعتقل وفي مكان لايتيح للمعتقلين الأربعين، رؤية ساحة المعركة القادمة..

وطبقا لمخطط الحركة التي ظلت الاتصالات تدور بشأنه طوال اليوم السابق، بين مخرج العرض اللواء اسماعيل همت، ومخرجه التنفيذي الرائد حسن منير، فقد صدرت الأوامر للمعتقلين الأربعين، بمجرد نزولهم من السيارة، بأن يصطفوا في عشرة صفوف، كل أربعة في صف، وأن يجلسوا القرفصاء، اعتماداً على أصابع أقدامهم، وأن يضعوا أيديهم على ركبهم، وينظروا إلى الأرض، إلى حيث وضع كل منهم أمامه، المتاع الذي كان قد جاء به من سجن «الحدرة»: البطانية.. والبرش.. وربما قليل من الطعام المعلب، الذي كان قد اشتراه من كانتين السجن، أو احتفظ به مما بقي من زيارات أسرته له، إبان جلسات المحاكمة.

في تلك اللحظة، أحاط بهم عدد من جنود كتيبة الحراسة، بينهم فريق من السواري راكبي الخيول، يضم ضابطان، هما قائد الكتيبة النقيب «كمال رشاد»، وأحد ضباطها وهو الملازم أول «عبد الفتاح مندي خاطر».. فضلا عن ثلاثة آخرين من جنودها، أما بقية الجنود، فكانوا يوجهون فوهات بنادقهم في اتجاه المعتقلين الجالسين القرفصاء على أطراف أنامل أقدامهم..

استمرت الجلسة على هذا النحو حوالي ساعتين، كانت التعليمات تقضي خلالها بألا يرفع أحدهم رأسه، أو يتكلم، أو يهمس أويضحك، أو تهتز أو يغير من وضعه، وألا ينزل على الأرض بكعب قدمه لكي يستريح من ألم ضغط جسمه على أنامل قدميه، فإذا مافعل- وكان لابد وأن يفعل لأن ألم الجلسة على هذا النحو لم يكن يطاق- تنهال قحوف الجريد على ظهره، وعلى كتفيه عنيفة ومجنونة، وهي مهمة كان يتولاها عدد من سجاني الأوردي، بقيادة النقيب «مرجان اسحاق مرجان» ويعاونه في أدائها النقيب «كمال رشاد» قائد الكتيبة، والملازم أول «عبد الفتاح مندي خاطر» أحد ضباطها.

خلال ذلك الوقت كان اثنان من الموظفين الإداريين بالمعتقل، هما «منصور هندي» و«عبد الرحيم عطا» قد تسلما من ضباط الترحيلة، الأحراز الخاصة بالمعتقلين، وهي تضم الأشياء الثمينة - مثل الساعات والخواتم وأقلام الحبر- وكانت موضوعة جميعها في كيس من القماش، وعلى كل منها اسم صاحبها.. وبعد أن طابقاها على الكشف الوارد من سجن «الحدرة» ووقعا باستلامها، أودعاها في مخزن للأحراز داخل مبنى الأوردي، ثم انتقلا إلى مخزن آخر مجاور له، حيث قاما بإعادة ترتيب محتوياته ليخليا مكانا للملابس الملكية التي كان يرتديها المعتقلون، والتي كان مقرراً أن يخلعوها ليرتدوا- بدلا منها- ملابس المعتقل.

وخلال وجودهما داخل الأوردي- وقبل السابعة بقليل- دخل إلى فنائه الرائد «حسن منير» وبصحبته «العقيد الحلواني»، وضابط آخر يرتدي ملابس ملكية هو الرائد «صلاح طه»، مدير الشئون العامة بمصلحة السجون. حيث قام السجانة- تحت إشرافهم- بإجراء تمام الصباح، وإحصاء المعتقلين المقيمين في عنابر الأوردي الخمسة، بعد حركة التنقلات التي حدثت في منتصف الليل..

وعلى عكس ماكان يحدث كل يوم، فقد انتهى التمام بعدد أقل من المعتاد من الركلات وضربات القحوف، والصفعات، ولم يؤمروا - بعد انتهائه- بالتقدم نحو الجبل، بل أمروا بالعودة إلى العنابر، فأدركوا أن خروجهم للجبل، قد أجل إلى أن تنتهي التشريفة.

وكان آخر من دخل إلى العنبر في ذلك الصباح، هو «محمود المستكاوي»-وكان وكيلاً سابقا لسجن مصر- الذي استبقاه الرائد «حسن منير»، وأمره بأن يركع على الأرض كما لو كان يصلي، ليصبح ظهره هدفا مريحاً لضربات عصا من جريد النخيل انهال بها عليه أحد السجانة، وبينما «العقيد الحلواني» يتابع المشهد بإعجاب شديد، كان مأمور الأوردي، يفسر له الأمر، قائلاً إن «المستكاوي» لم يضرب بما فيه الكفاية، أثناء تشريفة الاستقبال التي جرت له، ولعدد من زملائه، القادمين من الواحات قبل يومين، وأن المساواة بين المعتقلين في عدد مايتلقونه من ضربات واجب لايستطيع ضميره التخلي عنه.

ودخل «المستكاوي» العنبر ليجد جميع زملائه يقفون ووجوههم إلى الحائط وقد رفعوا أذرعتهم إلى أعلى، تنفيذا للأمر المشدد الذي أصدره لهم السجانة.. وقد التزموا الصمت التام، خوفا من عواقب ضبطهم وهم يخالفون الأوامر، في يوم بدا فيه أن شهية الجلادين للضرب في ذروتها.

حط الصمت على فناء الأوردي، ولم يعد أحد من المقيمين فيه، يسمع شيئا مما يجري في الخارج ومع أن «عبد العزيز الصباغ» و«عبد الحميد فريدي» كانا يقيمان وحدهما -بسبب مرضهما- في زنزانة للملاحظة الطبية تقع على مسافة لاتزيد عن عشرة أمتار من الباب الرئيسي، إلا انهما لم يستطيعا -مع ذلك- أن يريا شيئا مما يجري بالقرب منهما، رغم تكرار اختلاسهما للنظر، من ذلك الثقب المستدير الذي يتوسط باب الزنزانة، ليتيح للحارس الواقف خارجها، ملاحظة مايجري فيها...

وحين خدش الصمت فجأة، صوت البروجي المميز، الدال على وصول ضابط عظيم، لم يساور المعتقلين القدامى شك في أن «اللواء همت» قد وصل، وأن مراسم التشريفة على وشك أن تفتتح، فارتعشت أطرافهم، وتعالت ضربات قلوبهم، وناوشهم ذلك العذاب الذي جربوه قبل ذلك، حين يقفون صامتين عاجزين، يتابعون بأسماعهم، أصوات الضربات والصفعات، وصرخات الألم والاستنجاد، ولهاث الفرار من القدر، حيث لامهرب من العذاب.. ليتأكد لهم -مع كل تشريفة جديدة- أن هناك ماهو أقسى تعذيباً وأكثر ألما مما يجري فيها، هو وقفتهم تلك، يتابعون بآذانهم عذاب رفاق لهم، وقعوا في مصيدة الجلادين. فالذين يتلقون الضربات، يشحذون- برد الفعل الغريزي لحماية النفس- كل قواهم العصبية والجسدية، لكي يقاوموا ماينهال عليهم من عذاب، أما الواقفين في

القتل في تشريفة الحليف الوطني

إستسلام وبلا حيلة، ليسمعوا هتاف المعلمين، فإن الضربات تسقط على قلوبهم وأرواحهم، فلا تجد ساترا يصد، أو درعا يخفف..

بوصول اللواء «اسماعيل همت»، أنتقل مسرح الأحداث إلى الساحة الخارجية للأوردي، حيث يقع مكتب المأمور، وتمتد أمامه شرفة ترتفع عن سطح الأرض بسبع درجات من حجر البازلت، كان «اللواء همت» يستخدمها عادة كمنصة للعرض فتوسط عقد كبار الضيوف الذين جلسوا إلى جواره في الشرفة، ومنهم «العقيد الحلواني»، بينما كان «الرائد صلاح طه» يتجول بين مكانه في منصة العرض وبين مسرح الأحداث لينقل تعليمات «اللواء همت» إلى المخرج المنفذ، وأبطال العرض.

وقبل دقائق من بدء التشريفة، كانت المشاورات قد أنتهت بوضع اللمسات الأخيرة على العرض، فصدرت الأوامر بإعادة صف المعتقلين الأربعين، بحيث تصبح الصفوف ثلاثية بدلاً من رباعية.. ومع أن ذلك أتاح لهم أن يستريحوا من الألم المضني الذي كان يسري في أجسادهم، بسبب وقوفهم على أنامل أقدامهم لمدة إقتربت من ساعتين، إلا أنه لم يوقف الضرب الذي كان مستمراً منذ وصولهم.. ثم أنهم سرعان ما عادوا إلى تحميل أجسادهم على أنامل الأقدام والنظر إلى الأرض، حيث تواصل الضرب لمجرد الاهتزاز، أو تحريك الرأس للتخفيف من آلام العنق، أو دون سبب على الإطلاق..

فإذا توهمت -مثل أحمد الرفاعي- أن باستطاعتك أن يجد مبرراً للتخفيف من ذلك العذاب، فشكوت إلى الملازم «عبد الفتاح مندي خاطر»، بأنك قد أجريت عملية بواسير، وتريد أن تجلس، فسوف يرد عليك.

-أنا ح أفتحها لك مخصوص..

ثم يتناوب هو والنقيب مرجان ضربك بالشلاليت.

وبعد عملية إعادة الصف تلك، وجد «شهدي عطية الشافعي» نفسه في الصف السابع، يتوسط زميليه «نور الدين سليمان جاسر» و«سعد الدين عبد المتعال»، في الصف السادس كان يجلس أمامه ثلاثة عرف منهم «جمال غالي»، أما الصف الثامن فقد عرف من بين أفراده «محمد عباس فهمي» الذي كان يصاحبه في نفس السيارة من الاسكندرية إلى الأوردي..

اتخذ أبطال العرض أماكنهم في الساحة طبقاً لآخر تعليمات المخرج اللواء.

تحت فنطاس المياه، وقفت فرقة السواري المكونة من راكبي الخيول الخمسة، وفي طليعتها الرائد «كمال رشاد» والملازم «عبد الفتاح خاطر»، والجنود الثلاثة، وحولهما عشرة من جنود الكتيبة. بينما انتشر العشرة الآخرون ليشكلوا مع عشرة من سجاني الأوردي، مراكز ثابتة، على مسافات موحدة، تقف على جانبي الطريق الذي يقود إلى باب الأوردي الرئيسي، والذي يصل طوله إلى ٢٥ متراً، ولايتجاوز عرضه، ١٢ متراً، ويحده من جانب جدار الأوردي الخارجي، ومن الجانب الآخر، ثلاثة أحواض زهور، يوازي آخرها مكتب المأمور، الذي كان الجالسون في شرفته يستطيعون رؤية كل التفاصيل التي تجرى على مسرح العمليات.

بالقرب من باب الأوردي الرئيسي، كان كاتبا الأمانات في المعتقل يجلسان إلى منضدتين تفصل بينهما مسافة قصيرة، حيث نيط بأولهما - «عبد الرحيم عطا» - إثبات اسم كل منهم وعمره ومحل إقامته في دفتر الإيراد، أما الثاني - «منصور هندي» - فكانت مهمته إثبات أماناتهم. وعلى مسافة أخرى منهما، يقف اثنان من جنود الكتيبة - هما «عبد المجيد حيدر» و«عبده الزفتاوي» - ومعهما أدوات الحلاقة، استعداداً لإزالة الشعر من رؤوس وأجساد سبايا التشريفة..

وإذ كان الإشراف على المنطقة من مكان جلوس المعتقلين خلف المخزن، منوط بالرائد «مرجان اسحاق مرجان» فقد كان الاشراف على تلك المنطقة القريبة من الباب هو مهمة الرائد «يونس مرعي»، الذي اتخذ لنفسه مكاناً قريباً من بواب «الأوردي»، السجان «عابد محمد عابد».

وعلى مبعدة عشرة أمتار من البوابة إلى الداخل، وبالقرب من غرفة الملاحظة - حيث كان يقيم «عبد العزيز الصباغ» و«عبد المجيد فريدي» - اتخذ النقيب «عبد اللطيف رشدي» موقعه في الخطة، يساعده مجموعة من سجاني الأوردي.، أما الكمين الأخير، فكان قريباً من عنبر(٢)، الذي اختير لإسكان المعتقلين الجدد، وقد تمترس فيه الصول «أحمد مطاوع» واثنان من السجانة هما «عبد الحليم سعد عوض الله» و«عبد الهادي عطية علي»، وضعا أمامهما على الأرض عدداً من أواني الطعام، ليسلموها إلى المعتقل.

وكان على المعتقلين طبقاً لهذا التخطيط الذي وضعه عقل عسكري يخطط لمعركة حربية يريد أن يضمن لنفسه الإنتصار فيها، أن ينطلقوا من مكانهم بالقرب من فنطاس المياه إلى العنبر الذي اختير لإسكانهم، عبر مصيدة بشرية مزودة بعصي من جريد النخيل تحيط بهم من كل جانب، وتحت إشراف دقيق، رتب لكل التفاصيل بحيث يمر الواحد منهم أولاً على الكاتبين فيدون أحدهما اسمه، ويخلع -أمام الثاني- ملابسه، ليدونها في دفتره، ويتسلمه أحد الحلاقين، ليزيل شعر رأسه، قبل أن يسلمه للحلاق الثاني فيزيل شعر عانته، ويتسلم ملابس السجن من البواب، وقبل أن يدخل العنبر يتسلم - على بابه - آنية الطعام، ودلو الماء..

قبل دقائق من رفع الستار، وبينما وجبة الضرب التي سماه النقيب مرجان بـ «فتح الشهية» تتوالى فوق اكتاف وظهور الجالسين القرفصاء، انحنى «العقيد الحلواني» على «اللواء همت»، الذي كان يجلس إلى جواره على المنصة، وهمس في أذنه بشيءٍ، وبعدها بقليل تحرك «الرائد صلاح طه»، من مكانه إلى جوارهما على المنصة، ليسلم النقيب «مرجان» ورقة، نادى بعد قراءتها على أربعة اسماء، هم «سعد الدين أحمد بهجت»، و«عبد الحميد فهمي السحرتي»، و«ابراهيم المانسترلي» و«صنع الله ابراهيم الاورفلي»، وطلب إليهم أن يجلسوا على مسافة قريبة من آخر الصفوف.. وكانت تلك إشارة إلى أن مخرجي العرض، يتوقون الوقوع في خطأ، إذ كان الأولان مريضان، أما الثالث، فقد كان شقيقا لمحمود المانسترلي - الذي كان وكيلا لسجن مصر حين كان «اللواء همت» قائداً له - أما الرابع - الذي اشتهر بعد ذلك كواحد من ألمع الروائيين العرب - فقد كان - ولايزال - ضعيف البنية بشكل دعا للشك في إمكان احتماله للهول القادم.

ماكاد النظام يعود إلى الصفوف الجالسة القرفصاء، بعد إقصاء المرضى إلى المؤخرة، حتى سأل الرائد «صلاح طاهر»:

-فين شهدي عطيه؟!

وما كاد «شهدي» يرد على التساؤل رافعا يده حتى انهالت عليه عصي النقيبين كمال رشاد ومرجان اسحاق والملازم عبد الفتاح خاطر، تطلب إليه أن يجري بسرعة ليكلم اللواء همت باشا.. ومع أن الحركة كانت قد

خففت من الآلام المبرحة التى انتشرت فى انحاء جسده بسبب جلسته المعلّبة، إلا أن العصى انهالت عليه من كل جانب وهى تصرخ.

-وطىّ ياابن الكلب.

وكان لابد وأن يطاطىء رأسه، حتى يتوقى الضربات المجنونة التى تتالت عليه من كل جانب.. وأن يجرى لاهثاً دون أن يرى شيئاً مما أمامه، إذ كانت الضربات التى لاحقته وأحاطت به من كل جانب هى التى توجه قدميه، ولابد أنه وقف أمام الشرفة، ليسأله «اللواء همت»:

-انت شهدى عطية..

ولابد أنه أجاب بالإيجاب، ولابد أن اللواء قال شيئاً، وإلا ماتصاعدت الضربات وصاحبتها الركلات والصفعات، ولابد أن أحداً أمره بأن يجرى، لأنه فعل ذلك فعلاً، ولا أحد يدرى من الذى قاده أخيراً ليعود إلى مكانه فى الصف الثامن، فيجلس القرفصاء، دون أن يعنى بتجفيف الدماء التى كانت تسيل- مع عرقه- على وجهه..

بعودة «شهدى عطية» إلى مكانه، نظر اللواء همت باشا إلى ساعته، فوجدها تقترب من الثامنة، فأعطى الإشارة إلى المخرج المنفذ لبدء مراسم التشريفة..

٢٤

على امتداد الدقائق التالية، لم يعرف أحد ماحدث على وجه الدقة.. كل الذى يذكره شهود الواقعة، هو أضغاث من الهول الذى جرى.. مشاهد مختلطة من لحظات رعب مجنون لاتعرف فيه من أنت ولاماذا يجرى لك، وهل أنت الذى تضرب أم أن الذى يضرب هو الذى يجرى إلى جوارك.. لحظات تبدأ بأن يقف كل صف ليتقدم الثلاثة الذين يكونونه خطوات إلى الأمام، وما أن يغيبوا عن رؤوس زملائهم المحنية إلى الأرض لكى لاترى شيئاً، حتى يجدوا وراءهم اثنان من راكبى الخيول، يتهالان على ظهورهم وأكتافهم بجريد النخيل.

-إجرى يا ابن الكلب.

يجرى ابن الكلب، لكن ذلك لاينجيه من العذاب، إذ هو يتقدم فى طيات العذاب إلى عمق نيران القسوة، تنهشه عصى الوحوش الواقفة فى صفين متقابلين يتناوبان ضربه بجريد النخيل كيفما اختارت العصى التى بلا قلب.. يفسح كل جلاد لنفسه مساحة من جسدك المستباح بلا دفاع.. على الكتف أو فوق الكلية، أما المختال بمهارته فى التصويب، المعجب بطول عصاته فسوف يطول بها إحدى ركبتيك أو كلتيهما، من ظاهرها أو باطنها، وحذار أن تقع كما وقع هذا الذى تذكر أنك تعرفه، وإلا لانهالوا عليك جميعاً يضربون جسدك بمقدمات أحذيتهم الأميرية المدججة بالمسامير كحدوات الخيول التى تطاردك، وتثير حولك الغبار، ليخنقك كما يكاد القيظ أن يزهق أنفاسك، ومن أين يأتى كل هذا العرق، وأنت تكاد تموت ظمأً، والكل يشتم، والكل يضرب.. والكل يزعق..والكل يأمر.. وأعجب شىء، أنك تنفذ أوامرهم، فلابد أن الذى يفعل ذلك هو غيرك، وإلا فكيف تجد عقلا يجدول كل هذه الأوامر ويمتثل لها وينفذها بدقة وسط الهول الذى يحيق بك، وهذه الضربة المجنونة أوشكت أن تصيب رأسك، وهل هذا الذى وقع على الأرض مغمى عليه من هول العذاب هو «شهدى عطية الشافعى»؟.. انه هو..

-فوّق ابن الكلب ده ياحسن!!

الصوت «للواء همت باشا».. والأمر صدر للرائد حسن منير مأمور الأوردى، أما المسحول على الأرض فهو شهدى عطية الشافعى، وهم يغمرونه الآن فى القناة الموازية للباب الرئيسى، وقد تحرك بعض الجالسين على منصة العرض يتابعون العملية. وصلت الآن إلى كمين النقيب يونس مرعى. لانجاة لك من ضربات عصى القاتل المجنون المهرج، لاعب الكرة المعتزل الذى قضى الإدمان على مستقبله الرياضى.. وعليك الآن أن تسجل اسمك وعمرك ووظيفتك فى دفتر إيراد النظام الوطنى الحليف، حيث يجلس عبد الرحيم افندى كاتب المعتقل، أما ملاك الموت الذى يستجوبك الآن، فهو القاتل البهلوان «يونس مرعى»

- اسمك يا ابن الكلب؟.. وظيفتك ياخول؟... عنوانك ياابن الشرموطة.

والغريب أنك تذكر أن لك اسماً...ووظيفة وعنواناً.. ورقماً للمواطنة... مواطن انت فى

شهدى عطية

دولة تشعلك الآن فى معركة النضال من أجل تحرير العالم من القهر الاستعمارى... فلا بد أن الذى يحدث لك الآن ليس قهراً ولاهو عذاباً!!. أو أن الذى يعذبك لاصلة له بهذه الدولة المناضلة ضد القهرومن الذى يصيح: أنا فى عرض عبد الناصر!! ومن الذى يصرخ: حرام عليكم !! والضرب مستمر والغبار خانق.. ولابد أن العذاب قد أوشك على أن ينتهى فقد اقترب الباب الرئيسى.. وأمام «منصور أفندى» عليك أن تخلع ملابسك، لتعود عارياً كما ولدتك أمك.. وكلما خلعت قطعة من ملابسك ازداد الضرب قسوة.. أصبح اللحم عاريا بلا دفاع. تطول العصى أطراف الأعصاب، وتصل حتى إلى كفيك اللتين وضعتهما بين فخذيك خجلاً من عريك لاحياء فى العذاب كما لاحياء فى العلم.

يستحى الناس من الناس.. ولايستحى الناس من الوحوش.

وأعجب شئ أن يد الحلاق ظلت ثابتة فوق رأسك وهو يلتهم بماكينته الصدئة شعرها فكيف استطاعت الرأس أن تتوازن تحت أسنانها بينما العصى تنهش بقية اللحم، فلم تطلك إلا بتلك الجراح التى أدمت وجهك، وهؤلاء المحيطون بك كانوا يجلسون القرفصاء إلى جوارك قبل دقائق، فكيف أحالهم العذاب إلى مسرح حليقة الرأس، تنتشر الكدمات الزرقاء فى أنحاء جلدها العارى، وتنزف الدماء من أسنانها، وتضطرب بحثا عن مفر.. ولامفر..

وهذا الصوت الصارخ هو صوت اللواء همتباشا

- وضب الواد ده حسن.. فوقه فى القنايه ابن القحبه..

ولابد أن الذى يتبادله الجلادون الآن بين اقدامهم، هو «شهدى عطيه الشافعى» بعد أن أغمى عليه... يشوطه لاعب الكرة المعتزل يونس شلبى بمقدمة حذائه.. ويشاركه الآخرون بأحذيتهم فى قسوة بلاحدود. يربط بعضهم قدمية بحبل. يسحبونه على الأرض. يقودنه الى القناة. يلقون بجسده فيها. يفيق من اغمائه. يتوالى الضرب. يقف خائر القوى صامتا دون أن تند عنه آهه ألم. الغبار يتطاير فى أرض المعركة تعود الخيول الى نقطه البدء لتطار صفاً آخر من صفوف الجالسين القرفصاء. تنطلق صفارة من داخل الأوردى، ومعنى هذا أن ميزان العدل المنصوب داخل جنته، قد أنجز محاسبة الصف السابع، أما وقد انطلقت الصفارة، وانتهى الحلاق من إزالة شعر عانتك، فقد جاء أوان عبورك من باب الجنه لتغادر النقطه التى يشرف عليها الجلاد البهلون يونس مرعى ورئيسه حسن منير إلى نقطة أخرى. يشير اللواء همت باشا بعصا الماريشاليه، فترفسك الأقدام لتقف أمام «الشاويش عابد»- بواب الأوردى-. يناولك ملابس السجن ومعها برش. تحاول أن تستر عريك فلا تترك لك الصفعات وقتا لتهتم بحيائك المهدر. تنقلك من الباب لتعلقك لكمات النقيب عبد اللطيف رشدى. يسألك عن اسمك. تجيب. يعاود السؤال وتعاود الإجابة. مع كل علامة استفهام لكمة أو ركلة. وكثيرون يضربون وبكل شيء يضربون. تقع على الأرض. يقف الوحش بأقدامه على ظهرك. يواصل الدوس على لحمك العارى بأقدامه. يسحبونك من قدمك على أرض القناة. أنت شيوعى ياوله. ترد. يضربونك. لاترد. يضربونك. يطاردونك بالشلاليت وقحف النخيل حتى تقف أمام «الصول مطاوع» عند باب العنبر.

يسلمك مساعدوه الأروانه.. ويضربك هو بالعصا. يقول لك: قول أنا مرّه ثم يدفعك لتجد نفسك داخل العنبر.

٢٥

كان قد مضى على بدء العشريفة اكثر من ساعة ونصف الساعة، والمعتقلون القدامى بالأوردى، يتابعون بأسماعهم مايجرى لزملائهم الداخلين إلى بطن الحوت.. خلف باب المعتقل وأمام غرفة الملاحظة كان النقيب «عبد اللطيف رشدى» يقف ليكون فى استقبال القادمين، وهو ما أتاح لكل من «عبد الحميد هريدى» و «عبد العزيز الصباغ»- المقيمين بها -فرصة لسماع مايجرى.. واستطاع آخرون من المقيمين فى عنبر ٤ الذى تواجه نوافذه الشمالية زنزانه الملاحظة الاستماع الى جزء آخر.. أما المقيمين فى عنبر ٣ المجاور للعنبر الذى اختير لإقامة القادمين، فقد كان فى استطاعتهم أن يلتقطوا المسمع الأخير للتشريفة، إذ كان الصول أحمد مطاوع يقف هناك على باب العنبر ليكون آخر من يستقبل القادمين .

ومن مكان ليس بعيداً، كان صوت «الرائد حسن منير» يتتبع بعض المعتقلين بتعليماته:

-إدى له تانى ياعبد السلام.

- الواد ده عايز ياخد كمان فوق دماغه..

فى حوالى التاسعة ، كان نصف القادمين من سجن الحدره قد نالوا حظهم من التكريم.. حين دفعت عصاة الرائد «حسن منير»، «شهدى عطيه» إلى حيث النقطة التى يشرف عليها النقيب عبد اللطيف رشدى ليستقبله بلكمة قوية فوق فكه كما يليق بملاكم جبان لاينازل إلا فى الحلبات الخالية..

- اسمك يا ابن الكلب؟.

- شهدى.

-شهدى إيه؟..

-شهدى

من بعيد جاء صوت الرائد حسن منير

- الواد ده عامل علم ابن الشرموطه.. ربيه ياعبد اللطيف..

مع إيقاع الضربات، أمره عبد اللطيف رشدى بأن يركع، وانهال على ظهره بعصاته المميزة، المزودة بجرء من قحف النخيل.. وهو يصيح: أنت شيوعى؟! من مكمنه فى غرفة الملاحظة سمع عبد الحميد هريدى صوت عبد اللطيف رشدى يقول: اقردوه واضربوه... ايقاع الضربات ويتوالى.. ولهاث الضاربين يتصاعد.. ولاصوت يصدر عن الضحيه.

وعاد عبد اللطيف رشدي يقول: قومره ومشوه. صوت سجان يقول: شمال.. يمين. أختلس «عبد الحميد هريدي» نظرة من نظارة باب الملاحظة فشاهد شهدي عطية عاريا تماما من الملابس، وهو يسير بخطوة يحاول جاهداً أن يجعلها خطوة عسكرية منتظمة.

لكن ساقيه التفتا ووقع- أمام باب الملاحظة- فسمع هريدي دوي سقوطه.. قال عبد اللطيف رشدي: انت بتقع؟! .. اديني كتفه. توالت الضربات على عظمة الكتف. تحامل شهدي عطيه على نفسه وقام مرة أخرى شمال يمين. شمال يمين. ابتعدت الأصوات عن المقيمين في غرفة الملاحظة، اقتربت من اسماع المقيمين في عنبر ٤ وكان من بينهم «صبحي رياض» ثم توسطت عنبري ٣و١ حيث يقيم الدكتور عبد العظيم أنيس والدكتور اسماعيل صبري عبد الله، اللذين سمعا صوت سقوط جسم على الأرض.. تبعه صوت الرائد «حسن منير» يقول من بعيد: لو وقع الواد ده تاني .. افتح لي قرنه. توالى الضرب.. وعاد صوت حسن منير يقول: اقلبه ياعبد اللطيف على بطنه.. دا لازم ينضرب ربع ساعة تاني. وبعد لحظة صمت.. تسلل إلى آذان عبد العظيم أنيس واسماعيل صبري عبد الله، صوت يقول: فين أمين التمرجي؟. إدي له حقنه ياأمين .. قال أمين: أعطيته يابيه. إعطيه كمان.. ثم بعد لحظة صمت طويلة قال أمين: ده مات يا أفندي!

* * *

فيما بعد قال الدكتور «أحمد محمد توفيق»- الطبيب الشرعي بدار فحص الموتى-، في تقريره عن تشريح جثة «شهدى عطيه الشافعي» أنه وجد بجسمة مايزيد عن ٩٠ كدمة رضيه مزدوجه الشكل طوليه، وبعضها به تقوس بسيط، بسمك يتراوح بين ٣ر١سم و ٥ر١ سم، وبأطوال تتراوح مابين ٧ سم و٤ سم، وهي منتشرة بوحشية العضدين، وبجميع الظهر والإلتين وبخلفية ووحشية الفخذين ويمكن أن تنتج عن الضرب بإجسام صلبة راضة مستطيل كمصي». كما وجد سكدمات رضيه حيوية على شكل قوس مزينة بسجح مثلث الشكل، تتراوح أطوال الكدمات مابين ٥ر٤ سم والسجحات بأطوال من ٨ سم الى ٤ سم، منتشرة بأعلا وحشيه الفخذ الأيمن وبأجزاء مختلفة من الجانبين والظهر وبأيسر الوجه حدثت على الأرجح نتيجة للركل بمقدم الأحذية، ووجد كدمات رضية حيوية متسجحة تبلغ نحو العشرة تتراوح مساحتها مابين ١×٢سم، و٤×٥ر٢سم، منتشرة بفروة الرأس» وبأيسر الجبهة، وبالوجنتين وصيواني الأذنين وبمقدم الركبتان، وهي إصابات جاءت نتيجة للضرب على الرأس.. ووجد- كذلك- «آثار طفيفة متلونة حول معصم القدمين غائرة قليلاً بسمك ٥ر١ سم نتيجة الضغط والاحتكاك بجسم لين وخشن نوعاً كحبل او ما أشبه». كما لاحظ «خروج بعض النزيف من فتحتي الأنف والفم مع تكدم بالشفتين وأنزفة مابين الأسنان الأمامية». وقال الطبيب الشرعي: إن وفاة المذكور حدثت من الإصابات وماصحبها من صدمة عصبية أدت الى هبوط بالقلب.

باختصار لم تكن هناك في جسد شهدي عطية مساحة تخلو من ضربة عصا.. أو ركلة حذاء. أما شقيقه المهندس «محمد جمال الدين عطية الشافعي»، فقد قال -فيما بعد- رداً على سؤال من النيابة:

- لما رحت المشرحه مع والدي.. اترجيت ضابط هناك إني اشوف الجثه وقت الغسل وشفت وشه.. كان عليه علامات رعب شديد!

وكان العدل يستعد لكي يرتدي طربوش الأفندية.. مع كاب العسكر!

ص ٨١٥ محضر جلسة السبت ٢٨ مايو ١٩٦٠

كلمة المتهم الأول شهدي عطية الشافعي

[illegible] وقد انتهى الدفاع وأوشكت المحاكمة على الانتهاء. أتشرف بأن أرفع باسمي وباسم المتهمين جميعا شكرنا لهيئة المحكمة الموقرة على ما أبدته من أناة وصبر وسعة صدر وحرص شديد على أن يأخذ الدفاع عنا [illegible] ولقد تشرفت في أول جلسة من جلسات المحاكمة [illegible] الإجراءات التعسفية بالنسبة لتشكيل المحكمة [illegible] والأمر [illegible] تشكيل المحكمة [illegible] [illegible] لوطنيتكم الموقرة.

[illegible] الشكر الخالص [illegible] الدفاع [illegible] المحامين [illegible] [illegible] الهيئة الموقرة [illegible] الرئيس جمال عبد الناصر [illegible] [illegible] فالاستعمار والصهيونية [illegible] الجمهورية العربية [illegible] الرئيس جمال عبد الناصر [illegible] الاستعمار [illegible] الجاسوسية [illegible] [illegible] عالم العرب جميعا [illegible]

صورة لمحمد [illegible]

لواء

[illegible]

رئيس محكمة أمن الدولة العليا

[illegible]

صورة رسمية موقعة من اللواء هلال عبد الله هلال، رئيس محكمة أمن الدولة العليا، التي كانت تحاكم شهدي عطية، تتضمن نص الكلمة التي ألقاها شهدي في واحدة من اواخر جلسات المحاكمة يعتز فيها بالقائد الوطني الذي أمر بتشكيل المحكمة، ويطلب حفظ القضية

قوميتنا تبعيتنا حماها الله.. الله الله..

العراق

مشكلة .. لو قلت إني ضد إرسال القوات أبقى ضد مبارك .. ولو قلت إني ضد العراق أبقى بخون القومية العربية .. مش عارف أبقى مع مين بالضبط ...

مع إسرائيل طبعاً ..

الرد على العراق

جرايد

ما فيهاش حاجة ياسى سيد لما نبقى إحنا و إسرائيل و الأمريكان ف خندق واحد.. برضه "خش ديب يساع ألف حبيب.." ..!

الهجمات الأمريكية تنطلق من السعودية

كلام الولد مظبوط.. ماغلطش ف النطق ولا حاجة.. إحنا فعلاً هناك طبقاً لإتفاقية الدفاع العزى المشترك.. !!

؟!!

إذا كانت السلطات فى الجزيرة العربية (السعودية) قد نجحت فى قمع حركة النساء اللاتى قمن بمظاهرة يوم ٦ نوفمبر الماضى أى قبيل اندلاع الحرب.. فما هذا الإنجاح مؤقت وضرورة. فالواقع الاجتماعى للجزيرة يغلى بإمكانيات جديدة حيث يقبع الحكم السعودى على إحتمال الزلازل خاصة بعد أن تكشفت تبعيته الفاضحة لأمريكا.

نساء السعودية ضد الوجود الأمريكى

فريدة النقاش

لم تكن النصيحة التى وجهتها بعض القيادات الفلسطينية الحليفة للنظم الخليجية بالابتعاد التدريجى عن الهيمنة الأمريكية خالية من المعنى. ولم يكن الفلسطينيون ليوجهوها إلا لمعرفتهم الواثقة أن أفكارا فى هذا الاتجاه أخذت تنضج وتجذب إليها قطاعات متزايدة فى أوساط الشباب والسياسيين ذوى التوجهات العربية فى الخليج على إثر التطورات الدولية التى لتراجع المواجهة بين القوتين العظميين.

كانت النصيحة الفلسطينية مرتبطة بانحسار الخطر الشيوعى، الذى طالما إستخدمته أمريكا لترويع النظم التابعة لها وجعلها أكثر تبعية. قال الفلسطينيون حينذاك بما أن الخطر الشيوعى قد زال بانتهاء الحرب الباردة، فعلينا نحن العرب، خليجيين ومشارقة ومغاربة، أن ننظر إلى مصالحنا المشتركة نظرة جديدة بعيدة عن الهيمنة مادام خطر الهيمنة الأخرى المزعومة قد زال تماما.

وكانت القوى الديموقراطية فى الخليج تكسب أرضا جديدة كل يوم فى هذا الاتجاه.. اتجاه التخلص من قبضة الهيمنة الأمريكية، وكان لهذه القوى مطالبها الخاصة بالاصلاح الديموقراطى وبناء دول عصرية، تندمج مستقبلا فى نظام قومى يجرى إستخدام الثروة العربية فى إطاره، لحل المشكلات المعلقة المزمنة وعلى رأسها فلسطين والتخلف العربى والتجزئة القومية.

كانت هذه العناصر كلها تتفاعل وتتجادل قبل إندلاع أزمة الخليج بزمن طويل. وفى قلب هذه التفاعلات جميعا باتت قضية تحرير المرأة فى الخليج والجزيرة العربية مطروحة على بساط البحث، بين النساء أنفسهن وبين القوى الاجتماعية الحديثة التى تشكلت جلها من الطبقة الوسطى التى تعلم أبناؤها وبعض بناتها فى أوروبا وأمريكا والمشرق العربى، فازداد نفوذهم بتزايد عددهم.

> **نساء ضد النساء**
>
> طالبت بعض النساء فى منشوراتهن بمعاقبة النساء ووزعت فى الرياض وثيقة عليها عدد من التوقيعات تقول:
>
> «والله لقد ظننت أننى سأموت ولا أرى ذلك فى بلدى. ولكن بعدما حصل فإننى أطالب بصفتى امرأة مثلهن بمعاقبتهن جميعا لأنهن لايمثلن رأيى ولا رأى أخواتى من النساء فى هذا البلد..»

تلاتل تحت العرش

وما إن غزا العراق الكويت، حتى وأفصحت الهيمنة الأمريكية التى حذر منها الوطنيون الخليجيون والفلسطينيون عن نفسها بصورة فاضحة، باستدعاء القوات الأمريكية إلى السعودية وانتشارها هناك لتصل فى آخر التقديرات الى مايقرب من نصف مليون جندى.

وعلى العكس تماما من الصورة التى تقدمها أجهزة الإعلام المصرية عن الاستقبال الطيب لهذه القوات من قبل شعوب الخليج والجزيرة تقول باحثة أمريكية عملت أستاذة للأدب الانجليزى فى كلية البنات بجامعة الملك سعود فى الرياض هى «جوديث سيتزار» فى مقال هام لها فى مجلة «نيشن» الأمريكية بعنوان «تلاتل تحت العرش»..

«إن كثيرين من الليبراليين السعوديين يرون فى انتشار القوات الأمريكية فى بلادهم استمرارا للدعم الذى سبق أن قدمته أمريكا بسخاء للنظم الاستبدادية فى الشرق الأوسط، وباعتباره جزءا من الحرب الثقافية العنصرية ضد العرب ومن رسالة كتبها لى أحد الأصدقاء - تقول الباحثة - يقول إن الأمريكيين استخدموا مأساة الكويتيين - وهى مأساة حقيقية كطريق لشن حرب على الشعب العربى. لقد إحتلوا أراضينا ومنها يريدون أن يهاجموا ليدمروا شعبى العربية السعودية والعراق معا..»

وتضيف الباحثة قائلة.. «إن مشاعر كهذه تنتشر أيضا فى أوساط اليمين الدينى الذى يقول أحد قادته» «إذا كانت العراق قد احتلت الكويت، فإن أمريكا إحتلت العربية السعودية. **وليس العراق هو العدو الحقيقى بل إن الغرب هو هذا العدو..»**

«ويحظى «صفر الحوالى» عميد كلية الدراسات الإسلامية فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة - وقائل هذه الكلمات - بشعبية هائلة، حتى أن الخطب التى يندد فيها بوجود القوات الأمريكية تنشر على أشرطة الكاسيت فى كل بلدان المملكة، وقد جاءت الفقرة السابقة فى خطاب له ألقاه فى المسجد الكبير بمكة.

«والحوالى» هو واحد من القادة البارزين للوهابية التى تنتمى إليها العائلة المالكة وتستمد منها نفوذها وشرعيتها... وهى الحقيقة التى تضع النظام الحاكم فى مأزق فعلى.. ذلك أن «الحوالى» يوجه اتهاما صريحا بالكفر لهؤلاء الذين جاءوا بالقوات

الأمريكية إلى البلاد، وقال بالحرف الواحد:

«حين أخرج المجاهدون الأفغان الروس من أفغانستان، لم تقولوا إن الله قد ساعدهم وإنما قلتم إن أمريكا ساعدتهم. والآن ونحن مهددون بالحرب أنتم لاتقولون إن الله سوف يحمينا، بل تقولون «أمريكا سوف تحمينا. لقد أصبحت أمريكا هي إلهكم»

كذلك أدان الشيخ «شمس الدين الفاسي أحد قادة الطرق الصوفية الوجود الأمريكي، وسجل شريطا بصوته يعلن فيه إدانته تلك. وقال الأكاديمي الكويتي المقيم في السعودية «طارق السويدان» في شريط ثالث يوزع على نطاق واسع بين أبناء الجالية العربية في أمريكا- قال.. «إن أمريكا تخترع صورا ملفقة عن الاسلام، وتصوره وأتباعه كأنهم شياطين إن عقلية راسمو الأمريكية تجعل الأمريكيين يرون في قتل المسلمين فضيلة، ولابد بسبب كل هذا من حماية المسلمين من الأمريكيين وليس التماس الحماية من الأمريكيين..»

اليمين واليسار

ومما له دلالة خاصة وجديدة أن قوى اليمين الديني والليبراليين القوميين، الذين طالما وضعهم النظام السعودي في مواجهة بعضهم البعض وضرب كل منهم بالآخر خلال الأربعين عاما الماضية.. قد اتحدوا الآن في مواجهة انتشار القوات الأمريكية في السعودية. وقد انشغلت الشبكة السرية التي طالما وزعت أشعار «أحمد مطر» ومظفر النواب» الممنوعة، بتوزيع خطب الحوالي ورجال الدين الآخرين المعادين للوجود الأمريكي في البلاد، وهو الوجود الذي يقف الليبراليون والتقدميون ضده أيضا بطبيعة الحال.

وتقول الباحثة التي كتبت مقالها قبل اندلاع الحرب بأسابيع إن الجناح الموالي لأمريكا في النظام السعودي كان يستعجل الحرب ضد العراق، لأنها في إعتقاده تضع السعوديين جميعا على أرض مشتركة في مواجهة عدو خارجي، ويمكن للحكومة أن تقوم بعملية قمع المعارضة بعد الحرب...

مباراة الشعراء

تبارى الشعراء بين أنصار المرأة وأعدائها في كتابة القصائد، وكان الرد على قصائد الهجاء بقصائد المديح عموديا في الحالتين رغم أن الشعر الجديد في الجزيرة هو شعر التفعيلة في غالبيته.

فبينما قال الشاعر عبد الرحمن بن صالح العشماوي:

أختاه يابنت الجزيرة ربما
غطى على عينيك فكر أحمر

ورد عليه الشاعر مصطفى بن محمد السرحان

حمدا لربي أن أعيش لكي أرى
بنت الجزيرة صبرها يتفجر

وجاءت إستجابة الملك فهد للمعارضة المتنامية قبل الحرب، في شكل إحياء فكرة مجلس الشورى وهو مجلس معين للحكم، ويقول أحد المثقفين تعليقا على هذه الفكرة «لقد وعدنا الملك بها قبل ثلاثين عاما، ولكن الزمن تغير، لماذا نقبل بأقل من الديموقراطية الحقيقية؟»

ويرى الصحفي التونسي «صلاح الدين الجورشي» وجها آخر للصورة إذ يقول.. إن أهل الخليج «كانوا يظنون أن الجيش العراقي هو درعهم ضد إيران لماذا به يتحول عندهم إلى كابوس مرعب ونظرا لافتقادهم النظام العربي التقليدي لأي تجهيزات أمنية رادعة، ولاتوجد لديه الارادة والتخطيط لتنفيذ بنود إتفاق الدفاع العربي المشترك، كان البديل الممكن هو الإعتماد على القوة العسكرية الغربية، لكن عموم الخليجيين يعتبرون هذا اللجوء ظرفي ومؤقت، ويدركون أخطاره وانعكاساته على إستقرارهم السياسي والإجتماعي، وما قد يشكله مستقبلا من خطر على إستقلالهم ومصيرهم والتأثير على وزنهم عربيا وإسلاميا ودوليا.. ولعل هذا القلق الذي يعبر عنه الخليجيون بأشكال متباينة ضد الوجود الأمريكي في الجزيرة العربية، والذي تزايد بعد أن تبينت لهم أهداف الحرب التي لاتبتغي تحرير الكويت وإنما تدمير العراق.. لعله السبب في الحملة التي يكررها الساسة الأمريكيون كثيرا، من أن جنديا واحدا لن يبقى في المنطقة بعد إستكمال المهمة، حتى وهم يتحدثون عن الترتيبات الأمنية المقبلة يحرضون على القول أنها لن تقتضي أبدا وجود قوات برية ترابط في المنطقة.

مظاهرة النساء

على هذه الخلفية التي تداخلت فيها عوامل كثيرة وقعت مظاهرة النساء في ٦ نوفمبر الماضي، وقدمت نساء أخريات طلبات للتطوع في الجيش السعودي إلى الملك فهد. وخلعت نساء أخريات الحجاب وتعرضن للحبس والتشهير بهن وأزواجهن وآبائهن، وأكثر من ذلك كانت حركتهن سببا رئيسيا لانفصام الوحدة التي كانت قد نشأت بين رجال الدين التقليديين أو اليمين الديني من جهة، والليبراليين والتقدميين من جهة أخرى ضد الوجود الأمريكي في البلاد.

وعلى مايبدو فإن الحكم الذي تغاضى عن قيادة النساء للسيارات في شكل مظاهرة بالرياض، كان يعرف أن هذه القضية الحساسة للغاية لدى اليمين الديني سوف تكون كفيلة بفصم عرى تضامنه مع الليبراليين واليساريين.. وهو ماحدث فعلا.

كانت البداية يوم الثلاثاء الموافق ٦ نوفمبر تحركت ٤٧ مواطنة معظمهن من العاملات في قطاع التعليم أو طالبات فيه، وقدن أربع عشرة سيارة في مدينة الرياض، مطالبات بحقهن المشروع في قيادة السيارة تخفيفا للأعباء المادية الناجمة عن اضطرارهن لتأجير سائق أجنبي، مع المشاكل الاجتماعية المصاحبة لوجوده، وكذلك لمواجهة إحتمالات الحرب التي قد تدفع بالرجال إلى الجبهة وتجبر النساء على تولى كافة الأمور في الداخل.

وجرى إقتياد النساء إلى مقر الشرطة وقضين الليل هناك بعد التحقيق معهن، ولم يفرج عنهن إلا بعد أخذ تعهد على أزواجهن أو آبائهن بعدم تكرار ذلك.

ثم أصدرت وزارة الداخلية بيانا لتحريم

تصريح صحفي لناطق رسمي للحزب الشيوعي في السعودية

من أجل وقف الحرب المدمرة ضد العراق الشقيق

دخلت منطقة الخليج العربي مرحلة حرجة من جراء التصعيد الحاصل على مسرح العمليات العسكرية، وتحولت معها «عملية تحرير الكويت» إلى عملية مدانة لتدمير البنية العسكرية والاقتصادية للعراق بهدف إركاع المنطقة واخضاعها تحت المظلة الأمريكية، حتى وإن تم ذلك على حساب تلك المنطقة وتدميرها بالكامل، مما وضع أوطاننا تحت تهديد التلوث والفناء التام.

وقد توالت الأحداث بتداعياتها المأساوية لتؤكد من جديد أن القوات الأمريكية جاءت إلى المنطقة ليس دفاعا عن السعودية أو الكويت، بل لتحقيق استراتيجيتها العدوانية المتمثلة في السيطرة على منابع النفط والاقتصاد العالمي مستخدمة الحرب والقوة أسلوبا لحل المعضلات والمنازعات الدولية، دون أن تعطى للمساعي السلمية حقها ومداها مما يعني خرقا واضحا لقرارات هيئة الأمم المتحدة، محددة بذلك مفهومها المدان للنظام العالمي الجديد حيث تعمل الولايات المتحدة على صياغة المستقبل العربي بالصورة التي تنسجم وتصورها للنظام العالمي الجديد القائم على أساس الهيمنة الأمريكية الكاملة في العلاقات الدولية.

لقد وقع ما كنا نخشاه ونحذر منه، وأصبحت شعوبنا في العراق والسعودية وبقية بلدان الخليج والبلدان المحيطة مهددة بالتدمير الشامل، إذا ما تطورت الأمور إلى الأسوء، وإذا ما جرى تغييب العقل والحكمة في حل الخلافات الناشبة بين جميع الأطراف المتنازعة.

إن المتضرر الوحيد جراء التصعيد الجاري للعمليات الحربية هي شعوب المنطقة المغلوبة على أمرها، والتي أصبحت لا حول لها ولا قوة في ظل القمع والارهاب والتفرد بالقرار من قبل حفنة قليلة من القادة المتسلطين، وضحية للمتلاعبين بمصائر الشعوب. أليس من المضحك المبكي أن نرى السعودية التي تتمركز على أراضيها هذه الجيوش وتدور على اراضيها هذه الأحداث، أصبحت مسلوبة الإرادة وليس لها كلمة ذات شأن!

لقد بات واضحا أن الأمبريالية الأمريكية تقوم الأن بتنفيذ مخططها المبيت، لتحطيم البنية العسكرية والاقتصادية، والعراقية، والبدء بإعادة رسم الخارطة الجغرافية والسياسية لعواصم المنطقة العربية بهدف اخضاعها بالكامل للاستراتيجية الأمريكية في ظل تفوق اسرائيلي مطلق وبالتالي فرض الهيمنة الأمريكية المباشرة على مقدرات منطقة الخليج والمنطقة العربية بشكل كامل، مما يجعل حربها حرب اغتصاب وغير عادلة.

إننا نجد انفسنا أمام مفترق طرق ولابد من حشد الطاقات وتكثيف الجهود والقوى لإفشال هذا المخطط الذي يستهدف مصائرنا تطورنا اللاحق، واستنادا إلى هذه الرؤية للمخاطر المحدقة بنا وبشعوبنا وبالمنطقة العربية عموما يرى حزبنا أنه- لابد من-:-

أولا:- وقف كافة الهجمات العسكرية والتي تستهدف تدمير العراق الشقيق وإنهاء امكانياته ، التي هي سند للأمة العربية في نضالها القومي المشروع من أجل نيل حقوقها المسلوبة.

ثانيا:- إيجاد تسوية سلمية للنزاع القائم في خليجنا العربي، يضمن انسحاب العراق من الكويت وترك الشعب الكويتي يقرر مصيره بنفسه، وانسحاب القوات الأمريكية من المنطقة فورا، وحل المسائل المتنازع عليها سلميا وفي إطار الحل العربي وانهاء جميع العقوبات المفروضة على العراق.

ثالثا:- التعامل مع كافة قضايا المنطقة بأخلاق ومعيار واحد ومعالجة كافة قضايا الشرق الأوسط، وفي المقدمة منها القضية الفلسطينية، بما يضمن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وإقامة دولته الوطنية المستقلة على أرضه والعمل على نزع السلاح في المنطقة بما في ذلك أسلحة الدمار الشامل ضمن الجهود الجارية على المستوى العالمي.

رابعا:- الشروع في إيجاد نظام إقليمي بديل، يقوم على احترام شعوبنا، وإرادتها في تقرير مصيرها والمستند على تحقيق الديمقراطية والوحدة والاستقلال.

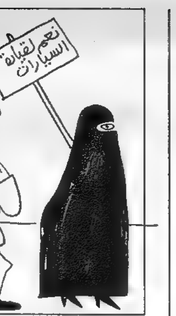

قيادة المرأة للسيارة وهددت بانزال عقوبات رادعة فى حقها.

وأفتى الشيخ «عبد العزيز بن باز» مفتى السعودية بأن ماحدث هو بادرة سوء يجب منعها، ودعا للإبلاغ عمن يتبنى مثل هذا المطلب وإرسال برقيات استنكار لولاة الأمور. وقد امتلأت الشوارع بعد ذلك بالمنشورات المعادية للنساء بناء على هذه الفتوى.

واحتشد خمسة آلاف متظاهر للضغط على هيئة كبار العلماء للإفتاء بانزال عقوبات أشد. وطردت الحكومة النساء العاملات من العمل والطالبات من فصول الدراسة، وست عضوات بهيئة تدريس بجامعة الرياض. وأكثر من ذلك معلمات فى المراحل التعليمية الأخرى وطالبات من مختلف المستويات الدراسية، كما صدر قرار يمنعهن من السفر وامتد هذا الحظر ليشمل أزواجهن وآبائهن، الذين أجبروا على توقيع التعهد. وصرح وزير الداخلية بأن هؤلاء النسوة تربين خارج «بيوتنا الإسلامية». ثم اعتقل الصحفى «صالح العزاز» رئيس تحرير جريدة «اليوم» سابقا ورئيس تحرير مجلة «الغرفة التجارية» بالرياض حاليا، بتهمة قيامه بالتقاط صور فوتوغرافية ودعوته وكالات الأنباء الأجنبية للتغطية الإعلامية.

الساقطات!!

وانهالت المنشورات نثرا وشعرا تستعدى الجماهير على النساء، بعد نعتهن «بالساقطات» و«المنحلات أخلاقيا ودينيا».

وأستبيحت دماؤهن فى قائمة بالأسماء تحت عنوان «اعرف عدوك». واتهمت بعض الأقارب بالشيوعية والعلمانية والأمريكية واختتمت كلماتها بالعبارة التالية..

«هذه أسماء الساقطات وبعض من يقف وراءهن من الشيوعيين والعلمانيين إفعل ماتراه مناسبا»

كما تلقت النساء مكالمات هاتفية فى منازلهن حملت ألفاظا بذيئة.

وتحولت المساجد الى منابر لشتمهن والمطالبة باستتابتهن أو إقامة الحد الشرعى عليهن وتعدى ذلك للدعوة إلى قصر تعليم الفتاة على المرحلة الابتدائية، وتركيزه على علوم الدين فقط، بينما أبلغت إحداهن رسميا بضرورة مغادرة الرياض إلى مدينة الخبر حيث تقيم عائلتها لأن السلطة لاتستطيع ضمان سلامتها. مع ملاحظة أن غالبية النساء ينتمين إلى أسر كبيرة ذات نفوذ عملى سياسى ومالى.

وجاء فى بيان للجنة مناصرة المرأة فى الجزيرة العربية أن

«كل ذلك يحدث فى الوقت الذى يجثم على أرضنا حوالى نصف مليون جندى أجنبى مدججين بأسلحة الفتك والدمار لشعبنا وشعوب المنطقة. وبعد أن إحتلت أمريكا كامل ترابنا الوطنى احتلالاً عسكريا مباشرا وشلت أوكادت سلطة النظام الذى لم يجد غير ٤٧ إمرأة عزلا من السلاح ومحرومة من أبسط حقوق الدفاع عن النفس وحرية التعبير، ليكشر عن أنيابه المنخورة فى حملة فاشية يندر أن يوجد لها مثيل فى عصرنا..». ودعت اللجنة إلى إرسال لجنة تقصى حقائق إلى الجزيرة العربية تشكلها جمعيات حقوق الانسان العربية والدولية.

* * *

وهكذا تبرز قضية تحرير المرأة فى الجزيرة العربية كجزء محورى من القضية الوطنية، التى يضعها الوجود العسكرى الأمريكى والحرب الدائرة فى الخليج، فى إختبار شامل بعد أن تعرى الحكم التابع كلية وكشفت أزمة الخليج عن عمق تبعيته لأمريكا وحلف الأطلسى.

الانتفاضة

جبهة ثانية
لقوى العدوان بعد جبهة الخليج

حنا عميرة

عندما يجرى التأكيد بأن حرب الخليج، أو عملية عاصفة الصحراء، كما يحلوا للرئيس «بوش» أن يسميها، قد تجاوزت أهدافها المعلنة وتجاوزت التفويض أو الترخيص الممنوح لها من الأمم المتحدة، فإن ذلك لاينطبق على الأهداف العسكرية للحرب فقط وإنما على أهدافها الإقليمية والسياسية وعلى القضية الفلسطينية بالتحديد، من خلال ما بات يعرف بحلف الأمن الإقليمي وإعادة رسم الخارطة السياسية للمنطقة.

وإذا لم نسيء فهم أقوال وزير الخارجية الأميركي «جيمس بيكر» أمام اللجنة الخارجية لمجلس النواب، فإنهم سيعودون فى تعاملهم مع القضية الفلسطينية والشعب الفلسطينى إلى نفس المفاهيم والمواقف القديمة التى سبقت إعلان الولايات المتحدة عن بدء الحوار الاميركي- الفلسطيني، وذلك بإضافة قواعد جديدة وليس شروطا كما كان فى السابق، تؤكد ما كنا نقوله باستمرار، بأن الهدف الاميركى هو نزع الصفة التمثيلية لمنظمة التحرير وتفويض آخرين للتحدث باسم الشعب الفلسطينى وتقرير مصيرة حسب القياسات الإسرائيلية.

فواشنطن عندما بدأت حوارها الشكلى مع منظمة التحرير قالت إن هذا الحوار أصبح ممكنا بعد استجابة المنظمة للشروط الأميركية الشهيرة ومنها الاعتراف بقرار مجلس الأمن ٢٤٢، وبعدها عندما علقت واشنطن هذا الحوار فقد أعلنت بأن المنظمة أخلت بأحد الشروط، وحملتها مسئولية قيام منظمة أبو العباس بعملية الإنزال الفاشلة على الشواطىء الإسرائيلية! أما الآن فإن واشنطن تتحدث عن إلغاء كامل لدور المنظمة، وهذا ما عناه «بيكر» بقوله إن منظمة التحرير فقدت أى دور لها فى مسيرة السلام بسبب انحيازها للجانب العراقى ولموقف الرئيس «صدام حسين»، ومن الواضح أن البيت الأبيض لم يعد يكتفى بالشروط الاميركية، أو شروط كيسنجر للحوار مع المنظمة، وقد أضيف إليها الأن تعديل جوهرى على الأهداف باعتبار أن نتائج حرب الخليج ستؤدى إلى تغيير ملموس فى موازين القوى فى منطقتنا يسمح بالعودة إلى المخططات التآمرية البائدة التى أفشلها الشعب الفلسطيني فى ظل موازين أخرى!

إن هذه المحاولات والمخططات المبنية على نتائج نجاح العدوان العسكرى على العراق، تثير أشد المخاوف لدى المواطنين فى المناطق المحتلة. مع التأكيد أن الثقة بالمستقبل وبحتمية فشل هذه المؤامرات، تعزز نضال الجماهير الفلسطينية من أجل نيل حقوقها وتؤكد أن مواصلة الانتفاضة وتصعيدها يحتل الجانب الأساس فى هذا النضال.

وتدرك الجماهير الفلسطينية بعد نضالها الطويل المعمد بالدماء والتضحيات الكبرى أنه عندما يتجدد الحديث الآن عن إلغاء دور منظمة التحرير أو ياسر عرفات، وعن إنشاء قيادة بديلة أو عن محاولات شق المنظمة، فإن المسألة الأساس لاتقوم على وجود هذا الشخص أو ذاك على رأس المنظمة، أو على وجود هذه الهيئة أو تلك فى قيادة الشعب الفلسطينى، وإنما تقوم على محاولات إلغاء حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة. بانتفاضة الشعب الفلسطينى فى الداخل والخارج ولحمته النضالية والسياسية ترتكز إلى برنامج النضال الوطنى من أجل الاستقلال وإلى الدولة المستقلة، ولذلك فقد أسمع شعبنا الفلسطينى صوته ضد كافة المحاولات التى استهدفت التنازل عن هذا البرنامج مهما كان دورها فى الداخل أو فى الخارج. وعلى هذه الأسس بالتحديد فشل مخطط القيادة البديلة ونجح النضال الفلسطينى فى طمسه وإحباطه حتى فى ظروف أعتقد فيها الأعداء أن موازين القوى باتت لصالحهم، وحتى قبل إنشاء منظمة التحرير. وعلى سبيل المثال فمخطط إنشاء روابط القرى لتقوم مقام القيادة الفلسطينية المعترف بها صناعة بريطانية ولفكرة إنشاء روابط القرى تعود لسنوات الثلاثينيات. ولكنها فشلت وعندما أراد الإسرائيليون تجديد هذه الفكرة وبعثها من القبر مرة أخرى فى مطلع الثمانينيات أفشلها نضال الشعب الفلسطينى مرة أخرى، وبالرغم

أبطال الانتفاضة

من أن هذه المحاولة جرت بعد الخروج من بيروت وفي ظل موزين اعتبرها الإسرائيليون لصالحهم واعتمدوا على ماوصفوه بنجاحهم العسكري ضد منظمة التحرير في لبنان.

نحن في المناطق المحتلة تلمسنا خيوط هذه المؤامرة منذ زمن طويل، ولكننا نرى الآن من يحاول إحياءها من خلال وضعها في غرفة الانعاش.. كيف..؟!

تخريب الاقتصاد

منذ اندلاع حرب الخليج وبدء العدوان على العراق الشقيق ابتدأ العمل عندنا بوسائل أكثر شدة من جانب إسرائيل لضرب الجبهة الفلسطينية عن طريق منع التجول المتواصل والمستمر منذ ذلك الحين، وجرى إيقاف عجلة الاقتصاد المحلي، كما منع العمال من التوجه إلى أماكن عملهم في إسرائيل.. رافق ذلك تهديدات وحملة تخويف واسعة تمثلت في مايسمى بالارشادات التي قدمها ضباط الإدارة الإسرائيلية المدنية لبعض كبار موظفي البلديات العربية في المناطق المحتلة حول الاستعداد لإمكانية سقوط صواريخ وحدوث قتل جماعي وضرورة تخصيص مقابر جماعية لدفن القتلى، وتحدث هؤلاء الضباط أيضا عن تخصيص ميزانية لتحضير المقابر وهذه أول مرة تخصص فيها ميزانية لهذا الهدف!

وإذا ماعدنا مرة أخرى لفرض نظام منع التجول فإننا نشير إلى أنه لأول مرة منذ عام ١٩٦٧ يفرض بهذه الصورة والاستمرارية مما أدى إلى أضرار كبيرة خاصة على الصعيد الاقتصادي.

فحسب المعلومات التي قدمها الباحث الاقتصادي الفلسطيني من نابلس «الدكتور» عبد الفتاح أبو الشكر» حول تقدير حجم الأضرار فقد قال إن الخسائر الكلية تبلغ ٤٥ مليون دولار أسبوعيا حصة الضفة منها ٣٠ مليون دولار وحصة القطاع ١٥ مليون دولار وأضاف إن هذا التآكل في الدخل القومي السنوي سيؤدي بالمواطنين إلى الإنفاق مما لديهم من مدخرات وإنفاق المدخرات سيؤدي بدوره إلى نقص الاستثمار، وإذا استمر منع التجول فإن مدخرات المواطنين وخصوصا العاملين بأجر يومي ستنفذ ولفت الانتباه إلى أن نفاذ مدخرات العاملين بأجر سيدفع بالكثيرين منهم للإفلاس وهذا مصدر للقلق المشروع من إمكانية حدوث مجاعات في بعض المناطق ولاسيما في قطاع غزة.

مع الإشارة إلى أنه عندما يرفع منع التجول في القطاع لساعات محدودة، فإنه يسمح للنساء فقط في الخروج وفي حالات أخرى يسمح فقط للأشخاص ممن تبلغ أعمارهم أكثر من ٢٥ عاما.

حالات أخرى

وتحدثت مصادر زراعية في المناطق المحتلة أن خسائر القطاع الزراعي قد وصلت إلى ٢٩ مليون دولار حتى نهاية شهر كانون ثاني يناير وأشارت إلى أن ٣٠ ألف عامل زراعي لم يستطيعوا مزاولة أعمالهم في الضفة بسبب منع التجول.

أما الوضع في القطاع الصناعي فيبدو أنه الأسوأ، حيث أن ٤٦ مصنعا فقط من بين ٢٠٤ مصانع كبيرة و ٤٩٠٠ منشأة صغيرة سمح لها بالعمل، وبسبب منع التجول فإن هذه المصانع المفتوحة تتكبد خسائر كبيرة بسبب وقف التسويق. ويقول الاقتصاديون الفلسطينيون أن الناتج القومي الفلسطيني المحلي يبلغ في اليوم ٤٠ ألف دولار وهذا يعادل ١٢٪ فقط من الناتج القومي اليومي قبل حظر التجول الشامل. وقد بلغ الناتج القومي الإجمالي خلال العام الماضي في المناطق المحتلة ١٦٠٠ مليون دولار موزعة على الشكل التالي (محليا ١٠٠٠ مليون دولار دخول العمال الفلسطينيين من العمل في إسرائيل ٥٢٠ مليون دولار تحويلات الفلسطينيين في الخارج ٨٠ مليون دولار).

أما اليوم فالمناطق المحتلة تنتج ٢٥٪ فقط من طاقتها الكاملة وهذا الناتج يجد صعوبة كبرى في التسويق والتوزيع بالإضافة إلى تدني أسعار المنتوج وخاصة الزراعي منه.

وبسبب هذه الأوضاع انخفضت صادرات المحاصيل الزراعية إلى الأردن والخارج بنسبة ٨٥٪ ومن الجدير بالذكر أن منطقة الأغوار وحدها تصدر حوالي ٨ آلاف طن سنويا من المحاصيل الزراعية عبر الجسور.

ويعتقد الاقتصاديون الفلسطينيون أن المدخرات الموجودة لدى المواطنين الفلسطينيين في الضفة، والتي تقدر ب ٢٥٠ مليون دولار فإنها ستكفي لمدة شهرين على الأكثر في حالة استمرار منع التجول، أما بالنسبة لمصادر التمويل الخارجية من وكالة الغوث (١٠٠ مليون دولار مخصصة للتعليم والصحة) ومساعدات الدول المشتركة (٨ ملايين دولار) فإنها لاتكفي المناطق المحتلة سوى لفترة عدة أيام لا أكثر.

كسر الانتفاضة

لقد أدت هذه الإجراءات إلى حالة غليان شديدة بين الجماهير الفلسطينية باتت تهدد بالإنفجار، مما حدا بسلطات الاحتلال إلى اتباع ما بات يعرف بتخفيف منع التجول أي بالسماح لعدد قليل من العمال حوالي ٥٪ فقط بالتوجه إلى أماكن عملهم داخل اسرائيل، وفق مجموعة من الشروط مثل حصولهم على تصاريح مسبقة، وعلى أن يكونوا تحت الإشراف المستمر لصاحب العمل الإسرائيلي الذي يتوجب عليه نقلهم من نقاط

التفتيش المتاخمة لمكان سكنهم وإعادته إلى نفس النقطة العسكرية حتى الساعة الرابعة بعد الظهر، حيث يجرى عدهم من قبل الجيش قبل السماح لهم بالعودة للتأكد بعدم نقص العدد! وتشترط هذه التسهيلات المزعومة أيضا منع العمال العرب من العمل فى منطقتى تل أبيب وحيفا. وهما منطقتا نزول الصواريخ العراقية! أما الهدف من هذه التسهيلات فإنه إنعاش بعض فروع الاقتصاد الاسرائيلى (الزراعة والبناء) التى توقفت تماما بسبب اعتمادها على عمال المناطق المحتلة.

إن هذا يعنى أن تنشيط القطاعات الاقتصادية الاسرائيلية المتوقفة وليس التسهيل على جماهير المناطق المحتلة هو الهدف الحقيقى لما يسمى بالتسهيلات الإسرائيلية، وهذا الواقع يفند الإدعاءات الرسمية الإسرائيلية عما يسمى بالدوافع الأمنية لفرض نظام منع التجول المستمر، ومما يؤكد هذا الاستنتاج بالإضافة إلى تصريحات المسؤولين الاسرائيليين أنفسهم التى أكدت أن استمرار المواجهات مع الجيش الاسرائيلى سيؤدى إلى منع التجول وعدم تخفيفه عن «المناطق المشاغبة».. بالإضافة إلى ذلك فقد لجأت سلطات الاحتلال إلى رفع ساعات منع التجول لساعات محدودة فى ساعات بعد الظهر أى فى ساعات الإضراب، فحسب تعليمات القيادة الوطنية للانتفاضة فإن فتح المحال التجارية يكون عادة بين الساعة التاسعة صباحا والواحدة ظهرا. وعندما تحاول سلطات الاحتلال رفع المنع فى ساعات بعد الظهر فإنها تستهدف كسر الإضراب العام والتشويش على أنماط الحياة التى نشأت فى ظل الانتفاضة.

لقد اعترفت صحيفة «هارتس» الاسرائيلية بذلك وقالت إن منع التجول المستمر والمتواصل يستهدف بالأساس مواجهة الانتفاضة وإنهاك المواطنين اقتصاديا بهدف كسر الإضراب العام.

إن القيادة الوطنية الموحدة فى بيانها الأخير وإدراكا منها للواقع الاقتصادى الصعب، فقد قررت إلغاء الإضرابات الشاملة التى تعلن عادة ثلاثة أو أربعة أيام فى الشهر، مع الاحتفاظ بنمط الإضراب العام القائم على فتح المحال التجارية فى ساعات الصباح. كما حثت المواطنين على تشكيل لجان الدفاع المدنى الشعبى بفروعها، لجان الحراسة ولجان التموين، ولجان الاسعاف، ولجان التوعية والارشاد وهكذا كان بالفعل. لكن سلطات الاحتلال تحاول الآن ضرب هذه الإنماط الحياتية من خلال منع التجول المستمر والإجراءات الأخرى وعلى أمل أن يؤدى ذلك إلى وقف الانتفاضة.

إلا أنه فتح الجبهة الامبركية ضد العراق قررت سلطات الاحتلال فتح جبهة أخرى ضد الانتفاضة وهذا دليل أخر على الترابط بين مشاكل المنطقة نقدمه للذين يحاولون التعامى عن ذلك خدمة لأهداف الولايات المتحدة.

أما عن مخاطر الترحيل «والترانسفير» فهذه لاتزال ماثلة وشديدة الخطورة.. فالإسرائيليون يأملون أن يؤدى تدهور الأحوال الاقتصادية داخل المناطق المحتلة إلى زيادة الهجرة الفلسطينية إلى الخارج. ويمكن تلمس هذا التوجه فى الإجراءات المتمثلة بعدم السماح بعودة حوالى ٨ ألف فلسطينى من الأردن إلى المناطق المحتلة. كما أن دخول وزير الترحيل «رحبعام زئيفى» إلى الحكومة الاسرائيلية مؤخرا واحتمال اتساع رقعة الحرب لتشمل الأردن، يزيد جدا من هذه المخاطر ويتطلب جهدا عربيا ودوليا حازما لمواجهتها ووقفها.

ليس هذا فحسب، فقد تعمد رئيس الوزراء الاسرائيلى اسحق شامير أن يصرح مؤخرا بأنه سيحمل حلمه باسرائيل الكبرى إلى أى محادثات سلام بعد حرب الخليج، وأشار إلى أن فلسطينى الضفة والقطاع قد يرضون بشىء أقل من الاستقلال الكامل.

إلى جانب ذلك جرى الإعلان عن مخطط لإقامة ١٢ ألف وحدة استيطانية جديدة فى المناطق المحتلة وعن بناء مستوطنات جديدة وتوسع القائمة. ويذكرنا هذا المخطط الكبير بنفس المخطط الاستيطانى الذى جرى تنفيذه بعد التوقيع على اتفاقيات «كامب ديفيد» ويبدو أنهم هنا ينتظرون «كامب ديفيد» جديد من خلال الترتيبات الامبركية الامنية المقترحة بعد حرب الخليج.

إن الذى يثير التساؤل هنا هو مدى ضلوع الدول العربية الحليفة للولايات المتحدة فى هذا المخطط.. وعن معنى التلميحات والإشارات التى تصدر منها عن عدم التعامل مع القيادة الحالية لمنظمة التحرير؟ وعن معنى انتظار الحكومة المصرية لفترة شهر قبل أن تقدم احتجاجا لفظيا لاسرائيل على استمرار فرض منع التجول على المناطق المحتلة؟!

لقد انتظرت الانتفاضة طويلا، الدور العربى الفاعل لمساعدتها على تحقيق أوهدافها وأهداف المنظمة فى التحرر والاستقلال لكن هذا الدور لم يتحقق.. وبالرغم من ذلك فلم تتوقف الانتفاضة وفشلت المؤامرات وهذا ما سيكون أيضا بعد الحرب فى الخليج مهما تراجع الدور العربى ومهما كان استعداده للانخراط فى الحلف الإقليمى الأميركى.

جميس بيكر

بدأ الخصام على الكعكة العربية

نظير مجلي

* ثلاثة تيارات أساسية تنشط اليوم في الحياة السياسية في إسرائيل الخلاف بينها هو على الحصة التي يريدها كل تيار من غنائم الحرب في الخليج لا تحسب حسابات لأي شئ عربي راكنة، جميعها، إلى كون العرب بلاحول ولا قوة... بعيدين بشكل مذهل عن رؤية المصلحة العربية الحقيقية

* أما التيارات الثلاثة فهي: ١- من يؤمن بمقولة عصفور باليد ولاعشرة على الشجرة و٢- العصافير كلها حية أو ميتة و٣- الانتظار حتى ينتهي الصياد الامريكي من مهمته وعندئذ يغرف من العصافير مايشاء. وهذا الاخير هو شامير.

في خضم أيام الحرب الأطلسية على العراق، وتحديدا بعد يومين من مذبحة الملجأ في بغداد التي وقعت يوم الأربعاء ١٩٩١/٢/١٣، اختار المدير العام السابق لوزارة الخارجية الاسرائيلية، ابرهام تمير، أن ينشر مقالا («يديعوت أحرونوت»- ١٩٩١/٢/١٥) يكشف فيه عن لقاءاته السرية بعدد من الزعماء العراقيين خلال سنة ١٩٨٨ وما دار بينه وبينهم من أحاديث حول الأهداف الاستراتيجية العراقية عموما وتجاه اسرائيل بوجه خاص.

قبل أن نخوض في تفاصيل هذه المحادثات وعلاقتها بموضوع بحثنا، لابأس من كلمة عن إبرهام تمير، الذي يعتبر شخصية معروفة في أوساط السياسيين والإعلاميين في مصر، بفضل مشاركته الفعالة في صياغة اتفاقيات كامب ديفيد وإدارة مراحل عدة من المفاوضات الإسرائيلية المصرية على مدار حوالي عشر سنوات.

في كل جهاز إسرائيلي رسمي، سياسي أو عسكري أو اقتصادي، يوجدما يسمى بطاقم الخبراء الاستراتيجيين هؤلاء يدرسون المعطيات المتوفرة لديهم عن كل مايؤثر في العالم على إسرائيل. يفتشون عن مصادر معلومات، ينطلقون في مهمات سرية أو غير سرية لاستطلاع هذه المصادر والتعرف إليها عن كثب. في ذلك مسؤولون حكوميون كبار وصغار من حكومات الأعداء أيضا ويعرف عنهم انهم لايفوتون فرصة لذلك ثم يقدمون الاستنتاجات والتقارير والتوصيات إلى المسؤولين.. ومع أن المسؤولين يتعاملون مع هؤلاء الخبراء، في بعض الأحيان، على طريقة «شاوروهن وخالفوهن..» إلا أن أهمية دورهم محفوظة رسميا واعلاميا وشعبيا وابرهام تمير هو أحد هؤلاء الخبراء الاستراتيجيين. اكتسب رصيده في هذا المجال أولا في الجيش وصل إلى رتبة جنرال ثم في مكتب رئيس الحكومة (بيرس) ووزارة الخارجية (أيضا في زمن بيرس). ومع أن تمير لا يحتفظ اليوم بمنصب رسمي، إلا أن رصيده الغني لا يجعله بعيدا عن الصحن الذهبي.

لا أحد يدري لماذا اختار تمير هذا الوقت بالذات للكشف عن لقاءاته السرية بالقادة العراقيين. أهو جزء من الحرب النفسية ضد العراق، أم هو مساهمة في إعلاء صوت السلام في وقت تصم فيه الآذان قاذفات طائرات الـ «أباتشي».. أم هو مجرد محاولة نشر أخبار.. إذا تم تأجيلها أكثر تصبح بلا قيمة؟

لنلخص أولا ماجاء في النشر عن هذه اللقاءات:

في العام ١٩٨٨ التقى تمير مع أربعة زعماء عراقيين بارزين، كل على حدة، على فترات متباعدة وفي عدة عواصم أوربية، الزعماء هم: د. طارق عزيز، نائب رئيس الحكومة ووزير الخارجية ود. سعدون حمادي، نائب رئيس الحكومة ونزار حمدون، نائب وزير الخارجية اليوم والسفير السابق لبلاده في واشنطن، وشخصية رابعة ذات منصب عال جدا، رفض أن يفصح النقاب عنها «لاسباب معينة»، حسب قوله. المضمون الأساسي لهذه اللقاءات هو التأكيد، من الجانب العراقي، على أن العراق ليس طرفا مباشرا في النزاع مع إسرائيل ولكنها لاتستطيع أن تتهرب من المسؤولية... خصوصا وانها تقع تحت طائلة مدى الصواريخ والطائرات الإسرائيلية وقال طارق عزيز: نحن نؤيد جهود السلام المصرية من أجل إيجاد تسوية للقضية الفلسطينية، الانسحاب من المناطق وتوسيع المسيرة السلمية في المنطقة"، وإضاف أنه هو بالذات الذي منع فرض شرط تنازل مصر عن السلام مع إسرائيل كشرط لعودتها إلى الجامعة العربية وهكذا قال، حسب رواية تمير: «في مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذي عقد في تونس في كانون الثاني ١٩٨٨ طرح اقتراح بأن تلزم مصر بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل كشرط للعودة إلى العالم العربي. فقمت وأعلنت أن ليس من حقنا ان نطلب من مصر مثل هذا الأمر. إذ أن مصر تمارس

طارق عزيز: اهانات اسرائيلية..

ضغطا على اسرائيل لكى لا تمس بالفلسطينيين المنتفضين فى المناطق(!!!)

أما سعدون حمادى، فهو حسب تمير، لم يذكر الإنسحاب الإسرائيلى من المناطق المحتلة أو منظمة التحرير واكتفى بالتأكيد على ضرورة وأهمية التفاهم الاسرائيلى- العربى من جهة وركز كلامه بالهجوم على سوريا، التى تعتبر حلقة فى سلسلة التحالف مع إيران

وأما نائب الوزير، نزار حمدون، فاختار إبلاغ تمير بما يفكرون فى القيادة العراقية تجاه إسرائيل: «انتم لا تريدون السلام إنكم تتعنتون ترفضون إعادة المناطق والإنسحاب منها نحن لانثق بأن التصريحات المنطلقة من القدس تتلاءم مع ما ستمارسونه عند بدء المفاوضات. العراق مستعد لأن يكون طرفا فى اتفاق لنزع السلاح الكيميائى والنووى والبيولوجى وتقليص سباق التسلح، ولكن بشرط أن تنضم إليه إسرائيل وإيران » ويختتم تمير: «الزعماء الأربعة أكدوا أمامى استعداد العراق للاندماج فى تسوية سلمية شاملة لأزمة الشرق الأوسط.

وتسأل مراسلة «يديعوت أحرونوت»، سميدار بيرى، ابرهام تمير: ألا ترى أنك تختار توقيتا بائسا للحديث اليوم بالذات وقت إنهيار العراق، عن اندماجه فى تسوية سلمية مع إسرائيل؟ فأجاب: أود تذكيرك بأننى قلت قبل ثلاث سنوات انه يجب علينا أن نفتش عن وسيلة لدمج حافظ الأسد فى المسيرة السلمية. وعرضت الأمر على مساعد الرئيس بوش داعيا إلى فتح الباب أمام سوريا وقد كانت سوريا آنذاك العدو الأكبر لإسرائيل. وكان الاتجاه السائد عندنا هو الانفتاح باتجاه العراق بالذات. وبسبب ذكرى لسوريا كان هناك من طالبباقالتى».

الرمز الشفافى فى كلام الخبير الاستراتيجى تمير، واضح. فهو يدعو عمليا لإيجاد ثغرة نحو العراق، الآن بالذات. والهدف ليس السلام معه بقدر ماهو استغلال وضعه للتوصل الى أفضل اتفاق.. خصوصا وأن العراق تنازل لإيران عن كل ما طلبته خلال الحرب. ومن جهة ثانية لم يتنازل تمير عن فكرته فى فتح الباب أمام سوريا.

أن من يتابع مواقف تمير يدرك أن الرجل ، وهو المقرب من الوزير السابق عيزر فايتسمان ويؤكد مثله بضرورة إحراز اتفاق سلام بين العرب وإسرائيل يضمن اندماج الثروة العربية مع التكنولوجيا الإسرائيلية، ينتمى إلى التيار المطالب اليوم بعدم الجلوس جانبا بانتظار نهاية حرب الخليج إنما التحرك السريع لبلورة حلول لأزمة الشرق الأوسط باعتبار أن هذا الوقت هو الأنسب لتحقيق هذا الغرض بأقل مايمكن من الخسائر.

ونقول تيارا، لإن هناك تيارات أخرى بدأت فى التصارع فى إسرائيل ورسم الخطط والبرامج لاقتسام الكعكة العربية من الآن. فالجميع مقتنعون بأن الحرب، مهما تكن نهايتها، ستسفر عن انهيار القوة العسكرية العربية لسنوات طويلة، وهذا يعنى انخفاض مكانة العرب، جميعا ، من الأنظمة العربية المشاركة فى التحالف الغربى إلى الأنظمة المتحالفة أو المتعاطفة مع العراق، إن جلست أو لم تجلس على مائدة المفاوضات فإنها ستكون ذات مكانة أدنى.

أما الخلاف بين التيارات الإسرائيلية فينبع من كون أحدها يقول : يجب استغلال الوضع

فوراً، الثاني يقول يجب الانتظار حتى تنتهي الحرب، والثالث يقول يجب أن نوجه الآن ضربة قاصمة للقوى العربية.

... التيار الأول

من المفارقات العجيبة أن قائد هذا التيار اليوم هو نائب رئيس الحكومة وزير الخارجية دافيد ليفي هذا الذي اشتهر في السنة الماضية بموقفه المتشدد من كل مفاوضات مع الفلسطينيين ووقف شريكا مع الوزيرين إريل شارون ويتسحاق موداعي فيما سمي بعذراء الأطراق، إذ وضعوا الأطواق حول تحركات شامير وأفشلوا مبادرته مع بيكر... ويقف مع ليفي ضمنا، المعارضة الإسرائيلية الوسطى «حزب العمل» واليسار الصهيوني أيضا.

في اجتماع للجنة الخارجية والأمن في الكنيست (٩١/٢/١٣) ثم في لقاء مع التليفزيون الاسرائيلي بالعبرية (٩١/٢/١٦) ثم في جلسة الحكومة الاسرائيلية (٩١/٢/١٧) لخص دافيد ليفي موقفه كالتالي:

«إذا لم تبادر إسرائيل الآن إلى إحياء المسيرة السلمية فستجد نفسها بعد الحرب تراجه إجماعا دوليا معاديا يسعى لإجبارها على القبول بما لا يرضيها، إن علينا أن نمسك بزمام المبادرة فلا ندع الآخرين يقودوننا» وقال «في السنوات الطويلة الماضية لم تعش إسرائيل وضعا أفضل من وضعها اليوم. الولايات المتحدة تحارب مكاننا. الحلفاء العرب من ثماني دول يساندونها بدون تحفظ بما في ذلك مصر وسوريا والسعودية وسائر الإمارات العربية. منظمة التحرير الفلسطينية قضت على نفسها كشريك في المفاوضات السلمية ليس فقط من الطرف الإسرائيلي بل أيضا من الدول العربية نفسها. وفي الولايات المتحدة وأوروبا مقتنعون بانحسار مكانة م.ت.ف وضرورة عقابها على موقفها المؤيد للعراق. وقضية المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الأوسط تقطع هي الأخرى من جدول الأبحاث في العالم. فما الذي نريده أفضل من ذلك ولماذا لانطرح توجها إسرائيليا، الآن نسبق به الآخرين ويكون أساسا لتسوية سلمية وفق شروطنا ومع أقصى ما يمكن من الفائدة من الحرب الدائرة في الخليج، والمناخ الذي هيأته.

ومن الواضح أن دافيد ليفي يستند في توجهه إلى الرياح التي تهب من واشنطن فالأمريكان معنيون بمساعدة حلفائهم العرب في الوقوف أمام الغضب الشعبي العارم فالموقف المؤيد بل الشريك في العدوان على العراق يراجه بغضب عارم في العالم العربي ولهذا السبب لم تتدخل إسرائيل مباشرة وبشكل رسمي في الحرب ولكن عدم التدخل الإسرائيلي لايكفي والامريكيون وحلفاؤهم العرب يدركون ذلك ويحاولون طمأنة الرأي العام العربي بأن حرب الخليج والقضاء على صدام حسين ونظامه سوف يعود بالخير على العرب، خصوصا وأن القضية الفلسطينية ستكون على رأس الأبحاث... ولكن، بعد انتهاء الحرب في الخليج

وليس من قبيل الصدف أن وزراء خارجية الدول العربية الثمانية، من دول التعاون الخليجي وسوريا ومصر، الذين اجتمعوا في القاهرة يوم السبت ٩١/٢/١٦) خرجوا بقرار يؤكدون فيه أن دولهم ستعمل فور تحرير الكويت على الجهود لحل القضية الفلسطينية حلا عادلا.

وقد انتبه المعلقون الاسرائيليون، فور إعلان البيان، إلى حقيقة أن وزراء الخارجية العرب المذكورين يتجاهلون في بيانهم تماما أي ذكر لمنظمة التحرير الفلسطينية أما وزير الخارجية الأمريكي، جيمس بيكر، فقد امتدح الوزراء على هذا الموقف وقال في مقابلة مطولة مع شبكة التليفزيون الامريكي الإخبارية «سي.إن.إن» (٩١/٢/١٧) ان هذا هو موقف طبيعي من حلفائنا العرب إذ أن م.ت.ف أساءت لنفسها كثيرا بالوقوف مع العراق.

إذن، فإن التيار الذي يقوده ليفي ينسجم تماما مع النهج الامريكي وهناك من يقول إن الخلاف الأمريكي الإسرائيلي الذي افتعل مؤخرا استهدف التدخل لمصلحة ليفي. إذ أن السفير الإسرائيلي في واشنطن، زلمان شوفال، اتهم الولايات المتحدة الامريكية بأنها تماطل في تحرير المساعدات الأمريكية لاسرائيل حول دعم الهجرة اليهودية (مبلغ ٤٠٠ مليون دولار) فما إن عممت وكالة رويتر للانباء الخبر حتى استدعى بيكر السفير شوفال ووبخه ثم بعث الرئيس بوش برسالة توبيخ قاسية إلى اسحاق شامير ثم كشف الوزير ليفي أن سفيره في واشنطن أعلن ما أعلنه بطلب من شامير («يديعوت احرونوت» - ٩١/٢/١٦) الأمر الذي نفاه شامير بالقول: هذا كذب.

وكان ليفي قد خطط للسفر إلى الولايات المتحدة في مطلع الأسبوع الذي انتشرت فيه هذه الحادثة. إلا أنه ألغى سفره عندما تبين أن زميله وزير الأمن، الذي سبق إلى واشنطن بيومين، التقى بوزير الخارجية والرئيس بوش وعلم ليفي باللقاءين قبل عشر دقائق من إذاعة النبأ في التيلفزيون فشعر بالإهانة. ولكن بيكر وجه دعوة رسمية الى ليفي (٩١/٢/١٧) ليزور واشنطن، كنوع من الدعم ورفع المعنويات والتضامن..

... التيار الثاني

ويقوده رئيس الحكومة، شامير، ووزير أمنه، موشيه أرنس. وهكذا فسّر شامير موقفه يوم الأحد ٩١/٢/١٧ خلال لقائه مع ممثلي الجاليات اليهودية في العالم، الذين جاءوا للتضامن مع إسرائيل. «نحن لا نريد السلام فحسب، بل إننا نتلهف عليه، ولكن فقط في الوقت المناسب. فنحن الآن على حافة نهاية الحرب من يدري كيف ستنتهي هذه الحرب وماذا سيكون وضع العراق، الأردن والعالم العربي كله. فلننتظر حتى تتضح الأمور فنتصرف على أساسها»

وكانت صحيفة «جروزلم بوست»، التي اصبحت ناطقة شبه رسمية بلسان شامير، قد لخصت هذا الموقف بالشكل التالي (٩١/٢/١٣): «لاجدوى من التفاوض مع عرب الضفة الغربية وقطاع غزة (هذه

حافظ الأسد
وسيلة لدمجه في الصلح

ثلاث تيارات تتصارع حول كيفية التهام العرب

دافيد ليفي.. الولايات المتحدة تحارب مكاننا

بيكر يمتدح موقف الحلف العربي الثماني من اسقاط دور منظمة التحرير الفلسطينية

مصر والسعودية واسرائيل.. يتخوفون من الاصوليين واليساريين والراديكاليين..

الصحيفة منذ أن اشتراها اليمين ال اتيلي .لم تعد تذكر الشعب الفلسطيني وتقول عرب المناطق أو عرب يهودا والسامرة أو كما ذكرت آنفا ن.م) ما لم يرافقه في ذات الوقت تفاوض مواز مع الدول العربية التي لاتزال في حالة حرب مع إسرائيل فقط. عندما تكف الدول العربية عن رؤية إسرائيل وصمة غريبة في جسم العرب وتقبل بها كيانا تتعذر إزالته من المنطقة، عندها فقط يصبح السلام الدائم ممكناً.

وفي حين كان دافيد ليفي، يلمح إلى القيادة السورية بأن هناك أملاً في التوصل معها إلى اتفاق سلام حل وربط بخصوص الجولان، فإن «جيروزليم بوست» عبرت عن وجهة نظر أخرى قالت فيها: «إن التفاوض مع سوريا أمر معقد مادام حافظ الأسد في المنطقة فهو دكتاتور ، وهو ليس أكثر إنسانية من صدام حسين ،ولا أقل قسوة وجنون عظمة منه. ولا يرجى من ورائه أية نتيجة جدية.

والدولة العربية التي تلقى الرضى اليوم هي السعودية:«بينما العربية السعودية التي لا حدود مشتركة لها مع إسرائيل، والتي تتعرض أكثر من غيرها إلى التهديدالعراقي ربما تكون عندها رغبة في التوصل إلى نوع من التسوية مع إسرائيل ولأنها تشارك إسرائيل في كونها هدفا لهجمات صواريخ سكود فإنها يمكن أن تدرك أن إسرائيل بإمكانها أن تكون شريكا فيما خصوصا وأن الأعداء الحقيقيين للسلام والازدهار في المنطقة هما الأصولية المقاتلة والراديكالية اليسارية اللتان تهددان مصر والسعودية مثلما تهددان إسرائيل ولأن السعوديين البرجماتيين آنياً يحتاجون إلى الحماية العسكرية اختراق فعلي لنا وسيضعف العامل الديني في النزاع الإسرائيلي. العربي».

التيار الثالث

أما التيار الإسرائيلي الثالث فيتألف بالأساس من قوى اليمين المتطرف داخل الليكود ، بزعامة الوزير إريل شارون، ومن قوى اليمين الفاشي داخل الحكومة متمثلا في ممثلي أحزاب «هتحيا» (الوزير يوفال نئمان، وهو بروفسور في علم الذرة، ونائبه الوزير غئولا كوهن، ووزير الزراعة رفائيل ايتان.. وعدد من ممثلي الأحزاب الأصولية الدينية المتزمتة وحديثا انضم إليهم زعيم حزب الترنسفير- أي ترحيل العرب- وزير الدولة رحبعام زئيفي)

هؤلاء انتقدوا عدم التدخل الإسرائيلي المباشر في الحرب العدوانية في الخليج. واعتبروا ذلك رضوخا للولايات المتحدة الأمريكية وإضاعة لفرصة ذهبية للتأثير على نتائج الحرب وما بعدها من تقسيم للغنائم ، الكعكة العربية ومن المفاوضات الغربية التي تعتبر ظاهرة ملازمة للتطورات في الخارطة السياسية في إسرائيل عبر كل تاريخها، إن شخصيات معروفة بانتمائها إلى حركة السلام الإسرائيلية انضمت إلى هذا التيار في الأسابيع الأولى للحرب مثل عيزرفايتسمان، أحد مهندسي اتفاقيات كامب ديفيد، المعروف بنظريته الشهيرة: «العرب بأموالهم واليهود بعقلهم وتكنولوجيتهم يستطيعون معا تحويل المنطقة إلى جنة عدن» وهو في سبيل تطبيق نظريته دعا إلى التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ومثله وقف مردخاي غور، أحد وزراء حزب العمل الذي تقلب كثيرا في حياته السياسية وبلغ حد المطالبة بالتفاوض مع م.ت.ف وغيرهما.. لقد صمت هؤلاء في الأسبوع الخامس من الحرب ولم تعد نسمع لهم صوتا. ولا ندري إذا كان هذا يعني تغيرا في مواقفهم.

أما قوى اليمين المثابرة فإنها ترى ضرورة قصوى في أن تفرض إسرائيل مشاركتها في الحرب. وهم يؤكدون أن هذه المشاركة ليس فقط أن تمزق التحالف الأطلسي- العربي فحسب بل إنهم معنيون بفض هذا التحالف. ومن رأيهم أن دولة مثل سوريا، يجب السعي لإخراجها من التحالف حتى لا تخرج بحصة من غنائم الحرب. إذ أن أية حصة كهذه ستأتي على حساب حصة إسرائيل (ماليا، أو جغرافيا في هضبة الجولان، أو سياسيا في لبنان..) ويرون أيضا أن المشاركة الإسرائيلية في الحرب، التي من وجهة نظرهم- محسومة من اللحظة الأولى لصالح التحالف ولهزيمة العراق، ستؤدي إلى مشاركة متساوية لإسرائيل في الغنائم. وأن هذه المشاركة ، هي الضمان الوحيد لعدم وقف الحرب إلا بعد القضاء على كل البنية العسكرية -الاقتصادية للعراق. وجنبا إلى جنب مع ذلك ، يتم إضعاف الخزانة العربية (في دول البترول) وتصبح الدول العربية المشاركة في الحلف هشة توقع إلى اتفاق سلام مع إسرائيل حسب رغبة إسرائيل ومصالحها وهكذا يسهل القضاء على القضية الفلسطينية وم.ت.ف ويكون ذلك شرطا تفرضه إسرائيل على الدول المتحالفة من اوروبا

وتجدر الإشارة هنا ، إلى أن لأصحاب هذا التيار نظرة استخفاف ملحلة بالعرب وقد عبر

عن هذه النظرة بشكل فظ احد ابرز الصحفيين الإسرائيليين، يوسف لبيد (معريب ١/٢/٩١). وهو الذي شغل لفترة طويلة منصب المدير العام لسلطة البث (الاذاعة والتليفزيون) الإسرائيلية.

إذ كتب يقول، بعد أن وصف الرئيس العراقي صدام حسين بالمجرم النازي، أدولف آيخمان، ثم هاجم.

«الطبيعة الشريرة والمتخلفة» لكل الشعوب العربية والإسلامية وفي العالم الثالث «قضيتنا مع صدام حسين هي في أنه بالمرة ليس مجنونا بل أنه التجسيد السوقي للشرير الشرق أوسطي...» «وصدام حسين هو نتاج حضارة وتربية متعطشة للدم تسخر من الأخلاقيات الغربية وليس صدفة أنه خلال مئات السنين لم يسهم هذا التزاوج العربي الإسلامي أي اسهام في الحضارة الإنسانية» وكتب أيضا «صدام حسين لم يجدد في هذا شيئا ولذلك فلن تكون هناك أية فائدة، في القضاء عليه لأننا محاطون بملايين الصداميين حسين».

إن هذه الغطرسة البيضاء، هي للأسف لاتقتصر على قوى اليمين الفاشي المتطرف. إنها فكرة سائدة أيضا في الوسط الليبرالي وحتى بين أوساط يسارية صهيونية وتكفي الإشارة في هذا السبيل إلى نظرية عيزر فايتسمان «السلمية» فهي أيضا مبنية على نظرة استعلاء بيضاء «المال العربي، العقل اليهودي...» ولن نكون نزيهين إذا ما تجاهلنا بالطبع الحقيقة المؤلمة، وهي أن أنظمة الحكم في عالمنا العربي تحرص دائما على تزويد هذه النظرة بما يغذي عنصريتها ويخلد مبادئها. إن كان ذلك في السياسة التي تديرها ،وهي سياسة معادية لمصالح الشعوب العربية على الغالب، أو في استمرار الفقر والتخلف والأمية والصراعات العربية- العربية وانعدام الديمقراطية وإلى غير ذلك من الآفات المشينة التي لاتتلاءم وروح العصر.

عند نشوب حرب الخليج . ومع سقوط الصواريخ الأولى على اسرائيل، نشأ ذلك التكتل (الإجماع) القومي الصهيوني الذي نراه في كل حرب... فذابت الفوارق تماما ما بين قوى اليمين وقوى اليسار الصهيوني فأيدوا جميعا الحرب على العراق. وامتدحوا الرئيس بوش وباركوا رئيس الحكومة شامير.

لكن شامير، لم تأخذه العواطف ولم يقبل بتحويل هذه الوحدة إلى وحدة قومية فعلية في اتخاذ القرار في خطر فكرة ضم حزب العمل إلى الحكومة، بل تعامل مع هذا الحزب وبقية أحزاب اليسار الصهيوني كما تعامل مع دول التحالف العربية ورأى في وقوفها معه ضعفا يجب استغلاله للبطش بهذه الأحزاب سياسيا. فأعلن عن ضم حزب الترنسفير (زئيفي) إلى الحكومة ، وهو الحزب الذي لايختلف جوهريا عن حزب مائير كاهانا واستهتر بمواقف المعارضة من هذا الموضوع ومن سائر المواضيع السياسية اللاحقة، خصوصا فيما يتعلق بأزمة الخليج وفي إحدى المراحل (١٨/٢/٩١) ألغى ظهوره أمام لجنة الخارجية والأمن في الكنيست وأجله إلى أجل غير مسمى دون إعطاء تفسير وترك المعارضة تتخبط مرة أخرى في مواقفها. لا هي قادرة على الاختلاف معه في الموقف من الحرب، خصوصا بعد أن أعلنت معه وحدة قومية ، ولا هي قادرة على اخذ موقف جدي مستقل.

دافيد ليفي:
للتحرك الآن..

شامير:
لننتظر نهاية الحرب:

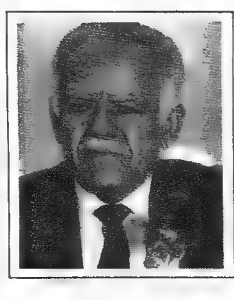

وفي أحسن الأحوال وجدنا المعارضة، ممثلة بزعيمها شمعون بيرس (١٦/٢/٩١)، تراهن على تأييد الموقف المستقل الذي اتخذه وزير الخارجية الليكودي دافيد ليفي وقد استغل شامير هذه الحقيقة ليهاجم ليفي ويهاجم فكرته حول ضرورة البدء فورا بمبادرة سياسية. مما جعل ليفي يقف مدافعا عن نفسه وموضحا: انا لم اتغير . وكل ما اقترحه هو في إطار برنامج الليكود وخاضع لموافقة الحكومة ورئيسها.

ويبدو أن دعوة ليفي لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية رغم جو التوتر الذي ساد بعد تصريحات السفير الاسرائيلي في واشنطن، جاءت لتشجيع ليفي ودعمه حتى لايتراجع عن موقفه.

بيد أن الأمر الجوهري في هذه الصورة هو أن قادة التيارات الثلاثة ليسوا على خلاف جذري يتعلق بالقضية الفلسطينية وسبل حلها، فالتيارات الثلاثة متفقة على لمس القضية الفلسطينية وتساعدها في ذلك حتى أحزاب اليسار الصهيوني التي تعلن اليوم أن على الشعب الفلسطيني أن يغير قيادته وان م.ت.ف لم يعد لها مكان في تسوية القضية

إن التيارات الثلاثة متفقة أيضا على ضرورة الاستفادة القصوى من الاصطفاف العالمي الجديد والاصطفاف العربي بشكل خاص وعلى ضرورة استغلال وقوف مصر وسوريا ودول التعاون الخليجي ضد العراق وضد منظمة التحرير الفلسطينية.

والصراع الأساسي بين هذه التيارات هو على حجم الغنائم بينما يسير دافيد ليفي على مبدأ: عصفور باليد ولاعشرة على الشجرة، فان تيار شارون يريد كل العصافير ، حية أو ميتة، وأما تيار شامير فيريد الانتظار حتى ينتهي الأمريكيون من الصيد وعندها يعتقد ،سيجمع العصافير على هواه.

من الواضح أن كل هذا التصور يخلو من حساب أي حساب للشعوب العربية ودول العالم الثالث واحتمال صمود العراق أو غيره فبالنسبة لهم كل العناصر الأخرى صفر لاأكثر وهم يركنون إلى كون العرب جيفة ميتة لا تجري أية حسابات استراتيجية أو تكتيكية وفي الحقيقة أن هذه النظرة لا تنطلق فقط من النظرة الاستعلائية العنصرية البيضاء فحسب ، إنما هي تستند إلى الإنحراف العربي المتدهق وراء الإرادة الأمريكية الأطلسية، والابتعاد بشكل مريب عن كل ما تمثله المصالح العربية.

رسالة موسكو

الناس والفلوس والحرب والسياسة

أحمد الخميسي

في لقاء تليفزيوني مع بعض العمال السوفييت العائدين من بغداد قال أحدهم:

«لقد عشنا في بغداد فترة المقاطعة الاقتصادية والاستعداد للحرب، ومع ذلك كان كل شيء تقريبا متوفرا في المحلات والأسواق، والآن بعد عودتنا، فإننا لانجد شيئا هنا، رغم أننا لانعاني من حصار اقتصادي، ولانتوقع الحرب».

والناس هنا مشغولون حتى النخاع بالطاحونة التي دارت، والتي تشدهم معها إلى أعلى وإلى أسفل. وبينما وصل عدد المتظاهرين في بعض دول أوروبا إلى مائتي ألف يحتجون على حرب الخليج، فإن الاتحاد السوفيتي لم يشهد مظاهرة واحدة شعبية كبيرة ضد الإبادة الأميركية المنظمة للشعب العراقي. باستثناء مظاهرتين رمزيتين قامت بهما مجموعة محدودة لاتتجاوز الخمسين شخصا. بينما قام الجناح الديمقراطي بزعامة يلتسين شخصيا في ١/١٩ بمظاهرة ضخمة ضمت حوالي الربع مليون، ولكن للاحتجاج على التدخل السوفيتي في ليتوانيا، ولم يتسع ضمير أولئك الديمقراطيين لنبضة أخرى، لأن قلوبهم لاتخفق إلا للسوق الرأسمالية وديمقراطية «هايد بارك». وقد كتب أحدهم وهو «بافل فيلجينجاوير» في جريدة «الصحيفة المستقلة» (١/٢٢) يقول إن مصير الديمقراطية في الاتحاد السوفيتي رهن بالانتصار الأميركي على العراق. وعلى حد قوله فإن: «نجاح الحلفاء في الشرق الأوسط- حيث يحترمون القوة والجبروت أكثر من المبادىء- سيحسم مصير الديمقراطية عامة لدينا». ذلك لأن هزيمة العراق ستمثل هزيمة للسلاح السوفيتي، وبذلك لاتحصل المؤسسة العسكرية السوفيتية على عملة صعبة من بيع السلاح، فتتدهور إمكانياتها الاقتصادية، ويمكن حينئذ القيام بمواجهة تلك المؤسسة وفرض التغييرات عليها. ويختتم مقالته بقوله: ولايبقى أمامنا الآن، إلا أن نصلي، وأن ندعو الله، من أجل النصر الأميركي العسكري الحاسم والسريع»!.

وقد رد على هذه المقالة المعلق السياسي للايزفستيا، الصحفي المعروف: «ستانسيلاف كوندراشوف» في ١/٢٦ تحت عنوان: «لايمكن النهوض دون شعور بالكرامة». فقال: «إن الشعور بالكرامة أمر غير ملموس، ومع ذلك فمن دون هذا الشعور لايمكن للمرء ولا للأمة، ولا للدولة أن تنهض واقفة على قدميها. أحيانا أفكر في ذلك وأنا أتابع تغطية حرب الخليج في صحفنا. وهي تغطية يصعب عادة أن تميزها عن التغطية الأميركية، والمواد المنشورة والمرئية تغفل من الحرب عادة أهم مافيها، وهو الموت والدم الذي لايبدو في الصور. وأنا شخصيا لا أعرف «بافل فلينجنجاور»، ولكنني أشعر- إذا لجأنا لكلمة مهذبة- بالخجل من أناشيد المديح التي أطلقها في تمجيد الآلة العسكرية الأميركية، وبالخجل من الصفعات التي انهال بها على كل ماهو سوفيتي. وهذا السلوك، الذي صار قاعدة الآن للصحافة الجديدة، لايكشف إلا عن انعدام الكرامة لدى أصحابه. ولست ضد النقد، وليكن النقد كاسحا، ولكن باحترام لشعبك، لأنه من دون ذلك لايمكن للمرء أن يحترم نفسه. نعم.. نحن نمر بأزمة طاحنة، لكن أرضنا وبلادنا مازالت بين أيدينا وبوسعنا إصلاح مافسد. لكن البعض يؤكدون لنا أن الحرب الأميركية في الشرق الأوسط هي التي ستقرر مصيرنا، وأنه إذا نجح الأميركان في حربهم الخاطفة ضد صدام حسين فستأتينا الديمقراطية ويحل الرخاء علينا! وكنت يوما مراسلا للايزفستيا في واشنطن، حينما كانت أميركا تحارب في فيتنام، وحينذاك أطلق عقيد أميركي- دون قصد- عبارة مثلا، وذلك حين قال: «كان ينبغي تدمير هذه المدينة لكي ننقذها». وكان يقصد بالطبع مدينة فيتنامية. ولاضير في أن نذكر من يهللون للانتصارات الأميركية بهذه العبارة».

وكانت حرب الخليج مختبرا للسياسة السوفيتية، فتدافعت من حولها وتشكلت مختلف التيارات الفكرية والسياسية الداخلية. فالحرب التي تحس من ناحية أنها بعيدة عن الاتحاد السوفيتي، تحس من ناحية أخرى أنها قريبة جدا منه، وأن السياسة السوفيتية الجديدة تنصهر في قيظ الخليج، وتتشكل في الصحارى البعيدة. فالموقف من الحرب موقف من العلاقة مع أميركا، والموقف من الحرب يعني أن تصل المساعدات الغربية أو لاتصل للاتحاد السوفيتي، والموقف من الحرب هو موقف من العالم الثالث بكل ماقد يحركه ذلك من تداعيات أيديولوجية عن دعم ومساعدة العالم الثالث. وبهذه المناسبة ذكر البروفيسور «كيريلوف» في ندوة عن الخليج في ٩١/٢/٦ بأن معاهدة الصداقة السوفيتية العراقية الموقعة عام ٧٢ تشتمل على بند رابع ينص على الكفاح المشترك لطرفي المعاهدة ضد كافة أشكال الصهيونية والإمبريالية.

وقد عكست التيارات المختلفة مواقف

قوى متعددة- ليس من الحرب بحد ذاتها- وإنما من الحرب بالقدر الذى تمثل فيه عاملا هاما يشكل مسيرة المجتمع السوفيتى الجديد. وبقدر ماشكلت الأوضاع الداخلية المتدهورة عاملا لتحديد التوجه فى الاقتصاد، بقدر ماشكلت حرب الخليج عاملا لتوضيح التوجه فى السياسة، وقد تضافر هذان العاملان واختلطا بحيث جرت فى نفس اللحظة تقريبا الإطاحة برأس شيفرنادزه مبدع سياسة التنازلات الكبرى المجانية، ورأس أخيه ريجكوف مصمم خطط الغلاء المقنع بعبارات الضمان الاجتماعى.

وقد تحمس قسم كبير من الكتاب والصحفيين والسياسيين للحرب فى الخليج، انطلاقا من حرصهم على النظام العالمى الجديد، وعلى الموقف السوفيتى الأميركى المشترك، وعلى الاندفاعة السوفيتية نحو ما يسمونه هنا «العالم المتحضر» وكانوا فى ذلك يؤيدون سياسة وخط الدولة الحريصة على العلاقات مع دول الغرب الرأسمالية. ولم تكن الحرب بالنسبة لأولئك إلا موقف يؤكد على التوافق السوفيتى الأميركى.

ووقف قسم آخر من الكتاب الروس ضد الحرب، باعتبارها تمثل خطر انجرار الجيش السوفيتى للمشاركة فيها، وطالب ذلك الجناح القومى الروسى بعدم الزج بأبناء الشعب الروسى فى حرب لاناقة له فيها ولاجمل، ولايمثل دخول الجيش السوفيتى فيها إلاترضية لطموح الدولة للهيبة العسكرية.

ووقف بعض رجال الدولة ضد الحرب انطلاقا من حساب المصالح الاقتصادية وغيرها، وتأسف بعضهم لأن دول الخليج لم تطلب من الاتحاد السوفيتى المشاركة رسميا بقوات عسكرية، ومادام الحال كذلك، فمن الأفضل إذن استمرار المحافظة على العلاقات مع العراق، وخاصة أنها كانت توفر للاتحاد السوفيتى مليار دولار سنويا.

أما الكتاب الصهاينة، فقد دقوا طبول الحرب، وطالبوا الدولة بالتدخل الحاسم ضد العراق، وقطع العلاقات الدبلوماسية معه ومع منظمة التحرير باعتبارها تناصر صدام حسين، ووجدوا فى الحرب فرصتين، الأولى أن يردوا الدين للولايات المتحدة التى شملت الحركة الصهيونية واليهودية السوفيتية برعايتها، والثانية أن يتم تصفية أهم قوة عسكرية عربية قد تعرض أمن إسرائيل للخطر مستقبلا. واستدرت أقلام كثيرة عطف القراء على الجنود الأميركيين الشباب الذين أرغمهم الإجرام العربى على مفارقة ذويهم دفاعا عن الحرية أينما كانت!. واستعانوا فى هذه

جورباتشوف

الدعاوى المحمومة للقضاء على النظام العراقى بمختلف الحجج، بدءا من أهمية النظام العالمى الجديد، إلى خطورة التسليح النووى (حينما يكون لدى العرب فقط). ويكتب «بوريس بوليفوى» فى العدد ٣٥ من مجلة الأزمنة الحديثة فيقول: «إن لصوص بغداد لايتورعون عن مختلف السرقات الرخيصة لمكونات إنتاج الأسلحة الكيميائية من الغرب.. لتطوير أسلحتهم، الأمر الذى يتنافى مع كافة القوانين الدولية، ولنتذكر أن هتلر نفسه لم يتجاسر على استخدام الغازات المحرمة أثناء الحرب العالمية، بينما تنتج بغداد أكثر من أربعة أطنان من هذه الغازات شهرياً».

ولايخفى الصهاينة فيما يكتبونه خشيتهم من الآمال القومية العربية التى قد ينجح صدام حسين فى تحريكها، ولايخفون أيضاً انزعاجهم من طرحه لقضية الوحدة، وتحرير الأراضى العربية المحتلة. ويكتب «ليونيد فاسيليف» فى «الأزمنة المعاصرة» فى عدد ٩ فبراير فيقول: «كان لابد للنظام العراقى الشمولى والمسلح حتى قمة رأسه والمعادى لكل ماهو قومى أن يبدأ الحرب» (وكأن إسرائيل ليست نظاماعنصريا مسلحا وشموليا)، ويقول: «إن أحد الأسباب الهامة لاستقالة شيفرنادزه هو المطاردة العلنية لسياسته فى الشرق الأوسط، واتهامه باتخاذ موقف مستسلم للغرب» ويقول: «إن المطالبة بإيقاف إطلاق النار، ووقف الحرب، لايعنى فى الحقيقة إلا استمرار الاحتلال العراقى للكويت» ويمضى بعد هذا فيدعو للقضاء على «الأصوليون المسلمون» الذين أيدواصدام، لأن: «الأصولية الإسلامية تتميز بعدوانية واضحة». ويحتج «ليونيد فاسيليف» على التحفظات السوفيتية على الحرب، وعلى ماتحاوله السياسة الخارجية من إعلان للحياد فى تلك الحرب، ويحتج أيضاً لأن التليفزيون لايبث بصورة كافية المظاهرات المؤيدة للحرب!.

وتكتب الايزفستيا فى ٨/١٧ عن الزعيم العراقى إنه: «قاتل نافذ البصيرة، بارد الدماء، ولد والمسدس بيده»، وتشبه الزعيم العراقى بهتلر وإنه: «إنسان يبعث على الرعب فى بلاده»، وتنتهز الفرصة للتعرض بالزعيم المصرى عبد الناصر فى سياق الحملة على زعامات العالم الثالث، فتقول: «إن صدام قد هرب إلى سوريا فى فترة من حياته، واعتقل هناك، ولكن عبد الناصر ساعده على الهروب واللجوء للقاهرة».

أما الجناح التقليدى (مايسمى الآن بالجناح المحافظ) فيطالبون الاتحاد السوفيتى بالخروج من دائرة التأثير الأميركى، والوقوف مع النظام العراقى، ويصل حماسهم للعراق حد أنهم يؤكدون أن العراق سينتصر فى تلك المعركة على الولايات المتحدة معددين أسباب ذلك وأولها أن العراق يحارب على أرضه ودفاعا عن وطنه، مؤكدين أحيانا أن الكويت ليست إلا محافظة عراقية خضعت للتقسيم البريطانى الاستعمارى. ويتخذ هؤلاء من

حرب الخليج فرصة للهجوم على السياسة السوفيتية الجديدة، ويقول الجنرال «فيلاتوف» رئيس تحرير المجلة العسكرية فى ٦/٢: «إن تاريخ دولتنا الحديث كله لم يعرف وزارة خارجية بمثل غباوة وزارة شيفرنادزه، وأن الحسابات العسكرية الأميركية فى حرب الخليج حسابات خاطئة ونتيجة لها منيت القوات الأميركية بهزيمة واضحة حتى الآن». وإن الوجود الأميركي فى الخليج قد وضع العرب بين كفي كماشة، وبين نصف مليون جندي أميركي، ونصف مليون جندي إسرائيلي. وأن ميزان المصالح الدولية يختل بوضوح عند الحدود الجنوبية السوفيتية. وأن القيادة العسكرية قد تنبأت بطابع الحرب باعتبارها حرباً جوية، أساسا، وهو الأسلوب الأميركي المتبع منذ حرب «دريزدن» فى ألمانيا، ثم الحرب الكورية، ثم الفيتنامية. وأن الجيش السوفيتي قد نبه القيادة السياسية إلى أن حربا جوية مثل هذه، لن تعني إلا عملية إبادة جماعية للشعب العراقي.

ولكن هيئة أركان شفيرنادزه ضربت عرض الحائط بكل ماقلناه لها. أما دور الحزب الشيوعي السوفيتي فقد كان باهتا، وغير واضح، أو على الأقل غير مؤثر. وقد أشار «اليج فومين «» – من القسم الايديولوجي فى الحزب– إلى أن دور الحزب وموقفه يختلف قليلا عن موقف الدولة الرسمي. وأن الاجتماع الموسع الأخير للجنة المركزية قد ندد بعملية الإبادة الجماعية للشعب العراقي. وأن أحد المسئولين الحزبيين قد قال: «إن أميركا تقف بإحدى قدميها فى باناما، وبالقدم الأخرى فى جرينادا، وتريد أن تسيطر على العالم».

ولكن كاتبا صحفيا، لامعا، مثل: «إدوارد فالودين» يقول: «أولا اود أن أشير إلى أنني عضو بالحزب الشيوعي السوفيتي، وثانيا أود أن أؤكد عدم رضائي عن سياسة الحزب بالنسبة للحرب، فقد اتخذ اجتماع اللجنة المركزية الأخير قرارا بتشكيل لجنة خاصة لمتابعة الحرب الدائرة. وهو أقصى ماتوصل إليه الحزب. ولكن تلك اللجنة يمكن مقارنتها بتشكيل لجنة لبحث زراعة القمح فى سيبيريا. وكان لابد لذلك الاجتماع الموسع أن يطالب الحكومة أولا بأن تتقدم الحكومة بطلب لعقد اجتماع لمجلس الأمن، وفى هذا الاجتماع يقوم المندوب السوفيتي بسحب موافقتنا على القرار ٦٧٨ انطلاقا من أن أميركا قد تجاوزت حدود القرار وانتهكته. وكان من شأن هذه الخطوة أن تصحح خطأين اثنين وقعنا فيهما. الخطأ الأول أن قيادة البلاد، والخارجية السوفيتية قد قامتا بالتصويت لصالح قرارات الحظر والمقاطعة، فتلك القرارات موجهة ضد الشعب العراقي وليس ضد النظام العراقي. والخطأ الثاني هو موافقتنا على القرار ٦٧٨، يعني أن الاتحاد السوفيتي قد انضم سياسيا للحرب على العراق وإن لم يشارك عسكريا، وهنا فإنني معني كمواطن روسي بأن يستعيد الاتحاد السوفيتي سمعته ودوره السياسي».

ويقول «شيكاتيخين» فى صحيفة «سوفيتسكايا روسيا»– معقل الصحافة الوطنية الآن– فى ٢/٢: «أثار وجود دولة عراقية قوية فى المنطقة حنق الولايات المتحدة وإسرائيل، ولما بدأت قبل حرب الخليج بزمن طويل الحرب على سلطة الرئيس العراقي، ويشهد بهذا مسلسل طويل من المؤامرات التي استهدفت تغيير النظام العراقي بنظام آخر. أما فيما يتعلق بضرب إسرائيل بالصواريخ العراقية فهو أمر غير مستغرب، فإسرائيل هي المذنب الأول فى كافة التعقيدات والمصاعب التي تمر بها المنطقة». يقول عن مستقبل الحرب: «إنها لن تتوقف مالم تطأ أقدام الجنود أراضي الخصم العراقي، ومالم يتحطم جيشه أو يستسلم، ومالم تختنق تماما أية إمكانية شعبية لشن حرب فدائية، اللهم إلا إذا حدث وقف متزامن للعمليات العسكرية».

شيفرنادزه

وقد ارتبكت السياسة السوفيتية سياسيا كما ارتبكت اقتصاديا وهي تتجه نحو إعادة ترتيب أوضاعها على ضوء المثل الجديدة، والعلاقات الاقتصادية الحرة. ووفرت المغامرة العراقية للسياسة السوفيتية فرصة ذهبية لتقف– وهي نصف محقة– فى الجانب الآخر. ولكن المهتمين بحرب الخليج يدركون أن خطورتها هي فيما تمثله من بلورة لاتجاه السياسة السوفيتية، على العكس من حالة أخرى شائعة بين الجمهوريات السوفيتية المسلمة التي ينصب غضب الناس فيها على الحرب نفسها، وعلى الولايات المتحدة وإسرائيل. وفى برنامج تليفزيوني سأل المذيع شيخ الإسلام ماوراء القفقاز عن موقف الدين الإسلامي من الحرب، فقال له: «الدين الإسلامي دين سلام وحق، وخير، ولايدعو للحروب»، فأراد المذيع أن يوقعه فى الحرج فسأله: «كيف إذن يصلي صدام حسين ويدعو الله أن ينصره قبل أن يشن عدوانه على الكويت؟». فأجاب بحدة: «ولكن الرئيس الأميركي أيضا قد صلى ودعا الله قبل أن يقصف بغداد وسكانها بقنابله»!.

ومع ذلك، ورغم خطورة الحرب الخليجية، فإن العامل السوفيتي العائد من بغداد قد عكس انشغال الناس الرئيسي، حينما لم يلفت نظره– فى المقارنة بين بغداد وموسكو– إلا أوضاع المعيشة وغياب السلع الأساسية.

وفى رسالة موسكو بالعدد التاسع من اليسار، عرضت تحت عنوان «انقطاع الخيط الأخير» لسبع خطط اقتصادية، آخرها هي الخطة السابعة التي تقدم بها جورباتشوف لمجلس السوفييت الأعلى ونشرتها الصحف فى ٩٠/١٠/١٧ بعنوان: «الاتجاهات الرئيسية لتثبيت الاستقرار الاقتصادي والانتقال إلى السوق، «وهي الخطة التي أقرها– بعد نشر الرسالة– مجلس السوفييت فى نهاية دورته فى أواخر أكتوبر وأوائل نوفمبر من العام الماضي.

وتكتفي الخطة بوضع الخطوط الأساسية، تاركة لكل جمهورية مهمة وضع برنامج تفصيلي. وتفترض الخطة أن الفترة اللازمة لتطبيقها هي سنة ونصف السنة، وهي نفس الفترة التي منح فيها الرئيس صلاحيات إضافية. ويتوزع تنفيذها على أربع مراحل (لكل مرحلة أربعة أشهر تقريبا) المرحلة الأولى (برنامج الإجراءات الاستثنائية) وأهم نقاطه نزع ملكية الدولة وتمليك الأفراد، وإعادة بناء النظام المصرفي وخفض العجز فى الميزانية. وتشير الخطة إلى أن أصعب شيء فى هذه المرحلة هو: «وقف ارتفاع الأسعار».

المرحلة الثانية (قيود مالية ونظام مرن للأسعار)، وتقول الوثيقة إن: والمحتوى الرئيسى لهذه المرحلة هو الانتقال المستمر والتدريجي إلى أسعار السوق فيما يتعلق بمجموعة كبيرة من المنتجات والسلع الاستهلاكية، على أن تظل الأسعار الحكومية الثابتة لما لا يقل عن ثلث السلع كالوقود والخامات والمواد. وتتسع عملية نزع ملكية الدولة ولتأمين العلاقات الاقتصادية يقام نظام حكومى للعقود يعولى عملية طلبيات الدولة على أساس تعاقدى وتوزيع المنتوجات على أساس الطلبيات. (أى أن تحجز الدولة مثلا مائة ثلاجة من المصنع بالسعر الذى يناسب المصنع). أما المرحلة الثالثة فهى (تشكيل السوق) ويدور الحديث هنا عن توسيع مجالات علاقات السوق، والمضى فى إطلاق الأسعار، وازدياد المنافسة والنشاط الاستثمارى وإلغاء القيود على إمكانيات الكسب، أما المرحلة الرابعة والأخيرة، فهى (استكمال مرحلة الاستقرار)، وتحدد الخطة أولوية خلق بيئة تنافسية، وقطع شوط طويل فى تحرير الاقتصاد من احتكارات الدولة ونزع ملكيتها، وتحويل الروبل لعملة حرة تحويل، مما يؤدى لفتح الأبواب لتدفق العملات الحرة الأجنبية وتنص الخطة على «إجراء تغيير جذرى على نظام الدعم».

ونتيجة للبدء فى تنفيذ هذه الخطة ارتفعت الأسعار بالمقارنة لما ورد فى رسالة العدد التاسع لليسار بنسبة ستين بالمئة فى المتوسط حسب تصريح رئيس الوزراء الجديد بافلوف فى ٢/١٨. ولكن نسب الزيادة أعلى من ذلك بكثير. سواء فى الزيادة الحكومية الرسمية، أو الناتجة من إطلاق أسعار التعاقد.

السلعة	سعرها قبل تنفيذ الخطة	بعد تنفيذها الآن
الخبز	————	زيادة الضعف فى مخابز القطاع الخاص
الدقيق	٤٠ كوبيك الكيلو حكومى	١.٨٠ روبل حكومى
حبوب	٥٥ كوبيك الكيلو حكومى	٥.٥٠ روبل قطاع خاص
الارز	٨٨ روبل العلبة حكومى	٨ روبل قطاع خاص
معجون الطماطم	٣ روبل العلبة حكومى	١٢ روبل حكومى
الملح	١٠ كوبيك الكيلو حكومى	٢ روبل قطاع خاص
السكر	بالبطاقات فقط.	
الكبريت	١ كوبيك العلبة	٥ كوبيك حكومى وخمسين خاص.
لحم الخنزير	٣ روبل الكيلو حكومى	١٢ روبل حكومى
أسماك عادية	٥٠ كوبيك الكيلو حكومى	٥ روبل حكومى
سمك أحمر	٣٠ روبل الكيلو حكومى	٥٠ روبل حكومى
كافيار أسود	٤ روبل مائة جرام حكومى	٤٠ روبل حكومى
كافيار أحمر	٤ روبل مائة وثلاثين جرام حكومى	٢٦ روبل حكومى
كافة أنواع الخضروات	زيادة من ٤٠٪ إلى ٦٠٪	حكومى
الاجهزة الكهربائية	مُسجل ٧٦٠ روبل حكومى	١٧٠٠ روبل حكومى
مطحنة بن كهربائية	١٥ روبل حكومى	٤٠ روبل حكومى
مكنسة كهربائية	٥٢ روبل حكومى	١٦٠ روبل حكومى

علاوة على الثلاجات وكافة الأدوات الكهربائية ذات الاستخدام الطويل الأمد والتليفزيونات، والمنتوجات الكيمياوية (الشامبو والصابون والكريم)، كما زادت إلى أكثر من الضعفين أيضا أسعار الملابس والأحذية والأقمشة، والمواصلات العامة فى الكثير من المدن، وزادت الضعف كافة المكالمات التيليفونية الخارجية، وأسعار الخدمات العامة، وتذاكر القطارات والطائرات.

وإذا دقق القارىء النظر فى مدى ارتفاع الأسعار- خلال يناير وفبراير فقط- فسوف يحس بالدوران السريع للطاحونة التى تشد معها المواطنين البسطاء. وهذا كله فى المرحلة الأولى فقط من الخطة التى أقرها مجلس السوفييت والمعروفة باسم خطة جرباتشوف.

وتتفق هذه الخطة فى أغلب خطوطها مع النصائح التى أدلى بها صندوق النقد الدولى فى شكل برنامج لأنقاذ الاقتصاد السوفيتى، وكان الاتحاد السوفيتى قد اتفق فى أواسط الشهر الأخير من السنة الماضية مع البلدان الرأسمالية السبع على أن تقوم الهيئات المالية الدولية (صندوق النقد والبنك الدولى للإنشاء والتعمير) بوضع دراسة عن الاقتصاد السوفيتى لتحديد المساعدات الغربية للبيرسترويكا.

وقد نشرت مجلة «الأزمنة المعاصرة» عدد فبراير برنامج صندوق النقد تحت عنوان: الهدية الأخيرة لموسكو». وأشارت إلى أن العديد من الخبراء السوفييت قد شاركوا في جلسات المناقشة التي سبقت إعداد هذا البرنامج، والتي جرت في عدة عواصم أوربية (موسكو واشنطن بروكسل). وقد كلفت قمة الدول الرأسمالية السبع والتي عقدت في يوليو ١٩٩٠ في هيوستين، الخبراء المختارين من الدول الأوربية بالقيام بدراسة تحليلية تفصيلية للاقتصاد ووضع التوصيات اللازمة وتحديد الإصلاحات الضرورية التي تكفل الدور الفعال للمساعدات الغربية.

وقد انتهى عمل الخبراء إلى التوصيات التالية (١) إكساب المصانع الحكومية والمؤسسات الطابع الاستثماري ووضع النقاط على الأحرف بالنسبة لقضية الملكية الخاصة وتشجيع الملكية الخاصة في كافة القطاعات. (٢) إطلاق الأسعار وتحريرها في بيئة من التنافس التجاري وإدخال تعديل جذري على الأسعار الحالية(٣) تحديد سعر صرف واقعي للروبل تجاه العملات الأخرى. (٤) وضع المقدمات القانونية والشرعية الضرورية لتلك الإصلاحات. وينصح برنامج صندوق النقد الدولي بإشاعة التعامل بالدولار وهو ما يسمى بـ: «دولرة الاقتصاد».

وفي بداية العرض الذي تقدمه مجلة «الأزمنة المعاصرة» لبرنامج صندوق النقد الدولي، يقول «بوريس بينسكر»: «لا أظن أن أحدا اليوم يستطيع أن يأخذ على عاتقه مهمة توضيح ما الذي يجرى في حياتنا الاقتصادية، بل ويبدو إن القمة الاقتصادية القيادية هي نفسها قد فقدت الاتجاه. وعند تعداد إنجازات البيرسترويكا التي لاتضارع: الانفراج الدولي، والعلنية، فإننا نغفل عادة ما حبانا الله به من موهبة استدرار التعاطف وتلقي الهدايا. وآخر هذه الهدايا هو برنامج صندوق النقد الدولي».

وأخذت نتيجة لكل ذلك تشيع عملية التمايز الاجتماعي الحاد، وهجرة فئات كثيرة لمواقعها التي لاتكفل لها في ظل هذه الأسعار الحد الأدنى الفعلي للأجور، وأغلقت مصانع كثيرة كبيرة وخاصة في لينينجراد وغيرها. وبينما ضحت الدولة بشيفرنادزه وبيجكوف، فإنها تواصل سياستها في الخارج والداخل. ويعلن الغلاء حربه على المواطنين، بحيث ينشغلون فعليا عن الحرب الأخرى الواقعة بعيدا عن الاتحاد السوفيتي وقريبا جدا منه، وعن الصلة بين القنابل وأسعار الخبز.

ديمقراطية اجتماعية للاتحاد السوفيتي

بقلم فيودور بورلاتسكي

عضو البرلمان السوفيتي
ورئيس تحرير الجازيت الأدبي

ديمقراطية اجتماعية للاتحاد السوفيتي؟

بقلم فيودور برلاتسكي عضو البرلمان السوفيتي ورئيس تحرير الجازيت الأدبي

نشرت الجازيت الأدبية هذا الأسبوع مقالا بقلم كل من ستانسلاف شاتالين (واضع خطة الـ ٥٠٠ يوم للإصلاح الاقتصادي)، وسيرجي الكسييف رئيس المحكمة الدستورية، وكاتب هذه السطور. وفي هذا المقال دعونا إلى إنشاء منظمة جديدة تدعى «الديمقراطية الاجتماعية» والتي يمكن أن تتطور إلى جناح إصلاحي للحزب الشيوعي وإن كان من الممكن أن نجد مؤيدين عديدين لها خارج هذا الحزب، وكل هؤلاء يشكلون مايمكن تسميته «التحالف الديمقراطي الاجتماعي».

ونحن نرى في هذا التحالف -بداية- جناحا للحزب الشيوعي، ثم يتطور إلى حزب كبير ذي توجه ديمقراطي اجتماعي وليس اشتراكيا.

لمدة سبعين سنة من التاريخ السوفييتي (وأكثر من ثلاثين سنة من الخبرة في أوربا الشرقية والصين) انتهى نموذج «الديمقراطية الاشتراكية» إلى ثلاثة مبادئ: ملكية الدولة، طغيان حزب واحد أي الحكم السلطوي، ثم الايديولوجية الماركسية اللينينية. ونحن نرفض هذا النموذج الذي قضى على حياة الملايين من البشر وأوصل بلادنا إلى حافة المجاعة. وعندما يعيد جورباتشوف تأكيد ولاءه للاشتراكية فإننا نهز رؤوسنا في دهشة. فأي اشتراكية هذه التي يفكر فيها؟

الاشتراكية التي كانت موجودة فعلا أم تلك التي كانت في أذهان منظري القرن التاسع عشر؟

في مقابل ذلك فإن الديمقراطية الاجتماعية تضمن أولا الحقوق الاقتصادية والمدنية والسياسية للفرد بما في ذلك حقه في الملكية الخاصة كأساس للاستقلال السياسي والحرية. وأفكارنا قريبة من خبرة وبرامج أقطار مثل السويد والنمسا والحركة الاشتراكية في ألمانيا وفرنسا وإسبانيا وبريطانيا العظمى. والديمقراطية هنا هي العامل الأساسي فهي التي تضمن الحماية الاجتماعية للشرائح الأكثر حرمانا، وهو أمر أساسي للثقافة السياسية لشعبنا.

ماذا يعني هذا عمليا على ضوء وقائع اليوم؟

لقد احتججنا على اللجوء إلى القوة العسكرية في البلطيق و نحن نحزن عندما يفقد البشر حياتهم نتيجة لهذا. ونحن نعتقد أن محاولة حل المشاكل العرقية المعقدة بالدبابات والمدافع الرشاشة هو جريمة وخطأ مأساوي، ونرى أن هذا المنهج سوف يؤدي إلى دمار الاتحاد.

ونحن نؤيد تحول الاتحاد السوفيتي إلى جماعة اقتصادية، نوع من السوق المشترك-

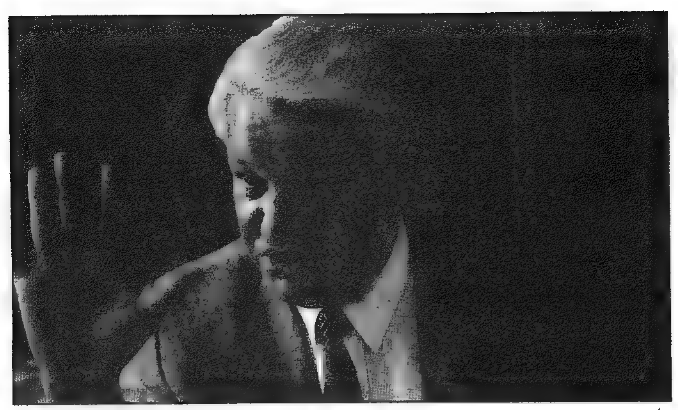

يلتسن

وهو ماترغب فيه كل الجمهوريات- يؤدى فى النهاية إلى اتحاد اختيارى مرن لجمهوريات ذات سيادة. ونحن ندعو للعودة إلى برنامج الخمسمائة يوم للإصلاح الاقتصادى والتحول التدريجى إلى اقتصاد السوق.

ونحن نعارض النظام السوفيتى للسلطة الذى كان دائما قائما على مبدأ حكم الحزب الواحد، ونؤيد الانتخاب المباشر لبرلمان البلاد ورئيسها.

إننا نؤيد اتباع سياسة خارجية متسقة- وهى ماسماه جورباتشوف مرة التفكير الجديد: أى التعاون السوفيتى الأمريكى، والجهود المشتركة للمجتمع الدولى, كما حدث فى الخليج مثلا.

هل من الممكن أن تبدأ مثل هذه الحركة الديمقراطية الاجتماعية البديلة؟

فى رأينا : نعم.. خصوصا إذا كانت مؤيدة من رجال ذوى مقدرة مشهودة من الذين تركوا سفينة البيروسترويكا الغارقة- رجال مثل إدوارد شيفرنادزه والكسندر ياكوفليف وفاديم باكاتين ونيكولاى بتراكوف.

وإذا كان جورباتشوف يفكر فى إعادة بناء المجتمع فعليه أن يهتم بدعم هذا الجناح الديمقراطى. وإلا فإنه سوف يصبح أسير القوى الرجعية التى تحاول دفع البلاد إلى الدكتاتورية.

فى مؤتمر الحزب الثامن والعشرين مؤخرا كانت هناك فرصة لتقنين وتأسيس الجناحين اليمينى واليسارى الموجودين بالفعل داخل الحزب الشيوعى ، أى أنصار الايديولوجية الشيوعية و الديمقراطيين الاجتماعيين ،لكن جورباتشوف لم يكن على قدر من الشجاعة لكى يفعل ذلك وبالتالى فإن الأصوليين الشيوعيين استطاعوا تدعيم مواقفهم بإنشاء الحزب الشيوعى الروسى. ولقد شكلت منبرا للديمقراطية الاجتماعية ،لكن فى النهاية خسرت بفارق خمسين صوتا، الأمر الذى يبين توازن القوى فى الحزب. وقد أعقب ذلك أن ممثلى الاتجاه الديمقراطى الوسطى- كما يسميهم شفرنادزه- تفرقوا فى اتجاهات مختلفة عديدة- وقد فشلوا فى تدعيم مواقفهم داخل الحزب وخارجه. كما أنهم أوضحوا أنهم ليسوا مستعدين لمواجهة مهام العمل السياسى.

وفى نفس الوقت تحول متطرفو الصناعات العسكرية إلى الهجوم . وهم على وجه الخصوص قلقون من التخفيضات فى الصناعات العسكرية والميزانية العسكرية. وهم محبطون بسبب سحب قواتنا من دول أوربا الشرقية وبسبب الوحدة الألمانية ، ولهم وجهة نظر مختلفة عن حرب الخليج.

ويجد جورباتشوف نفسه فى وضع صعب جدا، وقد انكمشت شعبيته وسط الأمة بينما تنمو شعبية بوريس يلتسين، ويشعر جورباتشوف بالاحباط من هؤلاء الديمقراطيين الذين أدخلهم معترك السياسة فإذ بهم يهاجمونه وأحيانا يطالبون باستقالته. والرأى العام يطالب بالنظام فى توزيع الطعام وبدرجة أكبر من الأمان الشخصى وبتهدئة الصراعات العرقية

تلك هى الحوافز الحقيقية والنفسية للرجوع إلى سياسة لينينية داخلية.

فجورباتشوف يحاول تحقيق استقرار فى الاقتصاد وكبت للصراعات العرقية بالقوة أو حتى باستخدام القوات المسلحة وإذا وضعنا فى الاعتبار ميله للحلول الجزئية فإننى لا أعتقد أنه قادر على أن يمضى طويلا فى هذا الطريق، بل إن الأحداث سوف تفلت من السيطرة. ولأول مرة منذ سبعين عاما أصبح الجيش قوة سياسية.

وإذا لم تدعم حركات سياسية بديلة فسوف ينتهى هذا الوضع إلى هزيمة للديمقراطية. وعندئذ فإن شبح عام ١٩٦٤- عندما نجحت القوى الرجعية فى استبدال خروتشوف-سوف يخيم على البلاد وعلى جورباتشوف ذاته

نشرت هذا المقال فى صحيفة الواشنطن بوست فى أوائل فبراير وأعيد نشره فى مجلة الجارديان الأسبوعية (عدد ١٠ فبراير)

فكر

العدوان على العراق :

دفاع عن نظام عالمى جديد.. أم ردة إلى نظام إستعمارى رث ؟

د. فوزى منصور

«قد يبدو ذلك أمر غير أخلاقى لكنه يذهب إلى كبد الحقيقة والحقيقة أن هناك»
«صداما فى المصالح بين العالم الأول والعالم الثالث. وليس هناك نظام عالمى مقبول من العالم الأول يستطيع أن يعتمد على ماتوصى به المؤسسات الدولية (مثل الأمم المتحدة)
«التى تسيطر عليها أغلبية من العالم الثالث. وعاجلا أو آجلاًسوف يلقى العالم الثالث
«بالتحديات فى وجه العالم الأول، لكن لو انتهت حرب الخليج كما بدأت فلن يكون هناك شك»
«فيمن هو السيد الآن، على الأقل حتى جيل آخر» (التشديد فى كلمتىْ أن هناك «ورد فى الأصل الانجليزى.

هذه العبارات لم يكتبها منظر للعالم الثالث أسير أوهام فكرية عن طبيعة العالم المعاصر والصراعات التى تدور فيه، وإنما وردت فى افتتاحية على خمسة أعمدة كتبتها جريدة الصنداى تلجراف، المعبرة الصادقة عن فكر المؤسسة الحاكمة فى بريطانيا بعد انطلاق عدوان التحالف الغربى الذى تقوده أمريكا على العراق بيومين.

ورغم أن الجريدة العريقة اختتمت افتتاحيتها ببيت شهير من الشعر الإنجليزى بعد تحويره ليلائم المناسبة الدموية التى كتبت فيها : «مبارك فى هذا الفجر أن يكون المرء حيا ، لكن أن يكون رجعيا أيضا فذلك وأيم الحق نعيم الفردوس»، رغم ذلك ورغم الصراحة الفاضحة التى تنضح بها هذه الخاتمة، فلم تكن تلك السعادة الغامرة بنشوب الحرب مجرد نشوة وقتية طارئة عجزت الجريدة الوقورة عن التحكم فيها ولكنها كانت التعبير الدقيق الأكثر صدقا عن فكر المؤسسات الحاكمة فى الغرب بالنسبة لحقيقة المهمة التى أصبحت تنتظرها بعد انتهاء دور الاتحاد السوفيتى كقوة موازنة لعدوانية الغرب ومساندة (بصرف النظر عن الأسباب والبواعث والتعرجات) لقضايا وشعوب العالم الثالث: مهمة تحجيم العالم الثالث، والانقضاض على العديد من المكاسب التى كان قد استطاع تحقيقها فى عهد توازن القوتين العظميين، وتحطيم إرادة شعوبه المقاومة للخطط البعيدة المدى التى توضع لتحقيق المزيد من السيطرة عليه واستغلاله.

لقد كان العقد التاسع من قرننا الحالى عقد تراجع العالم الثالث أمام الهجمات المتتالية من الغرب على كافة الجبهات، بعد عقود ثلاثة من التقدم شبه المنتظم: فعلى الجبهة الاقتصادية تضاعفت فى هذا العقد ديون العالم الثالث أضعافا مضاعفة ووصلت إلى أرقام فلكية كان يصعب فى الماضى تخيلها، وأصبحت تستخدم الآن بواسطة المصارف والشركات المتعدية الجنسية لشراء الأصول الإنتاجية المملوكة للعالم الثالث (الأراضى، المصانع، المرافق..الخ) بأثمان بخسة، مستعيدة بذلك عهد السيطرة الاستعمارية المباشرة على موارد العالم الثالث، وتدهورت معدلات التبادل التجارى بين الشمال والجنوب حتى إن سلعة حيوية مثل البترول وذلك مجرد مثال من أمثلة أخرى كثيرة أصبحت تباع فى أواخر الثمانينيات بأسعار حقيقية أقل كثيراً من أسعارها فى أوائل السبعينيات، أى قبل الثمانينيات وقبل حرب أكتوبر وتكوين الأوبك، وزادت قبضة

المؤسسات النقدية والمالية الدولية على اقتصاديات عدد أكبر من بلدان العالم الثالث وتمهيدت أسلحتها لإخضاع تلك البلدان لاستراتيجيات التنمية التي تخدم مصالح العالم الأول وتزيد من إفقار العالم الثالث، وانتشرت المجاعات غير المسبوقة تاريخيا في مناطق واسعة من هذا العالم، وأجهضت تماما محاولات بلدان العالم الثالث لإقامة نظام اقتصادي عالمي جديد، كانت قد نجحت في السبعينيات في تعبئة أقسام واسعة من الرأي العام الدولي حول مبادئه وحملت الجمعية العمومية للأمم المتحدة على إصدار عدد من المواثيق والإعلانات الدولية ذات القيمة المعنوية في شأنه، وتراجع دور «الأنكتاد» المنظمة الوحيدة داخل الأمم المتحدة التي كانت تتبنى قضايا العالم الثالث الاقتصادية وتقدم لها الدراسات والمعونات الفنية، واستطاعت الولايات المتحدة أن تفرض في منظمة «الجات» على العالم الثالث المعارض وجهة نظرها حول تحرير التجارة في الخدمات، مهيئة بذلك السبيل لسيطرتها الكاملة على المصارف وشركات التأمين والنقل والاتصال وووسائل الإعلام ونقل التكنولوجيا وغير ذلك من المراكز العليا للتحكم في الاقتصاد العالمي..الخ.

وعلى الصعيد الثقافي والإعلامي أحكم الغرب قبضته على منظمة اليونسكو وهمّش دورها وحظر عليها التحرك نحو إقامة نظام إعلامي جديد كان يمكن أن يساعد على تصحيح الصورة الإعلامية أحادية الجانب المغرضة التي تسمم بها وسائل الغرب الإعلامية وأدواته التكنولوجية المتقدمة عقول الشعوب في بلدان العالم الثالث وتزييف وعيها حول قضاياه وقضايا العالم المصيرية.

وعلى الصعيد العسكري برز دور الولايات المتحدة كشرطي العالم غليظ العصا مطلق السلطات الذي يؤدي وفق هواه فلايراجع ولايحاسب في جراناد او في بنما ونيكاراجوا وليبيا وغيرها، وفي الوطن العربي يوجه خاص ازدادت عربدة إسرائيل شرا واتساعا: من العراق إلى تونس، وتوسعت في إقامة المستعمرات في الأراضي المحتلة وتشجيع الهجرة إليها، وتنازل العرب صراحة أو ضمنا عن العديد من مواقفهم المبدئية السابقة، دون أن يكسبوا في مقابل ذلك شيئا سوى قبول أمريكا الذي سرعان ما انتكصت عنه- مجرد «الحديث» مع من ترتضي الحديث معه من المنتمين لمنظمة تحرير فلسطين، وسوى العطف اللساني- الذي لم يترجم أبدا إلى فعل -الذي تبديه بعض الأوساط في بعض البلدان الغربية على من يسقط من أبطال الانتفاضة ومن المدنيين المسالمين صريعا برصاص وقنابل الإسرائيليين.

ورغم ذلك جميعه، رغم وضوح أن الغرب الاستعماري قد أصبحت له اليد العليا في تحديد مصائر العالم وأنه لم يعد يجد حرجا أورادعا من الرجوع عند الحاجة إلى أساليب الاستعمار القديم بعد أن ساد الظن أنه قد قنع بالاستعاضة عنها بأساليب الاستغلال الحديث الأقل تكلفة وفجاجة والأشد فعالية والأكثر تناسبا مع المرحلة الحالية التي يمر بها النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي،(٢) رغم ذلك فما إن رأى الغرب أن الاتحاد السوفيتي قد أصبح، باختياره الأيديولجي الجديد أو بحكم تصاعد مصاعبه الداخلية، عاجزا عن المساندة الفعالة لقضايا العالم الثالث والمساهمة في رد العدوان عليها (٢أ) حتى عادت عنجهية الغرب وروحه العدوانية السافرة التي تنتمي إلى فترة ماقبل الحرب العالمية الثانية تكشف مخالبها: فبعد تفكك المعسكر الاشتراكي، عندما أثارت الدوائر المعنية بالسلام في الغرب موضوع حل حلف الأطلنطي لزوال الداعي إلى وجوده، كان رد تاتشر أن الواجب على العكس- هو تقويته لمواجهة الأخطار المتصاعدة في الجنوب، ولم يجد تشيني وزير الدفاع الأمريكي سبيلا لمواجهة مطالب بعض أعضاء الكونجرس الأمريكي حول تخفيض ميزانية الحرب والاستفادة مما سموه «عائد السلام» سوى التنبيه إلى الأخطار المتزايدة التي تتجمع على الأفق في العالم الثالث وضرورة الإعداد لمواجهتها. وحتى كول، مستشار ألمانيا «المسالمة»، عندما سئل عن السبب الذي يدعو ألمانيا إلى الاحتفاظ بعلاقة خاصة مع الولايات المتحدة رغم أن أوروبا المتحدة سوف تصبح قوية، ديناميكية ومكتفية ذاتيا، كانت إجابته «كيف نستطيع أن تعالج تحدي العالم الثالث- وتلك مسألة أولية في المستقبل- إذا لم يقف الأمريكان والألمان واليابانيون معا»(٣)

وقد صدرت هذه التصريحات جميعا قبل أن ينقض صدام حسين على العراق، كاشفة عن أن التناقض الأصيل والدائم، في عالمنا المعاصر هو التناقض بين الشمال والجنوب، حتى وإن كان الصراع بين الشرق والغرب- الذي كان انحياز الشرق لقضايا الجنوب في فترة ما هو السبب الرئيس في إذكائه- قد أفلح بعض الوقت في طمس هذه الحقيقة. وليس هناك ما هو أكثر تجسيدا لهذه الحقيقة المخفية المعلنة مما كان يلاحظه الدراسات العليا في بعض أقسام الجغرافيا في جامعات «باريس» عند تمرينهم على دراسة خرائط الاستكشاف الجوي من أن منصات إطلاق الصواريخ التابعة لحلف الأطلنطي الموجودة في جنوب إيطاليا واليونان كانت طيلة الثمانينيات موجهة نحو الجنوب والجنوب الشرقي، لانحو الشمال والشمال الشرقي الذي يفترض أن هذا الحلف أقيم للدفاع ضدها

لم أكن أجاوز الحقيقة إذن عندما كتبت في مستهل مقال نشرته مجلة الموند ديبلوماتيك الفرنسية في بداية أزمة الخليج أنه «منذ أن قررت بلدان شرق أوربا أن تسعى للانضمام إلى نادي الغرب المغلق(٤) فإن مفهوم «الشمال» الذي لم يكن من قبل يعبر عن حقيقة جغرافية منضبطة أصبح الآن يجمع «الشرق» و«الغرب» في وضع مواجهة موحد إزاء بلدان «الجنوب» ومن الواضح الآن أن «الشمال» قد انتهز فرصة أزمة الخليج الجديدة لكي يحشد كل قواه ضد بلد من بلدان الجنوب يشير لنظامه القلاقل.ومن خلال ذلك تخلق دور جديد لحلف الأطلنطي وحلفائه المحتملين»(٥)

كان ذلك كله واضحا لكل من يريد أن يرى عندما نشبت الأزمة في شكلها الحاد في الثاني من أغسطس ١٩٩٠، وأصبح كل يوم يمر منذ ئذ يزيد الأمر وضوحاً أكثر من ذلك:

أمريكا شجعت الكويت على استفزاز العراق ودفعت العراق للاستجابة للاستفزاز

كان واضحا لكل من تابع الحملة الإعلامية الضارية المنسقة الصادرة فى وقت واحد من كل بلدان الغرب ومن إسرائيل ضد «صدام حسين» حبيب الغرب بالأمس، وارتباط هذه الحملة الوثيق بكبرى جرائم صدام من وجهة نظر الغرب، وهي وقف الحرب مع إيران، كان واضحا من ذلك أن قرارا قد اتخذ ببدء المعركة ضد العالم الثالث، وبدئها من جديد فى منطقة الشرق الأوسط تحديدا، لأسباب يطول شرحها هنا وإن كانت معروفة للقارىء المتابع وتناولتها ببعض التفصيل فى موضع آخر. ولم يسبق سوى تهيئة المسرح واستدراج الضحية-التى تلعب دور البطل الشرير الذى تستثار ضده عواطف جماهير الغرب وغرائزها، ومن كان أصلح من صدام من العراق وعراق صدام للقيام بهذا الدور؟(٦)

وتحقيقا لهذه الخطة المعدة بدقة فائقة والتى ستكشف الأيام عن خباياها كما كشفت من قبل مع التسليم بالفوارق الكبيرة فى القيمة التاريخية للبطل الذى أريد له أن يصوّر فى دور «الشرير»، وفى طبيعة وسلامة التصرف الذى اتخذ سببا مباشراً لبدء المعركة الحربية ضده لكن مع التنبه إلى تشابه أقل ولا أقول تماثل- الأهداف العدوانية لأمريكا فى الحالين) عن خبايا إعداد أمريكا وإسرائيل لحرب ١٩٦٧ قبل وقوعها بمدة طويلة واتخاذهما العديد من الحيل، بالتحالف مع بعض الحلفاء المحليين، لإيقاع «البطل الشرير» فى الشرك». (٧)

تحقيقا لهذه الخطة شجعت أمريكا حاكم الكويت على اتخاذ العديد من الإجراءات الاستفزازية ضد العراق كما شجعت فى الوقت ذاته- عن طريق سفيرتها فى بغداد «أبريل جلاسبى» صدام على الاستجابة لهذا الاستفزاز بالعدوان على الكويت»(٨). وسارعت بمجرد العدوان إلى اتخاذ إجراءات إرسال قواتها إلى المنطقة حتى قبل أن تصدر قرارات والقمم العربية والإسلامية والأمم المتحدة» الشهيرة، تلك القرارات التى لعبت أمريكا، لا الأطراف المعنيون مباشرة، الدور الأكبر خفية وعلانية لتنسيق وضمان صدورها، مستخدمة لذلك كل ماتملك من وسائل الضغط والإغراء، وحاصلة بصدورها على ورقة التوت الضخمة التى تخصف بها على سوأتها. ولم تكن تلك السوأة أقل من النية المصممة من أول الأمر وأياكانت تطورات اللعبة السياسية الظاهرة وتعرجاتها على تحطيم «الطاقة العسكرية الصناعية للعراق، على حد تعبير «فرنسوا ميتران» الذى أصبح بعد قيام الحرب. (٨أ) متفقا مع غيره من حلفاء الغرب والحكام العرب على تحطيم جيش العراق وصناعاته ومرافقه العامة، أى شن «الحرب الشاملة» على العراق التى تصيب المدنيين بقدر ماتنصب على العسكريين، «كضرورة عسكرية» لتحرير الكويت ومابقى من آبارها وإعادة أسرة الصباح إلى حكمها بأقل قدر ممكن من الخسائر فى الأرواح- أرواح الأميركان والأوروبيين وتلازم مع هذه النية التصميم على إزاحة صدام حسين من السلطة ومن الوجود وتصفية نظامه، تتطلب تحقيق هذه الأهداف اتباع سياسة ذات وجهين متلازمين:

الوجه الأول: هو الكشف التدريجى، الظاهر المستعر معا عن هذه الأهداف وتصويرها كما لو كانت المنطق الطبيعى الضرورى لتداعى الأحداث، ضمانا لاستدراج الرأى العام العالمى إلى التسليم بها، وبوجه خاص للتعمية على الشعوب العربية والإسلامية، التى يفترض أنها هى الأكثر حساسية للممارسات الوحشية التى تنطوى عليها إعادة العراق إلى ماقبل العصر الصناعى(٩)

والوجه الثانى هو قطع الطريق على كل محاولة سلمية لتسوية النزاع والإصرار على الاستسلام المطلق دون قيد ولاشرط، حتى وإن تعددت الصياغات الظاهرية المنافقة التى يعبر باطنها عن هذا الإصرار. ومن المعروف أن هذا الشرط كان قد أعلنه الحلفاء الغربيون فى الحرب العالمية الثانية فى مواجهة هتلر، وتعرض بعد الحرب لانتقادات مريرة شبه إجماعية من المؤرخين العسكريين والسياسيين على أسس متعددة منها إطالة أمد الحرب دون مقتضى. لكن فى الحالة الراهنة فإن الهدف من هذا الإصرار المميت المغلف- مثل أقذر سموم الغرب المصدرة إلى العالم العربى و

هـل يـصـمـد «الحـل الأمـريـكـى الـنـاصـع» فـى الـعـراق؟!

الثالث- بالأغلفة البراقة هدف مختلف مزدوج الطابع:

* إنه من جهة وأد كل مبادرة- سواء كانت صادرة من أعضاء الحلف الغربى كفرنسا أو أطرافه كالاتحاد السوفيتى أو المستقلين عنه كإيران أو من صدام حسين نفسه(١٠) لتسوية النزاع سلميا أو وقف الحرب، حتى ولو كان المحتوى الحقيقى لمثل هذه المبادرة هو التسليم الموضوعى بشروط الغرب المتعلقة بتحرير الكويت وعودة أسرة الصباح إلى حكمها مع حفظ ماء الوجه لصدام حسين والعراق. فعندما يتعلق الأمر بالعرب يسعى الغرب، وتسعى أمريكا بوجه خاص، لا إلى مجرد تحقيق أهدافها، ولكن أيضا وبالتصميم ذاته إلى إذلال وتركيع كل من يجرؤ على مقاومتها ذلك جزء من أيديولوجيتها العنصرية الاستعلائية، لكنه أيضا- فيما تظن- أداة سياسية ناجحة لإقناع الشعوب فى الحاضر وفى المستقبل بعدم محاولة التمرد على سلطانها.

* وهو طلب الاستسلام المطلق من كل قيد أو شرط- الأداة السياسية التى تستخدمها أمريكا لتقيم أهدفها الخاصة من أى امتزاج أو اتصال بالقضايا الأخرى، قضايا العرب بوجه خاص، التى تحرص أمريكا على وأدها أو المناورة عندما لاتفلح فى ذلك- الدءوبة المستمرة لتجاهلها وحمل الآخرين على نسيانها أو اليأس منها: مثل قضية حقوق الفلسطينيين، والأراضى العربية التى تحتلها إسرائيل، وأسلحة الدمار الشامل التى تملكها. من هنا كان «شعار» عدم الربط بين قضية تحرير الكويت والشرعية وقضية فلسطين» الذى أصبح يردد كما لو كان تنزيلا من الرب العلى القدير أو جزءا من الصلوات الخمس المفروضة كل يوم على المسلمين.

لقد كان أحد أسباب وقوف جانب من المثقفين والسياسيين المصريين حسنى النية ولاريب- وراء الخط الأمريكى ودعواتهم الملحة لصدام حسين بالاستسلام دون قيد ولاشرط، تصورهم أن عصرا جديدا- نظاما عالميا جديدا- يقوم على السلام وتسوية المنازعات بين الدول والشعوب بالطرق الودية وتحقيق المصالح المشتركة لها جميعا قد أوشك أن يهل على الإنسانية وأن صدام حسين قد أفسد ذلك جميعه بغزو الكويت وضم أرضها بالقوة إلى العراق. ومع تسليمنا بعدم سلامة تصرف الرئيس العراقى وعدم ملاءمته فإن من المفيد أن يناقش مفهوم هذا النظام العالمى الجديد الذى كان يوشك أن يشرق على العالم:

خصوصا فى ضوء الممارسة العملية التى يكشف عن حقيقتها مبدأ «عدم الربط» بين تحرير الكويت وبين قضايا الشرق الأوسط الأخرى.

لقد كثر الحديث عن ذلك النظام العالمى الجديد الذى قوض صدام حسين أركانه . لكن أحدا لم يعن قط بتحديد القسمات الرئيسية لهذا النظام «الجديد» أو الأسس الواقعية التى يمكن أن يقوم عليها. إن جورباتشوف قد تحدث كثيرا فى هذا النظام فى كتاباته عن البروسترويكا، لكن المحصلة النهائية لكتاباته (بعد تخليصها من المواعظ الأخلاقية والأحلام المثالية لاإسنادها واقع حى) هى استبدال توازن المصالح بسياسة توازن القوى. توازن المصالح بين من؟ إن القارىء المنصف لهذه الكتابات لابد أن يخرج بأن التوازن المقصود هو توازن المصالح بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى.(١١) وصحيح أن هذا التوازن الجديد قد أدى إلى حل عدد من المشاكل الإقليمية المعقدة، فى نيكاراجوا وافغانستان وأنجولا..الخ . لكن أحدا لم يتقدم بعد كشف حساب واقعى للخسائر والأرباح الناتجة عن هذه الحلول. لامعيار إزالة التوتر بين الدولتين العظميين وتحسين العلاقات بينهما فحسب، ولكن بمعيار مصالح الشعوب المعنية ذاتها. والأهم من ذلك أن تطبيق مبدأ المصالح يفترض لإعماله وجود توازن فى القوى، فإذا وهنت قوة إحدى الدولتين أو أوشكت على الانهيار كما يحدث الآن للاتحاد السوفيتى فمن الواضح أن المصلحة الوحيدة التى سوف تكون لها السيادة هى مصلحة القوة الأعظم الأخرى، وأن هذه ستستخدم موقعها الجديد المتميز لتحقيق المزيد من الانهيار الداخلى والخارجى للقوة الواهنة، والمزيد من السيطرة على باقى العالم، مالم يجمع هذا العالم ويوحد قواه– تحت صيغ وأشكال مختلفة– ليضع حدا لجبروتها.

وفى الجانب الآخر: ماذا تعنى إشارات الرئيس بوش المتعددة، وخاصة فى رسالة الاتحاد الأخيرة، إلى «القرن الأمريكى الثانى» الذى يبشر الانتصار فى معركة العراق بقدومه، إلا أنه قرن السيادة الأمريكية على العالم؟ هذا المعنى يؤكده أستاذ علم الأخلاق الجليل ريتشار نيكسون عندما يقول «إذا كان يجب علينا دخول الحرب فلن تكون هذه حربا من أجل البترول فقط، ولن تكون حربا من أجل الديمقراطية فقط [ديمقراطية حكام الخليج وحلفائهم فى المنطقة! ق.م.] ولا من أجل السلام فى زمننا هذا، ولكن من أجل السلام لأبنائنا وأحفادنا فى الأعوام القادمة. وذلك هو السبب فى أن تدخلنا فى الخليج مشروع أخلاقى عال».(١٢)

والأساس الذى يقوم عليه القرن الأمريكى القادم وسلامة الأبناء والأحفاد هو سيادة القانون. يقول الرئيس بوش فى بيانه للأمة عن الحرب «إن أمامنا الفرصة لكى نصوغ لانفسنا وللأجيال القادمة نظاما دوليا جديدا: عالم فيه القانون لاشريعة الغابة هو الذى يحكم سلوك الأمم».(١٣) لكن ينبغى أن نلاحظ على هذا التعريف المحدد للمفهوم الأمريكى عن النظام العالمى الجديد مايأتى:

* أنه على مدى القرون الثلاثة الأخيرة، وهى قرون سيطرة الغرب على العالم، لم تقم حرب استعمارية قذرة واحدة أو حتى عملية قمع للقوى الداخلية الوطنية الثائرة ضد الحكم الاستعمارى الاركان شعارها الأول هو فرض «سيادة القانون والنظام» Law and Order

* إن مجلس الأمن قد أصبح فى عالمنا المعاصر أحد مصادر تحديد القانون وتطبيقه. وقد عرضت فى مجال آخر للملابسات التى يمكن أن تهدر كل مشروعية لمجلس الأمن وقراراته، ومنها قدرة أحد أعضائه الواقعية على شراء أو إرهاب أعضاء آخرين وإدمان هذا المجلس التطبيق الانتقائى المتميز للقاعدة القانونية الواحدة (١٤). لكى حتى فى نطاق الشرعية القانونية الأضيق كثيرا من مفهوم «المشروعية» يمكن أن يضاف إلى ذلك أن قرارات مجلس الأمن الصادرة فى موضوع الكويت فى ظل انعدام توازن القوى الذى كانت عليه أصلا فاعلية المجلس صلاحية للقيام بدوره والانفراد الواقعى للقوة الواحدة الأعظم بتحديد ماهو القانون أصبحت معيبة بالكثير من العيوب الشكلية والموضوعية ذات الصفة القانونية البحتة: فحتى لو سلم بشرعية قرار الالتجاء إلى القوة، وهو أمر متنازع عليه بين فقهاء القانون فى الغرب، فقد كان على المجلس أن يحدد بنفسه تحديدا دقيقا أهداف الحرب ووسائل تحقيقها بدلا من أن يترك ذلك التحديد فى الواقع لواحد من أعضائه وكان عليه أن يراقب تنفيذ قراراته مراقبة فعالة بواسطة هيئاته المختصة، كما كان عليه قبل ذلك أن يستيقن من ويبرهن على فشل كافة الوسائل الأخرى حتى لاتتحول الأمم المتحدة الى أداة حرب لارسول سلام، هذا بالإضافة إلى أن المادة ٣/٢٧ من الميثاق تفترض لاتخاذ قرار هام مثل قرار استخدام كافة الوسائل– قرار الحرب فى الواقع– موافقة تسعة أصوات منها أصوات الأعضاء الخمسة الدائمين بينما الواقع أن الصين وهو عضو دائم قد امتنعت عن التصويت على القرار رقم ٦٧٨(١٥)

* والأهم من ذلك جميعا بالنسبة لموضوعنا هو طبيعة ذلك «نظام الجديد» الذى تسانده الشرعية. انه ، بكل بساطة ، النظام الدولى القائم الذى تخلف من تراكمات القرون الاستعمارية السابقة: لنظام الاستغلال الاقتصادى المكثف لشعوب العالم الثالث وسيطرة العالم الأول عليه بواسطة مؤسساته المالية والنقدية والإعلامية وبالقوة العسكرية إذا تطلب الأمر، وارتكاز ذلك جميعه على الأحلاف القائمة مع قوى محلية معينة تساند ذلك النظام وتدعمه فى مناطق العالم الثالث المختلفة: قوى اجتماعية داخلية مسيطرة فى هذه البلدان، أوقوى تأخذ شكل دولة أودويلة مستقلة يرتكز عليها النظام العالمى للسيطرة والتأثير على دول المنطقة، مثل إسرائيل والدول الخليجية فى منطقة العالم العربى– قوى ودول ودويلات يحميها ذك النظام العالمى ويطلق لها العنان فى مقابل قيامها بالدور المرسوم لها.

وليس لدى القوى المسيطرة حاليا على هذا النظام العالمى أى استعداد لتعديل القواعد والمرتكزات التى يقوم عليها النظام ، فهى من أهم أسس وضعها المتميز فى عالمنا المعاصر. ذلك هو السر فى الرفض المطلق للربط بين قضية الكويت وقضية فلسطين. ولو كان لدى قادة النظام العالمى أى استعداد لإعادة النظر فى قواعد سيطرتهم، ولوكان لدى حلفائهم من حكام العالم الثالث الشجاعة أو بعد النظر الكافى لمطالبتهم بذلك لأعلنوا صراحة– فى وقت الأزمة هذا الذى يحتاجون فيه إلى تأييد الشعوب– عما هو جديد حقا فى ذلك النظام العالمى الجديد الذى يبشرون به، على نحو مافعل روزفلت وتشرشل عندما أعلنا ميثاق الأطلنطى فى قمة احتدام الحرب العالمية الثانية، ولقبلوا الحل المتعاصر لقضيتى الكويت وفلسطين، خصوصا وأن القضية الأولى هى الأقدم والأحق والأصل فى أغلب الأوضاع السلبية (ومنها تشرذم الوطن العربى) القائمة فى المنطقة

ولايغنى عن ذلك الاحتجاج بأن ربط هذه القضية بتلك يعنى عدم حل هذه أو تلك: فلو كانت قضية تحرير الكويت– قضية بلد لايزيد عدد مواطنيه عن سكان شارع شبرا والشوارع المتفرعة منه– تعنيهم للدرجة التى تستحق ان تشعل نيران الحرب الشاملة المدمرة للعراق وللكويت معا من أجلها فتلك وأيم الحق هى

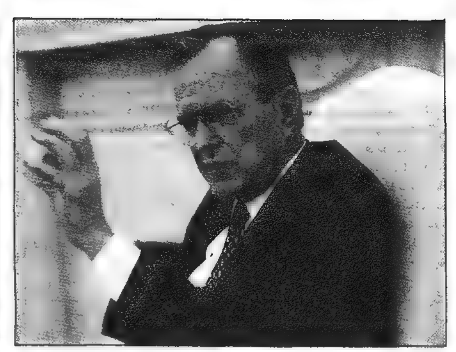

بوش

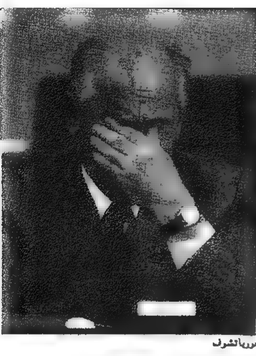

جورباتشوف

الفرصة التي لن يجود الزمن أبدا بمثلها للمقايضة بها على قبول الحل المعاصر ، لا على مجرد تقديم الرعود الهلامية الغامضة- بعد الكثير من التأبي والعدلل- التي طالما تقدموا بمثات مثلها من قبل. فإن رفضوا ولن يعنى الرفض هنا سوى سوء النية المبيت المستتر تحت أقنعة كاذبة من الحديث عن الشرعية والنظام العالمي الجديد فإنهم الباغون، وعلى الباغي تدور الدوائر لووقفت ضده الشعوب وامتنعت عن مؤازرته النظم التي لاتستطيع أن تقوم له قائمة في المنطقة دون مؤازرتها ودون إعطائها لوجوده ولقواته ولمناوراته العسكرية والحربيه ستائر الشرعية التي يدرك تماما أنه يفتقدها.

* ولو أن الشعوب والنظم الحاكمة المؤثرة في المنطقة اتخذت هذا الوقت لما كانت تقف وحدها ، حتى ولو لم تخرج نظرتها وحساباتها عن حدود الحلف الغربي القائم. إن تسنّم الولايات المتحدة قمة النظام الرأسمالي العالمي وانهيار «المعسكر الاشتراكي» كقطب مناهض له لايعني أبدا أن التناقضات القائمة بين البلدان الرأسمالية الكبرى قد دفنت في احتفالات هذا النصر المؤزر للنظام العالمي. كذلك لايعني احتمال ظهور العراق، أو أي بلد عربي أو اسلامي آخر، كدولة لها من أسباب القوة الاقتصاديه والعسكرية مايمكنها لو شاءت من اتخاذ مواقف مستقلة نسبيا عن مشيئة الدولة العظمى أو حتى قيامها باتخاذ إجراءات تؤثر على مجمل المصالح الكلية للبلدان الرأسمالية، إن بلدان الغرب سوف تتخذ بالضرورة موقفا واحدا ، وسيبقى دائما موحدا ، ضد هذا البلد:

لقد أصبح من الواضح لمن يتابع الشئون الدولية بحد أدنى من اليقظة أن الولايات المتحدة الأمريكية في وضع تراجع مستمر من الناحية الاقتصادية منذ السبعينيات بالمقارنة مع حليفتيها وغريمتيها الكبيرتين ألمانيا واليابان بوجه خاص. يتضح ذلك من استقراء كافة المؤشرات الاقتصادية المعتمدة: نسبة الادخار الكلي إلى الدخل القومي، نسبة الاستثمار، النسبة المخصصة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي، العجز الضخم المزمن في الميزانية، العجز الأكثر ضخامة وإزمانا في المديونية الخارجية الذي لم يكن العالم ليرضى بتحمل أعبائه لولا الاتفاق- غير المضمون الدوام- على استخدام الدولار أداة أولى للمدفوعات والاحتياطيات الدولية ولاختزان رءوس الأموال الهاربة من أوطانها- ذلك العجز الذي يعكس تراجع الكفاءة الانتاجية للاقتصاد الأمريكي بوجه عام ، وعجزها عن التنافس في الأسواق الخارجية بوجه خاص (إلا في الصناعات العسكرية والطائرات المدنية والحاسبات وبعض فروع الزراعة) ،الانخفاض ذو النتائج الفاضحة على الاقتصاد في ميدان التعليم العام والعالي والتفسخ المتزايد في المجتمع المدني ورغم دلائل الضعف هذه فقد استطاعت أمريكا أن تحتفظ بقيادة المعسكر الرأسمالي وتفرض عليه مشيئتها إذ اقتضى الأمر لأنها كانت تغطيه بعباءة الحماية العسكرية الشاملة في مواجهة القوة السوفيتية التي كان يرى فيها الخطر الأكبر عليه. أما الآن وقد زال هذا الخطر أو بدا أنه في طريقه إلى الزوال من جهة ، وبدأت اوروبا الموحدة تظهر كقوة شاملة تنضاف إلى قوة ألمانيا الاقتصادية من جهة أخرى فلم يعد هناك مبرر لاستمرار القوى الرأسمالية الكبرى المنافسة في الخضوع للابتزاز الاقتصادي الذي كانت تمارسه أمريكا عليها بطرق مختلفة مستندة إلى تضخم عضلاتها العسكرية وقيامها بدور حامي الحمى الذي لاغنى عنه. وقد ظهر هذا التحول في موقف هذه الدول بجلاء في اجتماعات الجات الأخيرة التي عجزت فيها الولايات المتحدة عن فرض إرادتها على شركائها وغرمائها من نفس المعسكر.

وقد كان على الولايات المتحدة التحرك للمحافظة على مواقعها الاقتصادية التي أصبحت تعتمد، لاعلى قدرتها الانتاجية ، ولكن على التحكم في المراكز العصبية الحساسة للاقتصاد العالمي، أساسا في مجال الخدمات، لكن أيضا في مجال السيطرة على الطاقة التي تمثل نقطة الضعف المميتة في اقتصاديات أوروبا الغربية (باستثناء انجلترا واليابان

من هنا كانت رغبة الولايات المتحدة بعد إعداد طويل تدخل في خطته ولاريب مناورات النجم الساطع والتسهيلات العسكرية الممنوحة لها في المنطقة وقرس قوات الانتشار السريع بحروب الصحراء- على منابع البترول في الشرق الأوسط، ليس فقط لإبعاد قطر عربي مضمون الولاء عن التحكم فيها ولكن أيضا، وبنفس القدر من الأهمية، لاتخاذها نقطة ضغط خانقة على حلفائها الكبار المنافسين لها.

ومن هنا أيضا كان تردد فرنسا الواضح في الالتزام بمواقف أمريكا على طول الخط، ثم مسارعتها المتثاقلة للاشتراك في القتال لكي تضمن لنفسها حق الحضور وقت اقتسام الغنيمة. ومن هنا أيضا حيرة ألمانيا واليابان الظاهرتين وترددهما بين الرضوخ الرسمي للخط الأمريكي واتخاذ مواقف التباعد العملي عنه، أما انجلترا التي تسير مع أمريكا على طريق التدهور الاقتصادي وتشاركها في الاعتماد على أنشطة الخدمات الطفيلية لامتصاص مايمكن امتصاصه من الفائض العالمي، وتحتفظ مثلها بقدر من الاستقلال في ميدان الطاقة، فقد قامت في هذه الأزمة بدور التابع المتفاني الذي يسبق إلى تلبية رغبات سيده حتى قبل أن يفصح عنها، مقدرة على حد تعبير افتتاحية الصنداي تلغراف الشهيرة «أن بريطانيا تعلو مرة أخرى في العالم بفضل مساندتها للرئيس بوش في الخليج، مما يزكي القول بأن بريطانيا- لا ألمانيا- هي القائد الطبيعي لأوروبا المنطلقة إلى المزيد من الوحدة».. أضغاث أحلام العاجز!

قصارى القول إذن أن الحصار الاستعماري لمنطقتنا المسيطر عليها والغازي لها ليس بالحصار المصمت الذي لايمكن اختراقه وإحداث ثغرات واسعة فيه. وهذا القول ينطبق أيضا على موقف الاتحاد السوفيتي المتهالك خلال الأزمة الذي بدأ أخيرا فقط يصحو إلى عواقبه، لاريب تحت تأثير المعارضة الداخلية لخط جورباتشوف وشفرنادزه في السياسة الخارجية، والتيقظ إلى نوايا الولايات المتحدة الظاهرة الرغبة في تفكيك ماتسميه «الامبراطورية السوفيتية»، والإدراك المتزايد للمخاطر التي تقترب بسرعة من حدوده الجنوبية ولسقوط هيبته نتيجة لتلك المواقف الخائبة أمام شعوب العالم الثالث. ولست بحاجة إلى الحديث هنا عما كان يمكن أن تفعله سياسة عربية متوازنة ونشطة لكسب تأييد ومساندة دول عدم الانحياز وشعوبه للحلول البناءة غير التابعة التي تستهدف المحافظة على سلامة وأمن الشعوب العربية

إن صدام قد أخطأ من ناحية المبدأ وأخطأ خطأ أفحش في الحسابات عندما ضم الكويت بالقوة المسلحة إلى العراق. لكن المثقفين والسياسيين حسني النية الذين يتوقفون فقط عند الخطأ القانوني- مغفلين كل ماحدث من قبله ومن بعده وكل ما أحاط من ملابسات وتداعيات بعضها كانت مقدماتها ووسائل الإعداد لها قد بدأت منذ سنوات طويلة- ويرتبون على ذلك الخطأ وحده كافة تحليلاتهم وحساباتهم ومواقفهم العملية هؤلاء يتخذون موقفا ثيولوجيا يشابه موقف من يرد كل خطايا البشر ومصائبهم إلى خطيئة أولى أصلية وقع فيها آدم وحواء، موقفا بعيدا كل البعد عن حسابات السياسة الواقعية في عالم مليء بالخطايا والأطماع وفي منطقة يحيط بها ويخترقها عدوان خارجي دائم لامنقذ لها منه إلا توحيد صفوف شعوبها ضده وليس ضد أحد غيره.

والسياسة المبدئية حقا هي السياسة الواقعية الايجابية التي تهتدي فقط بالمصالح البعيدة المدى للشعوب عندما يفرض عليها موقف خاطئ مليء بالمخاطر. إنها لاتتوقف طويلا عند التقريرات الثيولوجية، ولا تتخذ - بدعوى المبدئية المطلقة المتجردة من كل قيود وظروف الزمان والمكان- الأحكام والمواقف التي تقوي عزائم العدوان الدائم المتربص بالأمة وتزيد نيران الفتنة بين شعوب الوطن الواحد اشتعالا وهي لاتربي الشعوب- بدعوى الواقعية- على روح الاستكانة والتسليم للاستعمار كما أنها إذ تدرك أن حركة التاريخ لاتجري دائما على صراط مستقيم- تسعى باستمرار إلى التعرف على ماهو الأصيل وماهو العارض في التحالفات والعداوات، وتعمد إلى استغلال كل حركة ولو كانت خاطئة ابتداء وتوجيه تداعياتها في الاتجاه الذي يخدم قضايا شعوبها، وتحاصر في المهد التحركات العدوانية المريبة المنطلقة من الخارج وتسعى إلى كشفها وإحباطها.

توازن المصالح يتطلب وجود توازن في القوى.. ولا..

إن الذي يتعرض الآن بالإبادة هو شعب العراق وجيش العراق وليس صدام حسين. والذي يصمد الآن للقنابل الخارقة التي يلقيها عليه تجمع أكبر قوى ضارية عرفها التاريخ وأشدها ضراوة وقسوة هو شعب العراق وجيش العراق. وعلى من يرى أن إصبع الاتهام والمساءلة يجب أن يبقى كل الوقت مركزا على صدام حسين وحده أن يقول لعمال مرسيليا ولاتحادهم العام أنهم أجرموا لأنهم رفضوا تعبئة الشاحنات المحملة بالأسلحة المرسلة إلى جيوش فرنسا في الخليج، تماما كما فعلوا من قبل في حرب الجزائر وفي حروب الهند الصينية، وأن يقول لشعب العراق وجيش العراق الصامدين إنهم هم المسئولون عن المذبحة الدائرة لأنهم صمدوا بدلا من أن يستجيبوا لنداءات بوش الحانية العطوفة عليهم بإسقاط صدام حسين، وأن يقولوا لكل قلب عربي، لكل قلب على اتساع العالم أجمع، يخفق كل صباح وكل مساء، وفي الظهر وعند آذان العصر، بالألم بالأعجاب، بالحب، بالمشاركة مع شعب العراق وجيش العراق في كل ما يرمون به من أهوال له أن قد آن يكف عن الوجيب لأنه يخفق مع الصامدين في معركة ظالمة..

قاهرة المعز في ١٩٩١/١/١٦

الهوامش

(١) لفت نظري إلى هذا النص وإلى المقال الذي ورد به أندريه جندرفرانك في ورقة أرسلها إلى قبل كتابة المقال الحالي بأيام.

(٢) في التفرقة بين الأسلوبين والمرحلتين، انظر مقالي عن «مستقبل الاشتراكية في عالم يحكمه نظام اقتصادي موحد» الوارد في سلسلة كتاب «قضايا فكرية»، عدد نوفمبر ١٩٩٠

(٣أ) يقول جورباتشوف في حديث مع مجلة تايم الأمريكية، عدد ٤ يوليو ١٩٩٠، «وإذا كنا، في أية منطقة للسياسة الخارجية

السوفيتية، نفعل شيئاً يضر بمصالح الولايات المتحدة، فإن هذه السياسة لايمكن أن تنجح» ويعود في الحديث نفسه إلى تعريف هذه السياسة على النحو التالي. كرئيس لبلادي فمن الواضح أنني أحمي مصالح الاتحاد السوفيتي. لكنني أيضاً معني باحترام مصالح الولايات المتحدة المشروعة وأحاول أن أفهم مايشغل بال الأمريكان وإذا التزم الطرفان بهذا المنهج فإننا سوف نستطيع أن ننجز الكثير ونحقق تقدما مستمرا في علاقتنا.

(٣) في حديث مع مجلة تايم الأمريكية عدد ٢٥ يونيو ١٩٩٠.

(٤) يقول جورباتشوف في عدد تايم المشار إليه في الهامش ررقم (٢أ) وفي أمريكا وبلاد الغرب المتطورة الأخرى، يستخدم أعلى الناس في قطاع الخدمات، بينما يعمل ثلثي شعبنا في قطاع الإنتاج. أن أمامنا عمل كثير لتوسيع الوظائف في قطاع الخدمات. وسننظر إلى البلدان الأخرى عندما نحدد في أي طريق نسير. نحن نعتبر أنفسنا جزء من مدينة تشمل الكرة الأرضية بأكملها، ونريد أن نحتوى عضويا في العالم بأجمع من الناحية الاقتصادية».

(٥) انظر مقالي (غير الموقع عليه لاعتبارات متصلة بالصالح العام كانت قائمة وقت النشر) في مجلة الموند ديبلوماتيك الفرنسية عدد سبتمبر ١٩٩٠، والمعنون «انهيار نظام عربي بال»

(٦) راجع في بيان بعض هذه الأسباب حديثي في مؤتمر لجنة الدفاع عن الثقافة القومية المنعقد في ألمانيا ٣١ يناير١٩٩١ في «الأبعاد الحقيقية لحرب الخليج» الذي ينشر مع الأحاديث الأخرى في كتاب خاص تصدره هذه اللجنة بعنوان: »

(٧) انظر في تفاصيل الحيل والمؤامرات التي حاكتها أمريكا وحلفائها لإيقاع الرئيس عبد الناصر في شرك ١٩٦٧ كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل «الانفجار ١٩٦٧» الصادر في ١٩٩٠. وفي بعض تفاصيل إغراء أمريكا للكويت باتخاذ مواقف متشددة أو متجنية مع العراق قبيل ٢ أغسطس ١٩٩٠ انظر مقال الأستاذ عادل حسين وما ورد به عن الوثائق السرية التي تكشف أن الكويت لم يكن حملا وديعا.

(٨) قصة الضوء الأخضر الذي أعطته السفيرة الأمريكية للرئيس صدام حسين قبيل اجتياح الكويت معروفة. وقد أذاع العراق كامل الحديث الذي دار بينهما، وجرت بشأنه استجوابات متعددة في الكونجرس الأمريكي، ولم ينشر هذا الحديث بالكامل في الصحف المصرية.

(٨أ) انظر التصريح المنسوب إلى الرئيس ميتران في هذا الشأن «من الطبيعي أنه يجب تدمير طاقة العراق الصناعية العسكرية» في مقال إجناسيو رامونيه المنشور في الموند ديبلوماتيك عدد فبراير ١٩٩٠ بعنوان «ينبغي كسب السلام».

(٩) في الكشف التدريجي للأغراض المقررة من أول الأمر للحرب ومنها تدمير الطاقة الصناعية للعراق بغرض تضليل الأمم المتحدة والكونجرس الأمريكي والشعوب العربية والإسلامية بوجه خاص في حقيقة هذه الأغراض انظر مجمل المقالات المنشورة في العدد الأخير للموند ديبلوتيك الفرنسية والأعداد السابقة التي تابعت هذا الموضوع بدقة بالغة.

(١٠) بالنسبة لهذا الموضوع، راجع الأعداد المشار إليها في الهامش السابق، والتي تحتوى على توثيق وتحليل كاملين لمبادرات التسوية الصادرة من أطراف مختلفة ومبادرة الولايات المتحدة وأبواقها العربية بوأدها، وراجع بوجه خاص ردود الفعل المختلفة لبيان مجلس قيادة الثورة العراقي الصادر وقت كتابة هذا المقال- في ١٥ فبراير ١٩٩٠- والمتضمن لقبول الانسحاب من الكويت، وموقف قيادة التحالف والغربي العربي منه» الذي يغلق الطريق تماما وابتداء، من كل محاولة ديبلوماسية للمناقشة بفرض التسوية ولايقبل سوى الاستسلام غير المشروط، وكان هذا الموقف بموقف الاتحاد السوفيتي والهند والعديد من دول الانحياز الأخرى وحتى المغرب، اللذين يحاولون إدارة معركة البحث عن السلام وفقا لقواعد اللعبة الديبلوماسية التي ترفض الكشف عن كافة الأوراق منذ اللحظة الأولى!

(١١) انظر الهامش رقم «٢أ»، وينبغي أن يقرأ الحديث كله لمعرفة المحتوى الحقيقي لسياسة توازن المصالح عند جورباتشوف.

(١٢) انظر مقال نيكسون «بوش على صواب: التزام أمريكا في الخليج التزام خلقي» في صحيفة الانترناشيونال هيرالد تريبون، ٧ يناير ١٩٩١.

(١٣) انظر: تفصيل ذلك حديثي المشار إليه في الهامش رقم ٦

(١٥) انظر في هذا الشأن مجموعة المقالات التي نشرتها في الشهور الأخيرة لعدد من علماء القانون الغربيين مجلة الموند ديبلوماتيك الفرنسية وبوجه خاص مقال « احتقار القوة للقانون» لريتشارد فالك في عدد فبراير ١٩٩١ ومقال «تأت أخيرا سيادة القانون «الدولي» لمونيك شميديه جندرو في عدد يناير ١٩٩١ ومقال «سياسة القوة الواقعية في خدمة أي قانون دولي؟» في عدد أكتوبر ١٩٩٠ ومقال «المخاطر الجديدة تفرض إعادة النظر في الاستراتيجية الغربية» في عدد سبتمبر ١٩٩٠ لموريس برتراند.

النظام العالمي الجديد.. يقوم على الاستغلال الاقتصادي المكثف لشعوب العالم الثالث.

مناورات «النجم الساطع» و«التسهيلات العسكرية» ومناورات قوات «الانتشار السريع» في الصحراء مقدمات لسيطرة أمريكا على البترول العربي

هنري كورييل

رفعت السعيد

الاسم: هنري دانييل كورييل
الاسم الحركي (السري): يونس
تاريخ الميلاد: ١٩١٤
المهنة: مناضل شيوعي
تاريخ الوفاة: ٤ مايو ١٩٧٨
سبب الوفاة: الاغتيال
القاتل: لم يهتم اى من أجهزة الامن بالقبض عليه.

ويظل اسم هنري كورييل في سماء الحركة الشيوعية المصرية.. الكثيرون يبالغون في الخصومة معه حباً ومبغاً، والكثيرون يبالغون في الثناء عليه حباً.. وإلى أمد قد لاينقضي.

ولم تكن هذه هي المفارقة الوحيدة في شخصية الرفيق «يونس»، فهو يهودي تعلم على يدى الآباء اليسوعيين، وظلت تعاليمهم تؤثر فيه وفي تكوينه الشخصي، الهدوء، الغفران لأخطاء الغير.. البساطة في الحياة وفي كل مايتعلق بها. ولدى دير الآباء اليسوعيين في الدراسة قدم آخر دليل على عرفانه بالجميل لاساتذته. فعند ابعاده من مصر (١٩٥٠) كان لايمتلك سوى شيئين مكتبة ضخمة وفيلا فخمة في الزمالك.. المكتبة أهداها للدير، أما القصر الأنيق فقد ظل منتظراً من يستخدمه حتى أهداه «يونس» للثورة الجزائرية التي كان قد انغمس في صفوفها مناضلا.. وسجيناً مع قادتها.. وحتى الآن يظل العلم الجزائري يرفرف على قصر الرفيق يونس.. إنه مقر السفارة الجزائرية بالقاهرة.

والمفارقات لاتنتهي الاب مليونير... صاحب بنك. والابن شيوعي، ترك البنك والثروة وتفرغ للعمل الشيوعي.. وعندما غادر مصر لم يأخذ معه مليما واحداً.. وظل بقية حياته يغطي نفقاته المتسمة بالبساطة من إعانات رفاقه من الشيوعيين المصريين الذين كانوا من أصل اجنبي وأبعدوا تباعا .. واستقر البعض منهم معه في باريس..

يقول عن نفسه :« في عام ١٩٣٦ تأثرت إلى حد كبير بالحركة الوطنية المصرية العارمة.. وأول تصرف سياسي إتخذته هو أنه عندما بلغت سن الحادية والعشرين قررت إختيار الجنسية المصرية بدلا من الايطالية».

... «وفي عام ١٩٣٧ اقتنعت بالماركسية وبدأت بالاتصال بآخرين.. وأسسنا الاتحاد الديمقراطي»

... ثم خرج «يونس» من جو النوادي وقرر تأسيس تنظيم شيوعي اسماه «الحركة المصرية للتحرر الوطني» (ح.م)

يقول يونس إن تاريخ تأسيس ح.م هو تاريخ انعقاد اول مدرسة كادر عقدتها..

وتتابع اسماء المحاضرين واسماء الطلاب وعناوين المحاضرات لتدهش لمدى النشاط الجارف الذى قام به يونس.. والنجاح الباهر في اكتساب الاعضاء... المدرسون.. محمد زكي هاشم (وكيل نيابة) ، احمد الدمرداش تونى (رئيس اللجنة الأوليمبية المصرية فيما بعد) تحسين المصري- موسى الكاظم.. وهنري كورييل أما الطلبة فعددهم ٢٥، منهم سيد سليمان رفاعي (الذى اسس على الفور منظمة شيوعية قوية تابعة لمنظمة ح.م في سلاح الطيران)، يوسف مصطفى (سلاح الطيران)، سيد حافظ (سلاح الطيران) ابراهيم العطار(ضابط طيار) مختار العطار(كلية الفنون الجميلة) كمال شعبان (كلية الهندسة) عبد الرحمن الشقفي (طالب أزهري)عبده دهب (عامل-).. الخ

يقول كورييل«ان برنامج الدراسة كان يتضمن محاضرات عن تاريخ مصر على ضوء المادية التاريخية- جغرافية مصر- الاقتصاد السياسي- المادية الجدلية...

ولأول مرة... ومنذ سنوات عديدة تمتلك مصر كوادر شيوعية مدربة وواعية.

وفي ختام المدرسة ألقى كورييل كلمة مؤثرة قال فيها «قد تكون نحن المدرسين في هذه المدرسة أناساً لكننا لسنا الأصحاب الحقيقيين وانتم (أى الطلاب» أصحابها الفعليون»

(راجع محاضر النقاش التى أجريتها مع هنري كورييل في: رفعت السعيد- تاريخ الحركة المصرية المجلد الاول والثاني)

هذا ماقاله عن نفسه فماذا قالت عنه أجهزة الأمن...

لدينا مذكرة أعدتها حكمدارية بوليس مصر عام ١٩٤٦ تقول «..هو شيوعي خطر... وفي شهر يونيو سنة ١٩٤١ استأجر مجلة «حرية الشعوب» لاستغلالها في الدعاية للمبدأ الشيوعي... وقد ألف العديد من الجمعيات والأندية الثقافية و«الاجتماعية» لكنها كانت تعمل على نشر الشيوعية»

وقد قبض عليه في ٤-٨-١٩٤٢ بناء على قرار من رفعت الحاكم العسكري العام.. ثم أفرج عنه ووضع تحت المراقبة في منزله لمدة ثلاثة أشهر قابلة للتجديد وظلت تتجدد حتى رفعت عنه الرقابة في ٥-٧-١٩٤٥.. ويعمل هنري كورييل جهد إستطاعته على نشر الوعي الشيوعي»

هذا ماقاله البوليس السياسي عنه، أما خصومه السياسيون فقد كانوا له إتهامات تبدأ بالانتهازية وتمتد حتى العمالة وتنتهي بالصهيونية (وبالمناسبة اسس كورييل مع عدد

من الشيوعيين اليهود عام ١٩٤٧: الرابطة اليهودية لمكافحة الصهيونية كما خاض هو ورفاق شيوعيين يهود معارك ضارية ضد سيطرة الصهيونية على أندية اليهود في مصر)..

لكن كوريل الذي تتلمذ على يدي الآباء اليسوعيين وقرأ معهم في الانجيل «أحبوا مبغضيكم» ظل وحتى آخر أيام حياته رافضا لإدانة أي من خصومه... وكان يقول «هم مناضلون... أخطأوا التقدير»..

المهم .. ولدت ح.م وحدد يونس لنفسه أهدافا محدده..

التمصير- التعميل (أي التوجه نحو العمال)- التكوين النظري.

ويصعد إلى القيادة سريعا قادة مصريون وعمال..

ولكن تبقى معركة الوعي النظري مسألة صعبة.

ويفتتح كوريل مكتبة الميدان... ويكتب السفير البريطاني إلى وزارة خارجيته «افتتح الشيوعي هنري كوريل في ميدان مصطفى كامل في قلب القاهرة مكتبة بيع الكتب الشيوعية، وهكذا أصبح بالقاهرة مصدر معلوم للدعاية الشيوعية»

وكان لابد من ترجمة دقيقة لأهم الكتب الماركسية، ويتفرغ قسم المثقفين في ح.م تحت قيادة د. عبد الفتاح القاضي وفوزي جرجس لترجمة ١٣ كتابا طبعت جميعا بالمطبعة وغلفت بغلاف أخضر واشتهرت باسم «سلسلة الكتب الخضراء»

واهتمت ح.م ثم حدتو بالصحافة العلنية «حرية الشعوب» «ام درمان» ثم الجماهير «البشير» والملايين والواجب والغد فيما بعد.

وكان كوريل أمميا حقا.. أعطى للطلاب السودانيين الذين تم تجنيدهم في ح.م اهتماما خاصا وأسهم معهم إسهاما مباشرا في تأسيس «الحركة السودانية للتحرر الوطني» (ولم يكن اختيار اسم مماثل لاسم ح.م مصادفة) التي أصبحت فيما بعد الحزب الشيوعي السوداني، وبذل اهتماما أيضا بالطلاب اليمنيين والاثيوبيين ليعودوا فيما بعد ليبدأوا في بلادهم رحلة النضال الشيوعي.. كما جازف هو ورفاقه بالعمل ضد السلطة العسكرية للاحتلال دفاعا عن الجنود اليونانيين وقام بتهريب الأطعمة والرسائل إليهم.

(ظلت هذه الروح الأممية راسخة عند الرفيق يونس فعندما قامت ثورة الجزائر التحم بها وقدم لها هو ورفاقه المقيمون في باريس تأييدا كاملا، وخدمات ظل قائد الثورة بن بللا يذكرها في امتنان... وسجن كوريل وعدد من رفاقه متهمين بتأييد الثورة، وبعد انتصار الثورة كانت منظمة «تضامن» التي أسسها في باريس موئلا لمختلف الحركات الثورية في إفريقيا وامريكا اللاتينية، وقدمت لها الكثير من العون كذلك إنشغل في أواخر ايامه بالصراع العربي الاسرائيلي وكان يقدم الدعم والحماية والاتصالات «لعصام السرطاوي» ممثل عرفات في باريس)

.. وهكذا وعندما أغتيل كوريل تفرق دمه بين القبائل المعادية..

فقد تلقت وكالة الانباء الفرنسية عدة مكالمات مجهولة فور أغتياله...

-ولقد تم اغتيال عميل للمخابرات السوفيتية»

وعبارة اخرى «لقد تدخل أكثر مما يجب في القضية العربية»

وعبارة ثالثة «لقد قتل من أجل ذكرى جميع قتلانا» (جيل بيرو- رجل من نسيج خاص- الطبعة العربية ص٦٣)

العبارة الأولى توحي بأنه قتل لأنه شيوعي. والثانية لتدخله لصالح منظمة التحرير الفلسطينية، والثالثة تنسب الى مقولات «الجيش السري الفرنسي» الذي ظل يواصل الانتقام من كل من أسهم في الثورة الجزائرية إسهاما جدياً..

... ونعود إلى ١٩٤٧.

يونس يخوض معركة الوحدة.. وتتأسس «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني» (حدتو)

وتمتلك حدتو في التراث النضالي الشيوعي ميراثا ضخما.. ولعل هذا الميراث لووزع على الورثة «لاستحقت حدتو النصيب الأوفر. ولامساحة تكفي.. فقط نسرع بالعناوين: الصحافة العلنية- العمل وسط

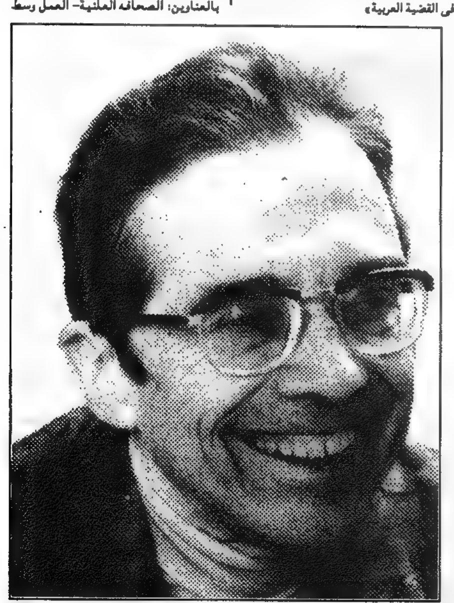

جماهير العمال (اضرابات شبرا الخيمة- المحلة الكبرى) (تقول وثيقة فى أرشيف الخارجية الامريكية «إن حدتو ذات نفوذ كبير للغاية فى صفوف الحركة النقابية العمالية») النشاط الواسع وسط الطلاب- اللجنة الوطنية للطلبة والعمال- العمل فى صفوف الجيش (التعاون ثم المشاركة مع تنظيم الضباط الاحرار) - الاهتمام بالسودان (الإسهام فى تأسيس الحزب الشيوعى السودانى)- العمل وسط ضباط وكونستبلات البوليس (فى عام ١٩٤٧ قبض على بعض الكونستبلات وهم يوزعون نشرات حدتو (د. عبد الوهاب بكر- أضواء على النشاط الشيوعى فى مصر - ص٦٣)- العمل وسط ميكانيكى الطيران- العمل وسط النوبيين- العمل فى صفوف طلاب الأزهر- العمل فى الريف- بناء شبكة واسعة من المحترفين الثوريين.. وتمتد العناوين بلا نهاية..

لكن حدتو لاتلبث أن تتمزق تحت وطأة الانقسامية.

هو قال مفسراً الأمر إن الكثير من البرجوازيين الصغار الذين تجمعوا داخل الحركة بسهولة فى فترات المد الثورى، مالبثوا أن لاذوا بالفرار تحت وطأة الأحكام العرفية والمعتقلات والسجون (ولعله من الضرورى أن نشير إلى ان الكثيرين من الذين انقسموا تحت أكثر الشعارات ثورية مالبثوا أن هربوا من المعركة).. خصومه قالوا أن الذين انقسموا قد اجبروا على ذلك فى مواجهة قيادة أجنبية تصمم على الإستمرار فى القيادة ولاتحسن أداءها...

لكن عام ١٩٥٠ يأتى وتنتهى المعتقلات.. ويكتشف الكثيرون ان الذين انقسموا تلاشى معظمهم .. وتبقى حدتو... لتنمو ولتلعب دوراً متزايداً ومهماً..

فقط تلجأ إلى العناوين مجلات البشير- الواجب- الملايين- الغد- اللجنة التحضيرية لاتحاد نقابات العمال- اللجنة المصرية للسلام (مجلة الكاتب) - نشاط واسع فى الريف- نشاط متسع فى الجيش (بالتحالف والمشاركة مع تنظيم الضباط الأحرار)..... الخ

لكن الرفيق «يونس» لايبقى طويلا فى عملية إعادة البناء..

يقبض عليه ويتم ترحيله خارج البلاد.. وترفض الحكومة إختياره لمصريته .. والذى استمر من عام ١٩٣٦ وحتى عام ١٩٥٠.

والى روما ومنها سراً الى باريس حيث أقام هو ومجموعة من رفاقه الذين أبعدوا عن مصر مثله «يوسف حزان- ريمون اسطمبولى-

هنرى كورييل

جوزيف بلاو- ديدار فوس- هنرى كوهين وآخرين ومنهم تكونت مجموعة تابعة لحدتو أسميت اسما حركيا «مجموعة روما».

لكن «مجموعة روما» لم تنس مصر مطلقا. ظل حب مصر يقلق وجودهم فى باريس.

ويروى ثروت عكاشه بتقدير مثير للدهشة كيف أمدته هذه المجموعة بمعلومات بالغة الاهمية عن حرب السويس والاستعدادات لها... وكيف ان عبد الناصر قد دهش عندما علم أن هنرى كورييل قد خاطر بحياته إذ قدم هذه المعلومات. وطلب عبد الناصر من عكاشه أن يبلغ تحيته لكورييل، لكن عكاشه طالب عبد الناصر بأن يرد اعتبار كورييل وأن يعيد له الجنسيه المصرية

وعد عبد الناصر.. ولم يف بوعده (ثروت عكاشه- مذكرات فى السياسة والثقافة- المجلد الاول).

وعلى الصعيد الحزبى ظلت هذه المجموعة تقدم مساعدات فنية بالغة الاهمية. ترجمات ، مطبوعات، إعلام خارجى ، وظلت تقدم وبلا ملل عونا بلاحدود للرفاق المسجونين والمعتقلين سواء بحشد أوسع تأييد عالمى لقضيتهم، أو بارسال مأكولات وأدوية وملابس وأغطية عن طريق الصليب الاحمر.

كما ظل الاتصال مستمرا وبلا انقطاع.. مع الحزب الام.

ويصمم يونس فى رسائله على ضرورة إنجاز وحدة الشيوعيين...

تتحقق خطوة اولى للوحدة .. الحزب الشيوعى المصرى الموحد... ويكون ثمنها إبعاد يونس من القيادة ويروح بسرعية يتقبل يونس القرار ويصمم على مواصلة طريق الوحدة.. مهما كان الثمن...

وتتم الوحدة بكل مشكلاتها ومراراتها وانتصاراتها..

وفى الاسبوع الثانى من مارس ١٩٥٨ يعقد المكتب السياسى للحزب اجتماعا يتخذ فيه عديدا من القرارات الصارمة التى استندت إلى أغلبية مصطنعة عبر تنازلات قدمتها حدتو فى سبيل الوحدة..

وينص واحد من القرارات «يقرر المكتب السياسى حل مجموعة روما نهائيا ابتداء من ١٤ مارس عام ١٩٥٨»

... ويحظر اى اتصال بأى من افراد هذه المجموعة.

ولعل بعض أعضاء هذه المجموعة قد ثار ثورة عارمة... فبعد أن قدم كل هذه الخدمات يفصل وبلا مقدمات وبلا أسباب مقبولة.. لكن الخلق الشيوعى يتغلب وتتصل إلى المكتب السياسى المتحفز.. رسالة هادئة..

واحتراما للنظام الحزبى نحل فوراً مجموعة روما.. وتعبر المجموعة- فى ذات الوقت عن أسفها للشكل الذى تم به إتخاذ القرار- يقرر الرفاق وهم خارج الحزب الاستمرار فى دفع إشتراك مالى يساوى الاشتراك السابق- تضع تحت تصرف الحزب آلاف النسخ من المؤلفات النظرية التى قمنا بترجمتها إلى العربية وطباعتها-.... وحتى نتلافى أية شبهة فى اننا نحاول الظهور بمظهر الممثلين للحزب الشيوعى المصرى بالخارج فقد قررنا ان نختار لانفسنا اسما لايفسح مجالا لأى لبس. قررنا أن نطلق على أنفسنا اسم «مجموعة الاخلاص- مجموعة بالخارج لأعضاء سابقين بالحزب الشيوعى المصرى ظلوا مخلصين لحزبهم»- وبعيدا عن المرارة واليأس لما مسهم من إجراء يرونه غير عادل يلتزم الرفاق بأن يبذلوا جهودا جديدة فى خدمة قضية الطبقة العاملة المصرية، وخدمة قضية استقلال مصر وقضية السلام. أن يظلوا كما كانوا دائما مخلصين للحزب الشيوعى المصرى فى الحرية أو فى السجون ، فى مصر أو فى الخارج،فى الحزب او خارج الحزب.

عاشت الطبقة العاملة المصرية. عاش الحزب الشيوعى المصرى- عاشت الرايه الشيوعية- عاشت الاشتراكية»

(راجع نص القرار ونص الرسالة فى:د. رفعت السعيد- الحركة الشيوعية المصرية ١٩٥٧-١٩٦٥ ، وص ٨٥- ٨٦)

.. ولكن ثمه أناس لايمكن إغلاق ملف نضالهم إلا بالرصاص..

فقد فتح يونس لنفسه الف باب اخرى للنضال فى سبيل القضية... وأثار الف يد معادية للانتقام ثم كانت لحظة الاغتيال.

يمين × شمال

من يتصور أن النيران المشتعلة بالخليج سوف تقتصر على القوى المشاركة فى المعركة يخطىء بلا شك فأزمة الخليج لم دمار العراق لن يقف آثره أبدا عند حدود معينة. فالأزمة بعمقها احترت واختزنت مشاكل المنطقة العربية الداخلية وعلاقاتها مع العالم الخارجى.

فأولا: أزمة الديمقراطية المستحكمة والمستفحلة جدا بكل بلاد العالم العربى وهى التى تمكن شخصا مثل صدام حسين من فعل مثل ما فعل فمهما كانت نواياه وأهدافه إلا أن غياب الشعوب العربية عن المشاركة واتخاذ القرار لابد وأن يؤدى لمأساة تلو المأساة.

ثانيا: قضية التبعية والتنمية المستقلة فالشعوب العربية جميعها تعانى من الفقر والتفاوت الطبقى الصارخ والأزمة الاقتصادية تأخذ بخناقها بسبب أسلوب التنمية الدائرة فى فلك التبعية الاقتصادية. مما يحرم تلك الشعوب من السيطرة على مقدراتها. ورفع مستواها المادى. فلا أمان فى الخليج ولاغيره سوى بأسلوب تنمية حقيقى يلبى حاجات الجماهير العربية ويعتمد على كوادرها. ويراعى حسن توزيع ثرواتها- بغض النظر عن درجة تحقيق التبعية المطلوبة للرأسمالية الدولية.

ثالثا: المشكلة الفلسطينية. رغم الأسلوب الخاطىء الذى اتبعه صدام حسين فى طرح مشكلة فلسطين من خلال احتلاله للكويت. إلا أن المصادر الفرنسية والبريطانية وهى مصادر حليفة لاسرائيل لم تستطع إغفال أهمية وضع مشاكل المنطقة على درجة واحدة من الأهمية بعد تحرير الكويت: فالأوضاع الدولية الجديدة قبل الأزمة ورغم أن بعض آثارها لم تكن فى صالح الفلسطينيين. إلا أن تعنت اسرائيل وتردى أوضاع المناطق المحتلة وتفاقم المشكلة لم يعد امرا من الممكن تحمله والسكوت عليه. من منطلق الأمر الواقع وبعض المنطق العراقى الذى وجد قبولاً لدى الشارع العربى مستمدا من تناقض المنطق الدولى فى التعامل مع قضايا المنطقة.

.... وإذا كانت تلك القضايا تتراص وتأخذ بخناق بعضها البعض إلا أن حجر الزاوية والبداية لابد أن تأتى من تصحيح العلاقة بين الشعوب وحكامها. فاستقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية على أسس يقبلها منطق العصر لاتبعد كثيرا عن الترتيبات الأمنية المزمع اتخاذها من التحالف الدولى لحماية مصالحهم بعد المعركة مستقبلا. فى المنطقة.

أحمد طاهر
المحامى- المنصورة

أين الحقيقة؟

فى عدد جريدة الجمهورية رقم ١٣٥٤٨ ليوم الخميس الموافق ٣١ يناير ١٩٩١ فى الصفحة الرابعة (٤) فى باب (آخر الإسبوع) تحت عنوان «لاياداكتورة عائشة» يقول الأستاذ/ محمد أبو الحديد «إن نص القرار ٦٧٨ بعبارة مفصلة هو أن يؤدى إستخدام القوة إلى إحداث ميزان جديد للقوى فى المنطقة يجرد المعتدى من القدرة على تكرار عدوانه أو الإخلال بالسلام والأمن فى المنطقة».

عند قراءتى لتلك الفقرة أصيبت بحالة من الذهول فهذا الطلب معناه فى نظرى أن تقوم القوات المتحالفة بتدمير العراق وقوته المسلحة وجعل تحرير الكويت هدفا هامشيا لايهم تنفيذه بقدر ما يهم تدمير العراق.

ومع رفض لكلام هذا الكاتب إلا أننى سأوافق عليه بلا تردد إذا طالب (إرساء لمبدأ تجريد المعتدى، من القدرة على تكرار عدوانه) بما يلى.

١- تجريد الولايات المتحدة الأمريكية من قوتها الهجومية التى تهدد بها العالم حتى تخلق ميزان للقوى بين كافة دول العالم

٢- تجريد الحكومة المصرية من القدرة على إصدار قرارات مخالفة لمطالب الشعب و الجماهير كموقفها من حرب الخليج أو رفع الأسعار.

٣- هدم كل الشواهد التى تدل على الديكتاتورية من معتقلات وسجون سياسية وحملات إرهابية.

هذا بالنسبة لمقالة محمد أبو الحديد أما رأى فى الإعلام المصرى كافة فهو للأسف الشديد وأسوأ إعلام فى العالم» ولقد ظهر هذا فى التغطية الإعلامية لحرب الخليج والدليل على ذلك أننا نشاهد كل يوم محلل عسكرى أو سياسى يجلس أمام الكاميرا ليقول أى حاجه فى أى حاجه وفى كل يوم يظهر أحدهم مؤكدا أن العراق قد سُحق ولم يعد له وجود وبخاصة بعد الضربة الأولى التى أصابت ٩٠٪ من قدرة العراق الدفاعية والهجومية، وفى أول أيام الحرب خرجت علينا مذيعة تبتسم إبتسامة جملتها فى نظرى أقرب إلى (البقرة الضاحكه) لتعلن عن نبأ نشوب الحرب فهل هذا معقول. أن يذاع مثل هذا الخبر بتلك الوسيلة؟ أن تعلن تلك المذيعة قيام الحرب كما لو كانت تعلن عن أغنية أو مسرحية؟ لكن هذا هو ماعودنا عليه الإعلام المصرى للأسف الشديد، والأسوأ من ذلك هو تحريف الأنباء والقائها وفق هواهم وهوى الحكومة ففى موجز الأنباء مثلاً يعلن عن هجوم صاروخى عراقى على إسرائيل وأن صاروخا على الأقل قد سقط فى تل أبيب وبعد ذلك بما يزيد على النصف ساعة تفاجئنا نشرة الأخبار بقولها أن صواريخ باتريوت قد تصدت للصواريخ العراقية وأسقطها فى الجو وفى الجرائد يعلن أن إسرائيل لم تستطع إطلاق أى صاروخ مضاد وأن كل الصواريخ سقطت على المدن الأسرائيلية وليس بينها من سقط فى البحر أو فى الصحراء، كما أعلن سابقا وتختلف تقديراتهم للخسائر وهذه ليست الحادثة الوحيدة التى تتضارب فيها الأخبار فالهجوم العراقى على مدينة الخافجى السعودية خير دليل على ذلك فهناك جريدة تعلن عن سحق الهجوم العراقى بعد معارك إستمرت ساعات وأخرى تقول بعد ست ساعات وجريدة تعلن أن الهجوم العراقى مكون من ١٥٠٠٠ جندى وأخرى تعلن عن أنهم ٤٠٠٠ جندى ولانعلم من نصدق وفى اليوم التالى نعلم ونفاجىء بأن القوات العراقية لم تترك المدينة إلا بعد ٢٠ ساعة أو يزيد عن الوقت الذى صدرته الصحف المصرية لخروج تلك القوات.

وهذا يكفى فلست أجد فى نفسى الشجاعة التى تجعلنى أزيد

يمين X شمال

على ذلك فعلك الإذاعة وتلك الصحف والمجلات مصرية على أية حال يجب إغلاقها جميعها في نظري لكن دون أن يسيء هذا إلى مصر وشعبها العظيم.

عبد الناصر سعد أبو العينين
قنديل

ما أخذ بالقوة..

هذه الرسالة تعبر عن رأيّ في قضية زيادة المساعدات للعدو الصهيوني بسبب ضرب العراق بالصواريخ أود أن أسأل الذين يقولون ذلك منذ متى والدول العربية لاتساعد العدو الصهيوني فالدول الامبريالية والأخص الولايات المتحدة تدعم أسرائيل ماديا ومعنويا والمانيا تدفع لها مايسمى تعويضات عن جرائم النازي وذلك كل عام وذلك مانشر أيضا في جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٠/٤/١٣ عن إعتذار المانيا الشرقية لاسرائيل وتخصيص مساعدات من جانبها إلى إسرائيل وها هو الاتحاد السوفيتي يفتح باب الهجرة اليهودية على مصرعيه إلى إسرائيل برغم أن العراق لم يكن قد بدأ ضرب صواريخه بعد على إسرائيل فإين هو التعاطف الذي سببه صواريخ العراق ضد إسرائيل فالتعاطف موجود أصلا قبل ضرب العراق لاسرائيل وكول يتعهد بعلاقات خاصة بين المانيا الموحدة وإسرائيل وذلك حسب ماذكر في جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٠/٥/١٣ العدد (٣٧٧٧٧) فإين التعاطف الذى سببه ضرب العراق لإسرائيل.

وإلى الذين يقولون أن العدو الصهيوني من حقه أن يرد على الاعتداء العراقي.

كيف ذلك وإسرائيل أصلا معتدية ومغتصبة لأراضي عربية فبجانب أرض فلسطين هناك أراضي سوريا والأردن ولبنان فإن لم تستغل الدول الفرصة فلن ينفعها الوعد الأمريكي فكثيراً ما وعدنا الأمريكيون بإعادة أراضينا وكثيرا ماخلفوا وليس لى إلا أن أقول مقولة الزعيم الخالد/ جمال عبد الناصر

«ما أخذ بالقوة لايسترد إلا بالقوة»

سيد محمد عبد المعبود حسان

شهداء..كل اليسار

سعدنا عندما شرعتم في نشر صور شخصية لرفاق ومناضلي الحركة الشيوعية المصرية فهو يمثل لمحة وفاء- أصبح عملة نادرة في أيامنا السوداء تلك- لهؤلاء الرواد العظام في تاريخ الحركة وتذكير لمن يحاولون تناسى أو نسيان تضحيات اليسار المصرى- وفى القلب منه الشيوعيون- ونضاله من أجل وطن حر عادل حقا (مستقل) فعلا.

ولكن سرعان ماتوقف هذا التقليد الجميل بعد نشر صورتين

د.رفعت السعيد

لشخصيتين من أبرز قادة اليسار المصرى وهما الشهيد شهدى عطية والعالم والمفكر والمناضل الفذ د/فؤاد مرسى. فهل أقلعتم عن هذا التقليد الجميل أم ماذا؟؟ وتطويرا لهذا التقليد الجميل- الذى لاشك فى نبل مقصده وشرف غايته - أقترح عليكم نشر صور مناضلى الحركة الوطنية عموما دون الاكتفاء بمناضلى وشهداء اليسار فحسب. فالورداني وعبد الحكم الجراحي وشهداء معارك القناة ضد الاستعمار الانجليزى- الذى أصبح الآن أمريكيا- وشهداء معارك الفلاحين ضد الظلم والاستغلال وغيرهم من مناضلى الحركة الوطنية وروادها يستحقون أيضا الاهتمام والوفاء وبذكراهم والتذكير بهم.

كذلك أسأل الأستاذ والمؤرخ د/ رفعت السعيد أين د/راشد البراوى د/محمود الخفيف ومحمد حسن جاد(برق) والسيد رفاعى (بدر) ومحمود العسكرى وصادق سعد ولويس اسحق وفريد حداد وغيرهم وأين- أطال الله فى أعمارهم. عم محمد شطا ومصطفى سريف والشيخ سماد جلال أين كل هولاء وغيرهم الكثيرون من أرشيفك وأرشيفنا «أرشيف اليسار»؟؟ أنفض عنهم غبار السنين والإهمال لتكشف لنا وللآتين من بعدنا كم هى جميلة مصر.. وكم هى معطاءة وكم أحبها اليسار واليساريون- على إختلاف مشاربهم- فوضعوها فى قلوبهم بينما وضعها الآخرون أرقاما فى حساباتهم السرية..

وياعم صلاح عيسى أين أنت؟؟؟؟ اشتقنا إليك كثيرا ربما أكثر مما تظن . ولكن على صفحات «الأهالى» وأكرر على صفحات «الاهالى» وليس على صفحات أية جريدة أخرى. هل سمعتني ياعم صلاح؟
أرجو ذلك.

صديق اليسار
عاطف بسيونى
حقوق طنطا

تعليق

نشر الصور مرتبط بوجود موضوع عن الشخصية. وسنواصله كلما أمكن ذلك، ولن يكون قاصرا على الشيوعيين، ولكن على كل قيادات اليسار.

وقت تصفية الحسابات

بادى ذى بدء نحن نتفق مع الرأى القائل بأنه لايجوز بأى حال من الأحوال أن تحتل دولة عربية- دولة عربية أخرى بالقوة ولكن فى ظل الأحداث المتلاحقة للحرب فالأمر إختلف تماما من جميع جوانب الصورة.

فنحن نرفض وبشدة وجود القوى الامبريالية الصهيونية وقوى التحالف المتعددة الجنسيات، لأنها جاءت لغرض ما فى الشرق الأوسط بكامله، وليس كما يزعمون لتحرير الكويت والشرعية الدولية فأين هى الشرعية التى يتكلمون عنها حينما غزت أمريكا بنما وجرينادا فى الآونة الأخيرة وكذلك حينما ضربت إسرائيل المفاعل النووى العراقى أثناء انشغاله بالحرب مع إيران. والأهم من ذلك .

لمصلحة من تدمير القوة العسكرية العراقية

هل لمصلحة الامبريالية الصهيونية أم لمصلحة إسرائيل والتى للأسف الشديد حلمها يتحقق خطوة تلو الأخرى خاصة بعد تزايد أعداد هجرة اليهود السوفيت إن تدمير هذه القوة العراقية يعد اختلالا فى توازن القوى العربية- الاسرائيلية وليس هذا من صالح الأمة العربية. علما بأنها الدرع الواقى للأمة العربية والاسلامية على السواء.

ولن يغفر التاريخ لهذه القوى الرجعية العربية التى تحاول وبشكل مكثف نزع هذه القوى العسكرية خصوصا وأن اسرائيل لديها كافة أنواع أسلحة الدمار

يمين X شمال

الشامل فلماذا لاتنزع هذه الأسلحة من اسرائيل كما يحبذون نزعها من العراق.

فها هو حلم اسرائيل يتحقق اليوم بعد تهميش الدور المصرى والسورى فى النزاع.. فمن سيوقف هذا الزحف الصهيونى الزاحف على الأراضى العربية فى الجولان ولبنان الجريح وفلسطين المحتل بعد أن تجمعت قوى، والتسلط والتى أعادت للإنسان صور الأستعمار البغيض المتمثل فى تحالف القوى الامبريالية والغربية والرجعية العربية للسيطرة على مقدرات الأمة العربية وقهر شعوبها واستنزاف ثرواتها.

ولكننا نقول لمن تحالفوا على قهرنا وإذلالنا إن شعب العراق اليوم يخوض معركة المصير ولن يتراجع فى الانسحاب مادام هناك وجود للقوى الامبريالية والقوات المتحالفة ولكنه فى ظل وجود حل عربى يرضى جميع أطراف النزاع ففى هذه الحالة يمكن الانسحاب مع وجود حل للقضية الفلسطينية لأن هذا الوقت هو وقت تصفية الحسابات المتراكمة.

محاسب بالضرائب العامة
نور الدين الشرقاوى
محرم بك/إسكندرية

رسالة الى....

* هنيئا لكم مشايخ البترول فقد أمنت مالكة البحار السبع وحامية حمى الشرعية الدولية عروشكم بالقضاء على الجيش العربى العراقى فناموا فى سلام يامالكى «البترودولار» فقد صمت صوت بغداد واستكانت الشعوب- مؤقتا- تحت أقدام أمريكا والسلاح فوق رؤوسها

* هنيئا لك يا «صباح» فقد استوليت على العرش فوق جثث واشلاء أطفال العرب العراقيين

*هنيئا لك يا اسرائيل فقد صمتت آخر الأصوات «القوية» التى تهدد أمن وسلامة الإخوة الاسرائيليين المهادنيين ولم يبق سوى الأصوات المدلله التى تهدد بتحطيم اسرائيل من الفنادق الكبرى وصالات القمار الشهيرة وباستخدام الغوانى اللعوب

* هنيئا لكم أساطين الصحافة المصرية الحكومية فقد لبت امريكا طلبكم وحطمت القوة العسكرية العراقية وهى التى لاترفض لكم طلبا

ولكن...

قالها «عبد الناصر» الشعوب الحية لاتموت والشعب العربى العراقى شعب حى لن يموت بل سيخرج من تحت الرماد والنار ويستعيد قوته فيوم الحساب آت لامحالة ويوم الحساب سيكون عسيرا والعروش ستبقى لفترة ولكن على بركان لابدوان يثور يوماً

والسلام

عبد الله ابزيد ابو النعمان
الشرقية- الحسينيه-سعود

كل عام وأنتم بخير بمناسبة دخولكم العام الثانى بنجاح. والحمد لله أننا وجدنا نبراسا نتحسس به الطريق فى مستقبلنا السياسى. وأتمنى لكم من كل قلبى التقدم والإزدهار والإستمرار فى المسيرة الحضارية العقلانية (اليسار).. وبعد.....رأى فى الأنظمة العربية

باطل.....باطل.....

إن الأحداث الجارية فى المنطقة إن دلت على شئ فإنها تدل على بطلان الأنظمة العربية جميعها حيث الهيمنة الأميركية والعمالة لها. فكل الأنظمة اما عميلة وإما جبانة. وهذا هو حال تلك الأنظمة منذ كامب ديفيد اللعينة. التى قاطعها العرب الأغنياء ظاهريا ولكن أيدوها باطنيا وذلك واضح فى العلاقات الخليجية الأميركانية. وهذه الأنظمة يظهر تواطؤها وعمالتها للأميركان فى عملية الخليج. الأزمة المفتعلة، التى صنعها الغباء العربى والدهاء الأميركانى. ويرجع فشل الأنظمة العربية لعدة أسباب...أهمها.....

١- الدكتاتورية الفردية المتمثلة فى الحاكم وجهازه من بعده. حيث السلطات والنفوذ وقمع الحريات بكل الوسائل والطرق المشروعة وغير المشروعة.

٢- الهيمنة الإعلامية وشغل الشباب بتوافه الأمور

٣- حرمان الشعب من حريته وحقه فى المشاركة فما بسبب الكبت المباشر لمعظم الطوائف التى تريد الإصلاح مما يجعلهم بعد ذلك غير مبالين خاصة بعد إصابتهم بالإحباط..

٤- عدم مصارحة الشعب بالأحداث الجارية سواء كانت داخلية أو خارجية.

وإذا ظلت الأنظمة على هذا الحال فقل على العرب السلام.

وإن لم تحل مشكلة الخليج عربيا فعلى كل مايسمى بزعيم منطقة أو بشيخ بلد أو ملك أو رئيس أو...الخ. فعلى الجميع التنحى فوراً..

لأنهم لايقدمون ولايأخرون ولايحلون ولايربطون..

وختاما أتمنى من كل قلبى أن يعود العرب إلى رشدهم.

وسلام...

سمير عبد الحميد سليمان
بشلا-ميت غمر

جلاسنوست يوسف شاهين(٣)

ثورة للسينما..
أم سينما للثورة ؟

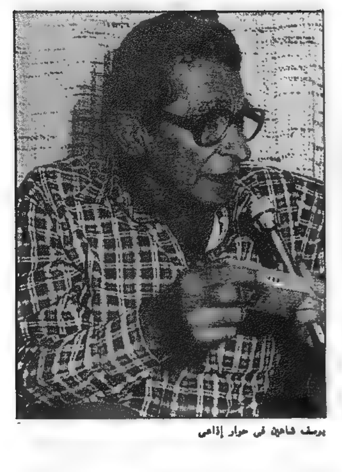
يوسف شاهين فى حوار إذاعى

أحمد يوسف

كثيراً مايردد يوسف شاهين، فى كل الحوارات الصحفية، أن أفلامه لاتسعى إلى أن تحكى أى (حواديت)، وأنه ليس (مسلراتياً)، وهو التعبير نفسه الذى استخدمه يحيى مراد، بطل «حدوتة مصرية»، ليدافع عن ذاته وعن أفلامه الجادة، التى قد تتصادم مع السلطة أحياناً، أو قد تستعصى على فهم الجماهير البسيطة فى معظم الأحيان. وفى رحلته الطويلة والممتدة مع السينما، ظل يوسف شاهين أميناً إلى حد كبير مع تلك الفكرة التى يؤمن بها: أن السينما ليست أداة للتسلية بل سلاحاً للنضال، لكنه النضال الذى قد يبدأ بالوقوف إلى صف الجماهير، لينتهى إلى الاحتماء بجدرات الذات، عندما يصبح السلاح فى يد المحارب مجرد أداة مثيرة لإثبات البراعة فى النزال، دون اهتمام حقيقى بأرض المعركة، أو عندما يحتل (الشكل) السينمائى، بإبداعاته وتعقيداته المبهرة، فى وعى الفنان، مكاناً أكثر أهمية من (الرسالة) التى يتحتم عليه أن يقوم بتوصيلها إلى جمهوره، الرسالة التى لاتعنى أبداً- فى عالم الفن- أن تكون منشوراً سياسياً مباشراً، أو موعظة أخلاقية، أو حدوتة مسلية، وإنما قدرة أكثر حساسية وعمقاً على رؤية الواقع، وفهمه، وتغييره.

إنها الرسالة التى (تبدو) كأنها تستحوذ على أفلام يوسف شاهين، وتدعو إلى رفض دور الفنان المسلراتى، والحلم بدور الفنان الثورى، يترجمها فى معادل موضوعى بين فيلميه «عودة الابن الضال» و«اليوم السادس». فربما ليس هناك ماهو أكثر قسوة من أن ترى الدور السلبى للفنان السينمائى، مجسداً فى شخصية المهرج فى«عودة الابن الضال»، تنزل عناوين الفيلم فى لقطة واحدة طويلة، تقترب الكاميرا فيها ببطء شديد على وجه المهرج وهو يلطخه بالأصباغ، يضحك فى مرارة لينتهى إلى البكاء، وتراه خلال الفيلم يستدرج الجماهير إلى دار السينما لايعدو دوره أن يكون موظفاً لدى طلبة الذى يملك دار العرض كما يملك كل شىء فى القرية. وعلى الطرف الآخر، تجد رفحى فى «اليوم السادس»، هو الذى يملك دار العرض، لكنه يغلقها عندما يدرك أنه يبيع الوهم للجماهير، ويذهب بجسده وروحه معاً إلى فلسطين ليخوض نضالاً حقيقياً.

لم تكن مصادفة أن يقوم يوسف شاهين بنفسه بدور رفحى، الذى يبدو تجسيداً لحلم نضالى جميل، كما لم تكن مصادفة أن يظهر يوسف شاهين فى لقطة واحدة خاطفة فى بداية «حدوتة مصرية»، يسأله مساعده إن كان على الكاميرا أن تتجه إلى اليمين، فيجيبه فى استنكار: (يمين إيه؟ هاتخش فى الحيطة؟!)، وهى اللقطة العابرة التى لاتستمد دلالتها إلا من خلال إصرار يوسف شاهين، من خلال أفلامه وأحلامه الفنية، أن يقف إلى جانب صفوف اليسار.

نظرة قريبة من اليسار

فعلى الرغم من تلك الصورة التى سادت معظم أفلامه، للذات المتسامية على الواقع وعلى الجماهير، فإن هذه الأفلام تنطلق من الرغبة فى الكشف عن تناقضات الحاضر، ومن الشوق الجارف إلى صنع مستقبل أكثر حرية وإنسانية، والدعوة إلى التمرد، وربما الثورة، على ماتصوره المفاهيم السائدة وانماً أزلياً أبدياً.

فلقد كان «الاختيار» (١٩٧١) في جوهره مراجعة نقدية لدور المثقف الذي أصبح جزءاً من آلة السلطة، ففقد الاتصال الصادق والحميم بالحياة، وإذا كان «الاختيار» قد اختفى وراء غلالة تجمع بين الرموز الميتافيزيقية والسيكولوجية، فإنه لم يفقد دلالته السياسية في الإعلان عن هزيمة هذا النمط من المثقفين خلال الستينيات، وفي تحذيره- من خلال الضوء الأحمر المتقطع في اللقطة الأخيرة- مما بدا كأنه النبوءة الحزينة لما آل إليه حال المثقفين خلال السبعينيات، تماماً كما كانت صرخات جماهير «العصفور» (١٩٧٣) في نهاية الفيلم إعلاناً عن القدرة على تجاوز الهزيمة العسكرية والسياسية، رغم الصورة القاتمة التي خيمت بظلالها على الواقع، كما خيمت على العالم الوجودي للفيلم.

وربما كان «عودة الابن الضال» (١٩٧٧) هو أكثر أفلام يوسف شاهين اقتراباً من تحليل الواقع السياسي، وهو التحليل الذي انتهى- من خلال الشكل السينمائي- إلى نزعة تركيبية معقدة تختفي بدورها وراء الرمز، لكنه الرمز الذي يجسد، من خلال شخصيات تتمتع بوجود حقيقي من لحم ودم، السياق الاجتماعي للحظة التاريخية المعاصرة لصنع الفيلم. فالوطن هو قرية ميت شابورة، التي يملك طلبة المدبولي كل وسائل الانتاج والإعلام بها: المعصرة، والمقهى، والسينما، وهو الرجل الذي بدأ حياته منتمياً إلى العسكريين ومايزال يقيم الصلات والمصالح معهم، وها هو ينتهي رأسمالياً احتكارياً، لايتردد- رغم فجوره- أن يضفي على سلطته طابعاً دينياً. لقد آلت إليه ملكية المعصرة من صاحبها الخواجة الذي رحل، وبعده لم يجدد بها طلبة مسماراً واحداً، ومع ذلك فإنه يتفاخر بأن الانتاج في عهده قد زاد إلى خمسة أضعاف بسحقه العمال وأكله حقوقهم. إن طلبة يستعين بإرث الماضي وتراثه القمعي مجسداً في أمه رتيبة التي تستحوذ بقوتها وقسوتها على الجميع، للسيطرة على الحاضر مجسداً في ابنة الخالة فاطمة، التي تنتظر الخلاص في عودة الابن الضال، علي، اليساري الذي كان يحلم في الأيام الخوالي بصنع المستقبل واستباق الزمن، فواجه اتهاماً بأنه (كسر الساعه)، عاني على إثره من سجن طويل، وها هو اليوم يعود ليجد الواقع قد تخطاه، وأنه عاجزاً عن التأثير فيه، حتى أنه يلخص حياته باستسلام كامل: (اتجوزت، وطلقت، وماخلفتش ولاد... بطلت أحلم)، لينتهي إلى أن يعمل تحت يد أخيه طلبة للسيطرة على حركة العمال. ولكن لأن علي هو الابن الضال المحبوب عند الأب، محمد المدبولي، الليبرالي المثقف الذي ينتمي إلى عصر التنوير، ولأن علي هو الأمل عند الحفيد ابراهيم، الحالم بتجاوز الواقع إلى مستقبل مشرق، فإن علي- اليساري- يحمل على عاتقه وحده مواجهة طلبة، الذي يزداد عنفاً وإيغالاً في الدماء، حتى ينتهي الفيلم بالتبشير بضرورة مواجهة العنف الرجعي بعنف ثوري.

وأياً ما كان موقفك من التحليل السياسي الذي قدمه يوسف شاهين للواقع في «عودة الابن الضال»، فإنك لاتستطيع أن تخطيء النزعة اليسارية فيه، وهي النزعة التي أخذت في أفلامه التالية مساراً جديداً وإن كانت لهذا المسار جذور قديمة في عالمه. وشيئاً فشيئاً، سوف تحاول أفلامه أن تفهم الواقع، لا من خلال اللحظة الراهنة، ولا عن طريق الاقتراب الحميم من هذا الواقع، لكنها، سوف ترتد إلى الماضي، وتغوص في أعماق الذات، لكنها لن تتخلى أبداً عن نزعتها اليسارية ذات المذاق الخاص. وبدءاً من «اسكندرية ليه»، ومروراً بأفلام «حدوتة مصرية» و«الوداع بونابرت» و«اليوم السادس» يبدو أن الهم الأساسي عند يوسف شاهين هو أن يقوم- بطريقته التي قد تتفق أو تختلف معها- بالتحرر من الكثير من الأوهام. وعلى الرغم من أن «اسكندرية ليه» يحول الواقع التاريخي إلى واقع ذاتي محض، فإنه لم يستطع أن يخفي تعاطفه مع ابراهيم اليساري المصري الفقير، الذي يلقى به في غياهب السجن ولايجد سوى المحامي المتقاعد، والد الفتى يحيى قدري بطل الفيلم، ليدافع عنه في قضية يعلم مسبقاً أنها خاسرة، بينما يفضح الفيلم تلك التمثيلية الوطنية البلهاء التي يقوم بها ابن الطبقة الارستقراطية، الذي يزعم التعاطف مع اليسار، فيؤجر جماعة من (البلطجية) ليصطادوا له جندياً انجليزياً شاباً ليقتله، وإن انتهت العلاقة بينهما إلى نوع من الهوى!

يوسف شاهين

ومع «حدوتة مصرية» يأخذ النضال اليساري من أجل الحرية شكلاً طفولياً، يكاد يقترب من (الفوضوية) بمعناها الفلسفي والسياسي، حين يتبنى الفيلم رؤية بطله في أن (الحياة كلها قمع في قمع)، فيحارب معه ضد كل أشكال الاستلاب، الأخلاقي والديني والسياسي والاجتماعي، وإن لم يتخط ذلك إلى محاولة فهم آليات هذا القمع على الجماهير في واقع لحظة تاريخية، بل وقف طويلاً عند تأثير هذا القمع على الذات. لهذا فإنه ينتهي إلى تحطيم كل المؤسسات التي تمارس قمعها على الفرد، عن طريق الأسرة التي بدت- من خلال الفيلم- مجموعة من النساء تنهشن لحم البطل، وعن طريق القيم الأخلاقية السائدة مجسدة في شخصية جبرائيل، أستاذ المدرسة الابتدائية الذي عاقب البطل طفلاً لأنه يغني في التراتيل بصوت عال حتى أن جبرائيل يتهمه بأنه يتصور أن الله له وحده- بل إن الفيلم يجعل جبرائيل يتحدث عن نفسه، بشكل تقريري مباشر وإن أكتسى بعض الكاريكاتورية الساخرة: (أنا محروم ومعقد، رقيت نفسي لمنصب المسئول عن الأخلاقيات)، كما يجعله قريب الشبه إلى هتلر، فيستعيد الفيلم من شارلي شابلن مشهد لعب جبرائيل بالكرة الأرضية. كما تتسلسل العبارات الساخرة من الدولة (كمؤسسة مجردة من أي سياق تاريخي)، على لسان رئيس المحكمة الذي يقمع الجميع، مبرراً ذلك بقوله: (أنا الدولة، والدولة أم الكل، الدولة هي اللي توجه، وتقرر وانتم كلكم ولاحاجة).

وربما أعلنت النزعة اليسارية الطفولية عن نفسها أكثر على لسان الطفل يحيى مراد، الذي ينتقم من جبرائيل عندما مايصنع الطفل لنفسه لعبة خيال ظل بدائية- كأنها الرمز للسينما التي يستخدمها يوسف شاهين نفسه- يصور بها حكاية جبرائيل، ويتوعده قائلاً: (لما أكبر، هاأرنك قلم). مرة أخرى إنها الرغبة في الانتقام، التي سادت في أفلام يوسف شاهين الأخيرة وعادت من بعض أفلامه الأولى- من «باب الحديد» على نحو خاص- وأفقدت بطله القدرة على رؤية الواقع التي كان قد اقترب منها مع نجيب محفوظ في «الاختيار»، ولطفي الخولي في «العصفور»، وصلاح جاهين في «عودة الابن الضال».

لذلك كان «بونابرت» و«اليوم السادس»

يوسف شاهين وراء الكاميرا

أكثر أفلام شاهين ابتعاداً عن الرؤية اليسارية الأصيلة للواقع وللتاريخ، وهما الفيلمان اللذان يظهران وكأنهما- يفتقدانهما أصالة الرؤية السياسية والفنية- يقعان فى وهم محاكاة الأفلام الغربية ضخمة التكاليف، وكأن يحيى مراد بطل «حدوتة مصرية» لم يلتفت، كما لم يلتفت يوسف شاهين، إلى تحذير صديقه اليسارى: .(حاسب، دول بيزقوك، عشان تكرر التاريخ بدل ماتغيره).

من الطفولة إلى النضج:

هذا ما أدركه يحيى الاسكندرانى بطل «اسكندريه كمان» فيما بعد، أنه يكرر التاريخ ولم يغيره، وأنه- على الرغم من الشعارات اليسارية التى يرفعها- لايعدو أن يكون فى علاقاته الانسانية «ديكتاتوراً» حقيقياً، يختفى وراء مزاعم الحرية الفنية، ليصبح فى النهاية هو ذاته (مؤسسة) من المؤسسات القمعية التى ينادى بالنضال ضدها.

فى بدء معركة نقابة الفنانين، يرفض يحيى الاسكندرانى أن ينصاع لأوامر قيادة الإضراب، يدفعه إلى ذلك اعتقاده: (أنا بقى على الهامش، ماليش نظام). فيجيبه المخرج الكبير توفيق صالح: (أنت أنبل مناضل شفته فى حياتى)! وفى نهاية الاضراب، سوف يذوب يحيى الاسكندرانى فى حركة المجموع، ويترك ذلك (الهامش) الذى صنعته له أوهام ذاته. ومن خلال التفاصيل الصغيرة التى تحتشد بها لقطات الفيلم (وهى التفاصيل التى تتلاحق على نحو لايستطيع المتفرج إدراكها بصرياً للوهلة الأولى)، ندرك أن التحول فى رؤية البطل للنضال قد أصبح ملموساً. فهو يبدأ معانقاً من الحياة اليومية مع جموع الفنانين فى النقابة، حاملاً معه أدواته الخاصة والمروحة والمبيد الحشرى الذى يؤذى الآخرين برذاذه، حتى أنه يثير سخرية نادية منه: (ماتفتح لنا قزازتين ويسكى وترقصنا بلدى والقاشيه تهلى معدنا). وفى نهاية الفيلم يتخلى البطل عن عاداته المغالية فى التطهر، ليجلس على الأرض التى كان قد أبدى تقززه من قذاراتها فى مشاهد سابقة، ليحكم رباط حذائه، ويكرر كلمات نادية عن ضرورة الالتزام بالديمقراطية الحقيقية داخل حركة الاعتصام ذاتها: (ماتناش ناخد قرارات باسم كل واحد وذاتيته).

سوف يسخر يوسف شاهين أيضاً من بطله الذى يتمسك بأصوله الكوزموبوليتانية التى تبدو فيها مصر رافداً هامشياً بين روافد عديدة، وكأنه يسخر من تلك الرؤية السياسية التى تضمنها فيلماه السابقان: «بونابرت» و«اليوم السادس» اللذان انزلقا إلى المغازلة الصريحة أو الخفية للأفكار التى تنادى بانتماء مصر إلى حضارة البحر المتوسط، أو التلميح إلى الانبهار الكامل أمام السحر الطاغى للثقافة والسينما الغربيتين (حتى أنه يهدى فيلمه «اليوم السادس» بموضوعه القاتم إلى جين كيلى «الذى ملأ أيام شبابنا بهجة»!). فى «اسكندرية كمان»، يتباهى يحيى الاسكندرانى: (أبويا عربى، وأمى ايطالية، والمدام طليانية) وباتكلم شوية روسى على شوية أسبانى ومادام أصلى اسكندرانى أبقى- طبعاً- جريجى). فتجيبه نادية فى حسم وسخرية: (ليه وطبعاً؟!.. انت والاسكندر والمسيح، كلكم على تختة واحده.. كلكم آلهة ومتنلبين على القزازة!).

ألا يبدو ذلك دليلاً على رغبة جارفة فى رؤية يسارية أكثر نضجاً، بالعودة إلى الجذور الحقيقية للواقع، والتوجه إلى الجماهير بعيداً عن أوهام اليسارية الطفولية فى الحياة والفن على السواء؟

فى حوار حميم ودافىء، بين البطل يحيى الاسكندرانى، وأم نادية، بكل عفويتها وتلقائيتها وحسها الشعبى، تقول الأم:

(أحسن فيلم عملته الأرض)، ويحتج يحيى: (اسكندرية ليه، هو اللي أخد جوايز)، لتجيبه بشكل قاطع: «لأ، الأرض».

مرة أخرى تتسلل نزعة المكاشفة إلى عالم يوسف شاهين، بجملة واحدة على لسان شخصية هامشية في البناء الدرامي، لكنها شخصية تملك حضوراً قوياً كاشفاً، يعيده في المشهد التالي إلى أرض الواقع، وإلى رقصة العصا التي أدرك من خلالها العلاقة الجدلية الناضجة بين الذات والموضوع، وبين الفنان والجماهير.

إن اختيار الأم للفيلم «الأرض» ليكون من وجهة نظرها أفضل أفلام يحيى الاسكندراني، أو يوسف شاهين، يشير ضمن دلالات متعددة إلى أن الجماهير ماتزال تبحث عما يتعمد يوسف شاهين أن يتجاهله؛ الحدوتة الانسانية البسيطة والعميقة في آن واحد، التي تصور النضال التاريخي للجموع وصمودها ضد كل محاولات القمع والطغيان والاستلاب، كما يشير إلى أن الجماهير لم تهتم كثيراً بالأفلام التي تدور حول بحث الفنان عن ذاته، ونضاله الفردي ضد أشكال القمع الوجودي.

عزت العلايلي...فيلم «الأرض»

ولم يكن غريباً أبداً أن يتصدر فيلم «الأرض» دائماً قائمة أفضل الأفلام عبر تاريخ السينما المصرية كله، في جميع الاستفتاءات التي جرت مع نقاد السينما المصريين، على الرغم من أن يوسف شاهين نفسه لايولي اهتماماً كبيراً لهذا الفيلم في أفلامه التي تعبر عن رحلته مع السينما، ربما لأن مشاركته الفنية في هذا الفيلم لم تتخط دور الإخراج لسيناريو تقليدي عن رواية معروفة، وحيث لامجال لأن يكون الفيلم منتمياً إلى تلك (الرؤية) التي أصبحت في أفلامه اللاحقة شغله الشاغل.

حسين فهمي ويسف الدين..فيلم «اسكندرية كمان وكمان»

على يسار السينما: النظرية والممارسة:

ففيلم «الأرض»، بشكله ومضمونه، لاينضوي تحت مايعتبره يوسف شاهين من أشكال ومضامين (ثورية) ،وتنتمي إلى واحد من التيارات (اليسارية) في السينما العالمية، وهو التيار الذي يبدو- في جانب منه- معبراً عن وعي ايديولوجي، نظري، بأن السينما الروائية التقليدية قد دعمت الأيديولوجيا السائدة للحضارة الرأسمالية الغربية التي تعتمد على قمع الانسان واستلابه، عن طريق المحاولة الدائمة والدائبة لمحاكاة الواقع، والتأكيد على أن تلك المحاكاة توحي في النهاية بأن الواقع الذي نراه على الشاشة ليس إلا الواقع الممكن الوحيد، وأنه لاسبيل إلى تغييره وتبديله.

لذلك تبدأ هذه السينما (الثورية)، بتحطيم الايهام بالشكل الواقعي، وذلك بأن يكشف الفنان السينمائي- كما فعل بريخت في المسرح- عن تقنياته لجمهوره، أوحتى تحطيمه لها، إنها إذن السينما التي لاتصنع للمشاهدين أوهاماً، بل إنها تدمر كل الأوهام، في الواقع والفن على السواء، فتدعو المشاهد- على مستوى المضمون- أن يرى الواقع قابلاً لإعادة النظر، والنقد، والتغيير، كما تدعوه- على مستوى الشكل- أن

يشارك برؤيته الايجابية فى عملية الإبداع المعقدة ذاتها، حيث لايدور الحدث فى السينما الثورية على الشاشة فقط، من خلال فيلم يتلاعب بأفكار المشاهدين وعواطفهم، عن طريق دفعهم إلى التوحد مع أبطال العمل الدرامى، بل إن الحدث فى السينما الثورية يدور فى ذهن المشاهد فقوة السينما الحقيقية- من وجهة نظر بعض اليساريين- ليست فى قدرتها على حكى (الحواديت)، وإنما تكمن قوتها فى كونها أداة لتحليل الواقع وإعادة بنائه على الشاشة وفى ذهن المتفرج معاً.

وفى كل أفلامه التى تندرج تحت عنوان (الرؤية) الخاصة، ظل يوسف شاهين يسعى إلى تحطيم العديد من التقنيات السينمائية التقليدية، والتحرر منها، حتى أنه مثل جان- لوك جودار لايضع حداً فاصلاً بين ماهو تسجيلى وروائى، كما يبدو البناء الدرامى عنده أكثر اقتراباً من المخطوط الذى لايحتوى على بداية ونهاية، كما يحتشد بالاستطرادات والقفزات دون التزام بالعلاقة الدرامية بين السبب والنتيجة، حيث يصبح العالم شذرات متجاورة متنافرة (يجب) على المشاهد أن يبذل جهداً فائقاً لاستخراج المعنى والدلالة من تجاورها. وبينما استطاع جودار أن يصل إلى (إسلوب)، وإلى شكل سينمائى متماسك يطلق عليه (الفيلم- المقال) أو (الفيلم- البحث)، فإن يوسف شاهين يتجاوز ذلك إلى أن يمزج بين كل الأساليب الممكنة فى فيلم واحد: الواقعية والتعبيرية، السينما الخالصة والمسرح المعلب، اللقطات التسجيلية الأرشيفية أحياناً والزائفة أحياناً أخرى، والخيال العلمى، والرسوم المتحركة السريعة التى تحاكى أفلام الكوميديا الصامتة، والحركة البطيئة بما توحى به من لحظات تنوير رومانتيكية، الميزانسين والمونتاج، التصوير فى المواقع الطبيعية والماكيتات الساذجة، العقلانية والتشنج العاطفية المفرطة والعقلانية الباردة، ابهار فيلليني وثورية جودار.

إن هذه الانتقائية تنبعث من الرغبة لدى الفنان أن يقول كل شىء عن كل شىء بكل الطرق الممكنة، يدفعه إلى ذلك إحساسه العميق أن لديه رسالة ثورية تجاه جمهوره، لكنها أيضاً الانتقائية التى أحياناً إلى التناقض مع القدرة على توصيل تلك الرسالة إلى الجماهير، عندما يفقد الفيلم وحدته الفنية، كما يفتقد- باحتشاده الهائل والمتعمد للافكار والأساليب- القدرة على التأثير على المشاهد.

نور الشريف-سيف-سهير البابلى-محمد منير فى «حدوتة مصرية»

فنادراً ماتجد فى أفلام يوسف شاهين الأخيرة لحظات دافئة حميمة تسمح للمشاهد بالتأمل (فيما عدا بعض مونولوجات الأب فى «عودة الابن الضال» و«اسكندرية ليه» و«حدوتة مصرية»)، وإنما يبدو الفيلم كبناء ذهنى محكم مؤلف من مشاهد متلاحقة لاهثة، وحوار متدفق قد يقع أحياناً فى هوة الركاكة. وإذا كان «اسكندرية كمان» مايزال ينتمى فى بنائه الدرامى إلى السينما الثورية، كما يراها يوسف شاهين، فانه قد سمح- فى مشاهده المنفصلة- بقدر أكبر من الدفء والتأمل، وهو ما قد يدعونا إلى أن نأمل أن تمتد نزعة المكاشفة عند يوسف شاهين إلى الشكل السينمائي أيضاً.

* * *

ليس هناك حاجة للتأكيد على أن يوسف شاهين يملك امكانيات سينمائية أصيلة، ووعياً حاداً برسالته، وشوقاً عارماً إلى الحرية. وإذا كان يوسف شاهين يعيد التأكيد على أنه ليس (مسلواتياً)، فإن هذا لايعنى أن يعمد الفنان إلى المغالاة فى الغموض الشكلى، أو الغوص فى أعماق الذات الوجودية، متسلحاً ومختفياً وراء العبقرية تارة، والأيديولوجيا الثورية تارة أخرى. فليس هناك عمل فنى، عبقرى أو ثورى، يفخر بصعوبته على الفهم عند القطاع الأكبر من الجماهير. فكل عمل فنى أصيل يكشف فى مستويات عديدة من التلقى عن أعماقه: الحسية والوجدانية، والذهنية على السواء.

وربما كان «اسكندرية كمان» هو الجسر الذى سوف يعبره يوسف شاهين إلى جمهوره، عندما تدرك المكاشفة ذلك النوع من السينما الثورية، حين تكتشف أنها تحمل بعضاً من ملامح اليسارية الطفولية التى ترفض الواقعية بحجة انتمائها للرأسمالية والبرجوازية والقمع، دون أن تحاول صياغة واقعية جديدة أكثر رحابة. إن السينما الثورية التى تتجاهل الجماهير، والتى تنطلق- فى فروضها النظرية- من نظريات بريخت، تقع فى نوع المأزق الفنى عندما تنسى أن قوة بريخت العظيمة تكمن فى أن الفن المؤثر سياسياً هو الفن الجماهيرى الممتع.

لقد كان بريخت يشير دائماً إلى ضرورة الربط بين عناصر ثلاثة فى النظرية اليسارية للفن: رؤية نظرية واعية للواقع الاجتماعى، وتحقيق المتعة الجمالية، وإدراك العلاقة الجدلية بين الدور الفنى للفنان ورسالته السياسية. إن السينما الثورية الحقيقية يجب ألا تقع فى أحلام تحقيق أفلام ضخمة التكاليف داخل الدائرة التقليدية لقيود الانتاج والتوزيع والعرض، كما يجب أن تتخلى عن أحلامها بالفوز فى المهرجانات العالمية دون أن تسعى للوصول أولاً إلى جمهورها البسيط. والسينما الثورية يجب أن تناضل من أجل تحقيق الإمتاع بقدر إصرارها على تحقيق الابداع.

يقول المثل البوذى: (عندما تشير الاصبع إلى القمر، ينظر الغافل إلى الإصبع). لكنك لاتستطيع أن تتهم جماهير السينما البسطاء بالغفلة، عندما يحرك الفنان السينمائى إصبعه فى حركات مثيرة تلفت الانتباه إلى الاصبع، أو عندما يشير إلى سراب ذاتى لايراه سواه. والسينما الثورية يجب ألا تنسى أن رسالتها الأصيلة ليست فى إغراق المشاهد بجمالياتها الثورية المعقدة، بل الكشف الثورى عن الواقع لتفسيره. وعلى الفنان الثورى أن تأتى إشارته واضحة لعيون الجماهير، لكن عليه- قبل كل شئ- أن يجد القمر.

اعلان حرب الخليج
بين الانقضاض .. والانضباط

أعلن مذيع نشرة التاسعة فى القناة الاولى للتليفزيون أن القصف بطائرات الحلفاء قد طال إذاعة بغداد وأنها صمتت، وفى الايام التالية، لم يكن ضمن أخبار النشرة خبرا آخر عن إذاعة بغداد التى كان من الواضح أنها لم تصمت، وأن تعليقاتها وأخبارها تنقل إلينا خلال إذاعة لندن، وراديو مونت كارلو.

ومن المؤسف أن تتكرر إذاعة أخبار بعينها وتجاهل أخبار أخرى ولكن يبدو أن هناك اعتقادا راسخا لدى الاخبار فى التليفزيون المصرى بأن المواطن كائن مطيع، وربما أبله، يستكين للأخبار الناقصة، ومن الممكن إقناعه بالضغط على مخارج الألفاظ وتضخيم الكلمات، والصياح بعبارات الوطنية والاجماع، وربما بالعين الحمراء أيضا لبعض المذيعين والمذيعات الذين أتسمت لقاءاتهم «العفوية» الجماهيرية بالانضباط التام فى القصد والنية، وحتى العبارات، ومن بدا متمردا فى الانضباط قليلا أو ظهرت فى عينيه الرغبة فى قول كلام غير منضبط فإن المذيعة أو المذيع ينقض عليه بلكمة حوارية من نوع «لكن صدام هو المسئول» أو «والحق على صدام» ولايملك المستمع أو المشاهد إلا أن يؤمن على كلام مذيعه أو مذيعته إيثاراً للسلامة. لكن، والحق يقال، هناك مذيعون أكثر ذكاءً لاينقضون فى اللحظة المناسبة وأنما يمعسون ويضعون الإجابة ضمن السؤال بحيث لايستطيع المرء أن يفكر وأنما أن يجيب بنعم على طريقة اسئلة الامتحانات الامريكية.

ومن الطريف أن التليفزيون والإذاعة اللذين لايرحبان بلقاءات الجماهير مطلقاً ولاتوجد بين برامجهما (برامج جماهيرية) إلا فى حدود ضيقة جدا تتعلق بالمنوعات أو الحوارات الضيقة بلاموضوع محدد مثل (على الناصيه) أو (مزيج ونغم)، أما غير ذلك فالبرامج عادة تتحدث عن الناس لا إليهم.. تذكروا الناس فجأة فى زمن الحرب، وكأنه ابتكار، أو أن الناس كانوا غير موجودين من قبل فى الشوارع وعلى النواصى وأنه ليست لديهم هموم صعبة وعسيرة وشكاوى تملا صفحات الجرائد؟

فلماذا اليوم فقط يخرج كل المذيعين والمذيعات فى رحلات إلى رجل الشارع؟

ولأن لكل فعل رد فعل فقد استفزت «لقاءات الشارع» هذه الكثيرين من غير المعارضين كتابا وصحفيين وأساتذة إعلام فطالبوا بتحجيم أو إلغاء هوجة سؤال رجل الشارع التى بدت تمثيلية رديئة وطالبوا بقدر من الموضوعية الإعلامية، وإتاحة الفرص للرأى الآخر وإلا أفلتت الجماهير إلى الأبد من أيدى الإعلام المحلى وقبضته.. ومن الغريب مثلا أن تقود هذا مجلة (أكتوبر) الرسمية.

غير انك لايمكن أن تسكت كل الاصوات وانما كما يقال، خاصة، بعد أن طالت الحرب ولم تنته- كما وعد بوش- فى أيام قليلة، وانكشف ضجيج التطوير الاعلامى او «منافسة الاعلام العالمى» فى مبنى ماسبيرو عن الحقائق التى نعرفها عنه دائما وأن كنا قد أوشكنا من فرط «الدعاية» أن نصدق أنها يمكن أن تتغير فإذا كان تخصيص مكان لتجميع كل خطوط استقبال الشبكات التليفزيونية العالمية فيما أطلق عليه (المركز العالمى للأخبار المصورة) مهما، وإذا كان إطلاق شبكة الاخبار الامريكية CNN إلى بيوتنا مهما، وإذا كان قطع الإرسال فى أى وقت، ومهما كانت أهمية البرنامج لنقل آخر أنباء القتال مهما.. فإن الأكثر أهمية هو هل أدت هذه الخطوات إلى خدمات أفضل لنا، كمشاهدين، فى كم المعلومات ودقتها، ومن الانتقال لمواقع الأحداث، وفى التحليل والتفسير والتعقيب؟

الإجابة على المحكات الثلاثة لا أظنها نعم. فمع زيادة الفترات الإخبارية عن معدلها الطبيعى فى الأوقات العادية بنسبة ٧٠٪، ومع تخصيص ثلاثة استديوهات عاملة للأخبار، ومع حالة الطوارئ للعاملين بها.. فإن الشاشة تقول بالنسبة للمعلومات أننا نبحث عن الاخبار بعيدا عن التليفزيون المحلى فإذا كان التليفزيون المصرى قد فاجأنا بالمبادرة بإذاعة نبأ بداية الحرب فجر ١٧ يناير الماضى، فإنه بعد ذلك ترك التفاصيل كلها

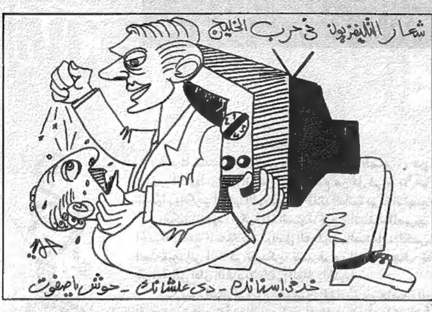

للشبكة الامريكية «سى إن إن» وبعد أن أدرك ذلك حجب الشبكة الامريكية فى الاوقات التى أرادها حتى يلزمنا بنشراته التى تنقل عن نفس الشبكة وعن غيرها، وليس عيبا أن تتفوق الشبكة الامريكية لأنها مؤسسة على بث الأخبار فقط وبإمكانات هائلة، ولكن العيب أن نوقفها إجباريا (عن طريق إيصال خط الاستقبال لها) مبنى ماسبيرو ثم يغيرها ليكتشف المواطن المتابع بنفسه مانقل عنها فى نشراتنا، وليس عيبا أيضا أن يتركنا التليفزيون نراها فى وقت نشراته لأنه يعرف أن أغلبية المصريين لاتتقن الانجليزية وبالتالى فهم جمهور مضمون تليفزيونيا، وإن كان غير مضمون أذاعيا، أو من السهل على أى مواطن أن يسمع بالعربية ماتبثه إذاعات لندن ومونت كارلو وأمريكا من أخبار مختلفة ورؤى أكثر تعددا ومعلومات أكثر دقة. وهو ما أكده الاستاذ أنيس منصور فى عمود بالاهرام من «شعبية» مذيعى ومذيعات هذه الاذاعات الأجنبية

وبالنسبة لخدمة الخبر والانتقال لموقع الحدث، فإن الانتقال الوحيد الذى يحدث هو انتقال صورة المراسل المصرى إلينا، مصغرة جدا، عبر الشاشة أما انتقاله هو شخصيا إلى موقع الحدث وتغطيته فلم يحدث وظللنا ولازلنا تحت رحمة وصف الأخرين ووجهات نظرهم فى الأحداث، حتى المؤتمرات الصحفية اليومية لقادة التحالف ،لاوجود فيها لأى مراسل تليفزيونى أو صحفى مصرى.

وفى مواقع الأحداث بالسعودية، وليس العراق، بعد أن أصبحت السعودية مقرا لإعلام العالم كله يتابع مايحدث داخلها - انفرد التليفزيون المصرى وحده بتعيين مراسل سعودى ينقل لنا، صوتيا رسائل خائبة متعثرة.. وكأنه محرم على التلفزيونيين المصريين الحركة والتواجد فى مواقع الاحداث فى أكثر فترات التعاون بين مصر والسعودية.. بل أنه لم يقدم -على مستوى آخر- أى برنامج خاص، عن القوات المصرية فى السعودية فى الوقت الذى أشبعت فيه المحطة الأمريكية، بدون إلحاح، الشاشة ببرامج عن الجنود الامريكيين وعائلاتهم. وقدمت لقاءات إنسانية ووجهات نظر عديدة تخترق جمود البيانات الرسمية وتقدم أبعادا جديدة غير بيانات الحرب ومظاهرات التأييد أو الرفض.

أما التحليل والتفسير والتعليق على أخبار الحرب، والتى أتضح أنه أصبح لها فريقها المختار من قبل التليفزيون، تماما مثل فرق الضيوف المختارة دائما للظهور فى أوقات السلم. ومن الطريف أن توجه للسياسى أسئلة فى العسكرية والعكس ، وأن يستنفد أحدهم أغلب وقت البرنامج فى كلام عام قبل أن يأتى للسؤال، أو ان ينتهى البرنامج بدون إجابة. أما المستحيل فهو إقامة ندوة فى الاستديو أو ندوة غير مباشرة لأراء مختلفة... فالاختلاف غير وارد ومن الطريف أنه لم يصدر عن الإعلام التليفزيونى والإذاعى مايدل على وجود آراء مختلفة إلا من خلال إشارات فى خطاب الرئيس إلى مجلسى الشعب والشورى يوم ٢٥ يناير الماضى!

والمؤسف حقا برغم كل شعارات التجديد والتطوير والانطلاق الإعلامى، أنه يلقينا أكثر على الشبكات والاذاعات الاجنبية، ويدفعنا دفعاً إلى الالتصاق بها وتصديقها وربما اعتناق آرائها من كثرة «الزمر على الودان»، فنحن كالمستجير من الرمضاء بالنار

وعلى أهمية ماتقدمة لنا الشبكة الامريكية CNN (والتى ستبدأ بثها الرسمى فى مارس الحالى باشتراكات) من أرتباط سريع مباشر بمواقع الأحداث فى العالم، ومن تغطية شاملة للحدث، وتحليل له زوايا متعددة، فإن انحيازها لدولة اسرائيل واضح لاتخطئه عين، وارتحالها المستمر إلى تل أبيب ومسئوليها عند أى خبر وأهتمامها بكل مايخرج منهم وعنهم، هو شئ أساسى سوف نتجرعه ولن نستطيع أن نشكو لأننا نغامر بذلك بقطع ماتقدمه لنا من تغطية إعلامية تبقينا على صلة بالأحداث حولنا...

وهذا هو الوضع الشاذ الذى يضعنا فيه الإعلام المحلى (الوطنى) بإغفاله لحقوقنا فى المعرفة وفى إبداء الرأى.. وفى التنفس.

صاروخ «سلامة» على رأس «عبد الشافي»

حجبت سحب الدخان التي حملتها «عاصفة الصحراء» عن المصريين، رؤية كثير مما تفعله بهم حكومتهم، في هذه الشهور السوداء، التي انشغل فيها الجميع عن كل شيء، إلا أنباء الحرب والضرب والكرب البسيط الذي نعيش ساعاته المعذّبة، والكرب المركب الذي ستعلنيا ظلاله الدائمة ببركة الرئيسين «صدام بن بوش» و«جورج بن حسين..».

وهكذا انتهزت حكومتنا السنية، فرصة انشغال المصريين بالحرب، لترفع الأسعار، وتتفق مع الصندوق، وتعوّم الجنيه، وتفتح المعتقلات وتواصل التعذيب بالصدمات الكهربائية وخصوص لأعضاء منظمة حقوق الانسان، وتقدم الصحفيين إلى المحاكم العسكرية لعجزهم عن الوفاء بأهداف خطة تنمية قدرة الإعلام المصري على الكذب، ليستطيع الدخول إلى افاق النظام الإعلامي العالمي الجديد!

ومن سوء الحظ أن رياح الخماسين القادمة مع عاصفة الصحراء، قد أعشت كل العيون، حتى عيون صحف المعارضة، فبدت وكأنها طبعات لصحف خليجية تصدر لكي تقرأها الجالية المصرية في مصر المحروسة، وإلا ما انغمست معظمها في الرهان على أطراف الصراع، واختفت معالجاتها للأوضاع الداخلية، بل أن معظمها نسي- في حمى انحيازه- حتى أن يعارض السياسة المصرية في الأزمة، خشية أن يعتبر وزير «الداخلية» ذلك تدخلاً في الشئون «الداخلية» لدولة أجنبيه..! فيطبق على رأسها قانون الطوارئ»، ويضعها في «صندوق النقد».

أما وقد ترك المصريون شئون بلادهم لحكومتهم تصرفها كيف شاءت، فقد كان منطقياً أن يقف أحد أعضاء «مجلس الشورى» ليقول- بدون مناسبة- أن مصر تشرف برئاسة الرئيس مبارك.. ولم يكن منطقيا في شيء، أن يقف محمد عبد الشافي- عضو المجلس ونائب رئيس حزب الأحرار- ليطالب بإلغاء قانون الطوارئ»، ويعترض على توسع الحكومة في الاعتقالات بدعوى مقاومة الإرهاب، قائلا: إن الشعب المصري لايحب الإرهاب بطبيعته، وأنه لايجوز تعميم سلوك مجموعة من المتطرفين على الشعب، ومعاملته باعتباره شعبا من الإرهابيين، وانطلاقا من تلك النظرية الخاطئة، التي دفعت وزير الداخلية، السابق زكي بدر، للمطالبة بقتل ثلث الشعب، ليعيش الثلثان الباقيان في أمان،.. أما ثالثة الأثافي التي تجرأ عبد الشافي عليها، فكانت اعتراضه على ماقاله زميله النائب، قائلاً: إن الرئيس مبارك وكل مصري هو الذي يشرف بالانتماء لمصر، وليس العكس»

وكان محتما- وقد ترك الجميع الساحة خاليه أمام الحكومة- أن يثير اعتراض عبد الشافي ثائرة رئيس مجلس الشورى مع أنه رجل طيب يندر أن يسمع أحدا له أو لمجلسه صوتا في أي موضوع جدي، فيلقي خطبة عصماء يؤيد بها ما اعترض عليه عبد الشافي، متحديا إياه «بأن مصر شئت أو لم تشأ تشرف برئاسة حسني مبارك»!

أما وقد قال رئيس مجلس الشورى، الذي يفترض فيه أنه أحد مجلسين يمثلان الشعب ذلك فقد أسرعت الحكومة لإطلاق صواريخ باتريوت على عبد الشافي، فقال ممثلها الدكتور أحمد سلامة، أن كلام عبد الشافي يصيبه- عادة- بعسر الهضم، ووصفه بأنه نائب عاق قال ما قاله على سبيل «المنظرة»، مؤكداً أنه سمع من أحد المشايخ، بأنه يجوز لولي الأمر أن يضحي بثلث السكان لإنقاذ الثلثين الآخرين!

ورغم تأييد ممثل الحكومة لرئيس مجلس الشورى، في إطلاق الصواريخ على عبد الشافي، إلا أن رئيس الشورى تمسك باستقلاله، كممثل لسلطة الشعب، فرفض اقتراح الوزير بشطب عبارة عبد الشافي من المضبطة، مصراً على إبقائها كدليل على الديمقراطية في مصر، وهو مالم يعترض عليه وزير الداخلية، الذي رد على انتقاد عبد الشافي لسياسة التوسع في الاعتقالات، واصفا كلامه بأنه «جميز»!..

وهكذا انشغل المصريون بحرب الخليج عن حكومتهم، وسكتوا لها فدخلت بحمارها، وأطلقت «صاروخ سلامة» على «عبد الشافي»، لأنه لايزال يصدق أن مصر- كما ذكر المؤرخ القديم هيردوت- هي هبة النيل، مع أن حرب الخليج، قد غيّرت هذا الكلام «الجميز» فأصبحت مصر هبة حسني مبارك!

صلاح عيسى

محمد عبد الشافي

وزارة التعمير والمجتمعات العمرانية الجديدة والاسكان والمرافق
شركة النصر للاسكان والتعمير وصيانة المباني
احدى شركات هيئة القطاع العام للاسكان
مشروعها الكبير
يسرها أن تقدم
بمنطقة سموحة بالاسكندرية
المراكز التجارية لمختلف الأنشطة والأغراض
وهذه المراكز كالتالي :
١ - المركز التجاري الرئيسي : ويتكون من ٨٤ محلاً تجارياً بالإضافة إلى سينما شتوى وسينما صيفي
٢ - المركز التجاري الفرعي الأول : ويتكون من ٢٦ محلاً تجارياً .
٣ - المركز التجاري الفرعي الثاني : ويتكون من ٣٢ محلاً تجارياً .
وتشتمل هذه المراكز التجارية على كافة الأنشطة المختلفة التي توفر احتياجات المواطنين .
لكافة الاستعلامات يرجى الاتصال :
قطاع الشئون العقارية - بميدان باب الشعرية - ت ٩٠٠٤٣٦
فرع الاسكندرية : ١٩ شارع النصر - المنشية - شقة ١٠١ - ت ٨٠٧٧٤٩

شعر: أحمد فؤاد نجم
طبيب معايا ألم جوّه الحشا مجهول
بنّا بنى لى وطن بس الأساس مجهول
وانا علّتى عِزْوتى: ناكر جميل وجهول
جهل الأصول يابلد خلّا المغول داسِكْ
وعلّا ناس بالدهب، ينقاسوا بمداسِك
وانا اللى ناسِك فى عشقك والنصيب مجهول
رسم: محمود الهندى